Vol 2/ N°1/ June 2022
م.2/عدد1/جوان 2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
مخبر الدراسات و الأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر
1830-1516

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط

المجلد الثاني
العدد الأول: جوان 2022

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Algiers 2 University Abou El Kacem Saâdallah
Laboratory of Studies and Research of Ottoman Heritage in Algeria
1516-1830

Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies

Volume 2
Issue 1 : June 2022

المجلد الثاني، العدد الأول، جوان 2022
مجلة أكاديمية دولية علمية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية العثمانية والبحر المتوسط،تصدر عن جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله

العنوان:	**- المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط**
السلسلة:	- المجلد الثاني، العدد الأول: جوان 2022
الناشر:	- جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر: **حقوق النشر**: محفوظة لمنشورات جامعة الجزائر 2، الجزائر
هيئة التحرير:	
الرئيس الشرفي للمجلة:	بن حفري شكيب
مدير المجلة:	بوغفالة ودان
رئيس التحرير:	تواتي علي إسمت
المحررون المساعدون الجزائريون:	**جامعة الجزائر 2:** بن بلة خيرة، دحماني توفيق، كنتور رابح، خيراني ليلى. **جامعة البليدة 1**: بن حموش مصطفى. **جامعة غرداية:** سهيل جمال . **جامعة خميس مليانة :** محرز أمين. **جامعة المدية:** الغربي غالي. **جامعة المسيلة :** بلعبدالوهاب فرنيني ليندا. **جامعة وهران 2:** القورصو كمال ، **جامعة تلمسان:** معروف بلحاج، صالحي صلاح الدين. **جامعة تيارت:** بن صحراوي كمال
المحررون المساعدون الدوليون:	**CSIC - مدريد:** دو بوينز إيبارا ميجيل أنخل. **جامعة أليكانت:** رويزبخارانو بربارا؛ بورخا فرانكو، كوتياس خوسيه فرانسيسكو، برنابي بونس لويس ف. **جامعة أنطاليا:** شيمشك فاطمة. **جامعة ألكالا دي هيناريس، مدريد:** صولا إيميليو. **جامعة برشلونة:** كورالاس إلوي مارتين. **جامعة قادس:** مواق محمد. **جامعة ماتيسا:** بليل أوغوز بتول، إيرسوزسربيل. **جامعة باري:** نيكوزيا آلدو **جامعة أنقرة**: كورناز جمال. **جامعة الدار البيضاء**: لقباقبي اليعقوبي خديجة، مزيان ليلى. **جامعة اسطنبول:** كاديوأغلو محسن، بستان إدريس، آق محمود. **جامعة كركلارلي :** طبق أوغلو سردار حسين. **جامعة كوجا إيلي**: نيملي أوغلوكوجا ياسمين. **جامعة ليدن :** فان كريكن جرارد. **جامعة صفاقس** : شاشية حسام الدين. **جامعة طوكيو:** شيميزو نوريو. **جامعة تونس** : بن سليمان فاطمة. **جامعة فالنسيا:** كونستان أنطونيو. **جامعة فيسكنسن– ماديسون** : هونتشينسن ستيفن. **جامعة منبلي** : آلان تياري
الهيئة العلمية الإستشارية:	**جامعة أليكانت:** كوتياس خوسيه فرانسيسكو. **جامعة الجزائر 2**: سعيدوني ناصر الدين ، تابليت علي. **جامعة البليدة 1**: بن حموش مصطفى. **جامعة تونس** : بن سليمان فاطمة. **جامعة صفاقص** : شاشية حسام الدين. **جامعة الدار البيضاء**: لقباقبي اليعقوبي خديجة، مزيان ليلى. **جامعة اسطنبول:** بستان إدريس، آق محمود. **جامعة أنقرة:** كرناز جمال
الأمانة:	بحيري يامنة ، محرز أمين ، بوحفص علاء الدين، برزوان نسيمة
الطبع:	مطبوعات جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر
الرقم الدولي المعياري للدورية ISSN:	1184-2800
تاريخ الإيداع القانوني:	2022/06/30

العنوان: **المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط**، مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية	الهاتف:021270231 / 0553183261 **الفاكس**: 023180111	البريد الإلكتروني: aroms@univ-alger2.dz

أهداف المجلة

- المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط هي مجلة سداسية يُصدرها مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية. تأسست عام 2021، وتتبنى رسالة البحث في دراسة تاريخ العالم العثماني والمناطق التي كانت تنتمي إليه، ومنها الجزائر، وذلك خلال الفترة الحديثة على وجه الخصوص.

- تنشر المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط الأبحاث العلمية التاريخية الأصيلة في حقل الدراسات العثمانية وتاريخ البحر الأبيض المتوسط، وتسعى إلى إنتاج مادة علمية ذات جودة عالية، للباحثين المتخصصين في المجال أين يتبادلون فيما بينهم وجهات النظر لترقية البحث العلمي.

- تمنح المجلة الأولوية للدراسات التي تتناول تاريخ العلاقات السياسية والثقافية والتبادل الاقتصادي في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتاريخ حركة الهجرة وظاهرة الرحلة داخل العالم العثماني، وبينه وبين العالم الخارجي في المشهد الثنائي والإقليمي والعالمي.

- تسعى المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر التوسط إلى التركيز على الدراسات التاريخية، و تترك مجال البحث مفتوحًا للتفاعل بين التاريخ وباقي العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

قواعد النشر

- يُطلب من المترشح مراجعة رابط مجلة الدراسات العثمانية والبحر المتوسط على الموقع الالكتروني لمخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية:

http://www.lerpoa.univ-alger2.dz لتحميل الملفات التالية:

* دليل المؤلف: يحتوي هذا الملف على: دليل المؤلف، ميثاق النشر في المجلة، وثيقة نقل حقوق التأليف. اطلع على هذه الملفات جيدا، واحتفظ بها لتنفيذ مختلف عمليات تحضير المخطوط.
* تعليمات المؤلف: ويحتوي على نموذج كتابة مقال باللغات التي تنشر بها المجلة، اختر النموذج المناسب للغة مقالك.

- تحضير المخطوط:

* يجب أن تكون المقالات في المتن بخط Sakkal Majalla، حجم 14 تباعد الخط بسيط؛ باقي التفاصيل موجودة في النموذج.
* من الناحية الأخلاقية، أنت المسؤول الوحيد عن مقالتك ومحتوياتها، راجع ميثاق أخلاقيات النشر في المجلة.
* يمكن أن تكون مساهمتك في المجلة بأشكال مختلفة: مقال يلخص البحث العلمي النظري؛ أو تقرير عن حدث علمي؛ أو عرض لكتاب نشر مؤخرا.
* تقبل المجلة للتقييم المقالات الأصلية فقط، التي تتوافق مع النموذج الخاص بالمجلة، الذي قمت بتنزيله سابقا. بمجرد قبول المادة للنشر، يصبح المقال ملكًا لمنشورات جامعة الجزائر2، الجزائر، ولا يمكن إعادة نشره؛ راجع وثيقة نقل حقوق التأليف.
* يحتفظ فريق التحرير بالحق في تعديل النسخة النهائية من البحث، إذا لزم الأمر، حتى يصبح أكثر توافقاً مع نموذج المجلة.
* من المهم جدًا ملاحظة أن المؤلف ملزم بكتابة نصه ببساطة، ويتجنب التنسيقات الخاصة، ستتولى أمانة المجلة مسؤولية تنسيق جميع مقالات العدد، لذلك، ستتم إزالة كل التنسيقات التي لا تنسجم مع نموذج المجلة.

* حجم النص يكون في حدود 6000 كلمة (دون حساب قائمة الببليوغرافيا).

- بعد الانتهاء من تكييف ملف المقال مع شروط النشر بالمجلة، قم بصبه في نموذج مقال المجلة.

- احرص على احترام كل الإعدادات التي ستجدها في نموذج المقال. ثم قم بحفظ كل التعديلات التي قمت بها، وقم بإعادة تسمية المقال باسمك بالحروف اللاتينية.

- إرسال المقال:

* تُرسل المقالات إلى المجلة عن طريق البريد الالكتروني: aroms@univ-alger2.dz

- قبول المقال للتحكيم والنشر:

* عند استقبال المجلة للمقال، تقوم هيئة التحرير بمراقبة مدى احترام المؤلف لمتطلبات نموذج المقال الشكلية، ثم تتم مراقبة مدى أصالة المقال، إذا كان التقييمان إيجابيان، يتم قبول المقال للتقييم فقط.

* يتم حفظ وترميز المقال في صيغة (PDF)، بحيث يتم إغفال الاسم واللقب وباقي المعلومات التعريفية.

* يرسل المقال إلى المحرر المساعد المتخصص في موضوع المقال.

* يقوم المحرر المساعد بإرسال المقال إلى مراجعين اثنين. يتم تقييم كل مقال مقدم إلى المجلة سريا (لا يعرف المراجعان اسم مؤلف المقال، كما لا يعرف المؤلف هوية المراجعين). تسمح لنا مراجعة النظراء بتقييم دقيق وموضوعي من قبل المختصين.

* بعد انتهاء المراجعة، يمكن للمحرر المساعد، بناء على تقارير المراجعين، أن يرفض المقال أو يقبله كما هو، أو يقبله بتحفظ.

* في حال القبول بتحفظ سيعاد لك المقال، راجع تقارير المراجعين، وقم برفع التحفظات، ثم أعد إرسال المقال، كما يمكنك حينها تقديم شروح وتوضيحات للمراجعين.

- إرسال الإقرار (التعهد) بنقل حقوق التأليف:

* نشر المقال بالمجلة مرهون بإرسال المؤلف تعهدا بنقل حقوق التأليف والنشر (ممسوح ضوئيا) على شكل (pdf/Image) (النموذج المتوفر على الرابط المذكور أعلاه) إلى

رئيس التحرير عبر البريد الإلكتروني للمجلة: aroms@univ-alger2.dz هنا يمكنك طلب وعد بالنشر عند الإقتضاء.

* ينشر سنويا العدد الأول شهر جوان والعدد الثاني شهر ديسمبر من المجلد إلكترونيا، وعندئذ يمكنك تحميل المقال إلكترونيا من رابط المجلة على موقع مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر: http://www.lerpoa.univ-alger2.dz

المحتويات

1 - باللغة العربية

افتتاحية العدد		7
دينامية التعمير و التمدن البحري في الفترة العثمانية الأولى بالمغرب الأوسط (الجزائر)	بن حموش مصطفى	9
البحّار بيري رايس في الدراسات الإستشراقية : كتاب "بحرية" في عرض المؤرخ الفرنسي روبار مونتران	بوغفالة ودان	24
علاقات التعاون و روابط التحالف الجزائري-العثماني و مسألة سيادة الدولة الجزائرية الحديثة	سعيدوني ناصر الدين	49

2 - باللغات الأجنبية

Trapped in the "Nest of Corsairs". A Brief Historiographical Overview of Sixteenth Century Ottoman Algiers	**Caprioli Francesco**	**82**
Le tissage de la mémoire. La captivité des frères Wolfgang d'Augsbourg à Alger	**Ruhe Ernstpeter**	**113**
La Sublime Porte, les puissances européennes et le problème de la course maritime de la Régence d'Alger aux 18e-19e siècles	**Benafri Chakib**	**128**

افتتاحية العدد

يبين السيد كابريولي في هذا العدد الثاني من المجلة، أننا لم نبتعد عن البحث إلا في الآونة الأخيرة فقط عن قراءة أوربية مركزية لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، حيث كان يعتبر هذا البلد "وكرا للقراصنة" أو كان ينعت بـ: "جمهورية القرصان". إن الاستغلال المشترك للمصادر الإسلامية والمسيحية في إطار تجديد الدراسات، وتحقيق المزيد من الموضوعية، يسمح لنا أن نفهم بشكل أفضل الوضعية التي كانت عليها الجزائر حينئذ، ولا سيما القرن السادس عشر؛ والتي عالجها المؤلف. ويقترح السيد بن حفري، وبالاستناد أساسا إلى مصادر تاريخية عثمانية، تحليل التعقيدات الدبلوماسية التي سببتها صراعات الجزائر مع القوى الأجنبية التي كانت تتمتع بعلاقات سلمية مع الباب العالي. وهو بذلك، يكشف عن صراع قام بين رؤيتين متعارضتين للعلاقات الدولية في البحر الأبيض المتوسط، أدى إلى انتصار الرؤية الأوروبية بعد مؤتمر فيينا. أما السيد روه، فإنه يحلل خصوصيات قصة أسر؛ وهي قصة الأخوين ولفقانق في الجزائر العاصمة أواخر القرن السابع عشر، ويُعرف أحد هؤلاء النحاتين؛ وهو أندرياس متاوس كأحد المتخصصين بفضل نقائشه عن شخصيات من مدينة الجزائر. وتكمن إحدى الخصائص الرئيسية للقصة التي حللها السيد روه، في كونها أنتِجت بعد عدة عقود من تاريخ الوقائع ، وتم ذلك من طرف أحد أبناء ولفقانق. ويقدم لنا السيد بوغفالة تحليلاً للطريقة التي تم بها تقديم ودراسة حياة البحار ورسام الخرائط بيري ريس، وخاصة مؤلفه "كتاب بحرية"، من قبل المختص في الدراسات العثمانية، المؤرخ الفرنسي الراحل روبرت مونتران. يقود السيد سعيدوني في طرحه التفكير في الدولة الجزائرية في العصر الحديث (1516-1830)، وهي الدولة التي نفى وجودها بشكل عام علماء الحقبة الاستعمارية، ولم يعترفوا بها على الأقل ككيان مستقل تمامًا عن السلطة العثمانية، حتى من أن هؤلاء العلماء قدموا هذا الكيان على أنه تصميم استعماري بحت. وهي رؤية يحاول السيد سعيدوني تفكيكها، من خلال التساؤل بشكل خاص عن طبيعة العلاقات بين الحكومة القائمة في الجزائر، والسكان الخاضعين لسلطتها. أما السيد بن حموش، فيثير مسألة نمو أو إعادة تأسيس مدن ساحلية جزائرية نتيجة تدفق اللاجئين

الأندلسيين إلى البلاد، وذلك بعد طردهم أو هروبهم من شبه الجزيرة الأيبيرية، بعد نهاية حرب التحرير الكاثوليكية، أو بعبارة أخرى بعد عام 1492م. حدث هذا النمو الديموغرافي والعمراني في الجزائر ضمن إطار إداري يساير الخضوع للعثمانيين.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 2 العدد: 1جوان 2022 ص ص 9-23
ر ت م د (ISSN): 1184-2800
تاريخ الإرسال (2022/5/24) تاريخ القبول (2022/5/30) تاريخ النشر (2022/6/30)

دينامية التعمير و التمدن البحري في الفترة العثمانية الأولى بالمغرب الأوسط (الجزائر)

The Dynamics of Coastal Urbanization during the Early Ottoman Period in the Central Maghrib (Algeria)

بن حموش مصطفى♦
جامعة البليدة 1 سعد دحلب
البريد الإلكتروني : madinarch@gmail.com

ملخص :

شهدت شمال إفريقيا نموا عمرانيا غير مسبوق خلال الفترة العثمانية الأولى نتيجة نزوح العدد الكبير من الأندلسيين نحوها و التحاق المنطقة بالخلافة العثمانية. فقد توسعت العديد من المدن البحرية بعد تحررها من الاحتلال الإسباني و نشأت مدن جديدة، فيما انبعثت بعض المواقع الأثرية لمدن مندثرة بفضل وجود مواد البناء في المكان و توفر البنية التحتية.

لقد كان للحكام العثمانيين الأوائل دورهم البارز في انتقال المهاجرين الأندلسيين إلى الشواطئ الإفريقية و توزيعهم في الإقليم الجديد الملحق بالدولة العثمانية. كما كانت لهم اليد البارزة في تهيئة تلك المدن و توسيعها و تزويدها بالخدمات الدفاعية و المدنية و إدارتها طوال الوجود العثماني في المنطقة المغاربية الذي دام ثلاثة قرون (1516-1830).

و يكون تفاعل العاملين الجغرافي و التاريخي هو أحد محركات العمران في المنطقة الذي رسم معالم الخريطة البشرية التي نعيشها حاليا. فقد كان ارتباط المدن بالنشاط البحري أثره في التنوع الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي للمغرب الأوسط و انفتاحه على البلدان المتوسطية و على العالم. و بالتالي فإن تسليط الضوء على هذه المرحلة يمكن الباحثين في التاريخ و شؤون العمران و تخطيط المدن من فهم نمط

♦ المؤلف المرسل

توزيع المدن من جهة و مراحل نشأتها و نموها و تطورها من جهة أخرى و يفتح الكثير من المجالات المعرفية الأخرى من البحث المتعلق بالفترة العثمانية.

الكلمات المفتاحية:

العمران؛ الهجرة الأندلسية؛ شمال إفريقيا؛ الفترة العثمانية؛ الإدارة الحضرية.

Abstract:

The North African coast witnessed an unprecedented urban development during the early Ottoman period as a result of the exodus of a large number of Andalusians refugees. Many maritime cities expanded after their liberation from the Spanish occupation, and new cities emerged, while some archaeological sites of vanished cities emerged thanks to the presence of building materials in the sites and the existence of the previous infrastructure.

Ottoman rulers had a prominent role in hosting Andalusian refugees and their settling in the region since the first period of its annexing to the Ottoman Empire. Cities expanded, provided with defense and civil services, and managed throughout the Ottoman period.

The interaction of geographical and historical factors is one of the drivers of this urbanization, which drew the features of the human map in current days. The attachment of cities to maritime activities had its impact on the cultural, social and economic diversity of the Central Maghreb and its openness to the Mediterranean countries and to the world. Therefore, shedding light on this period enables researchers to understand the pattern of distribution of cities on the one hand, and the stages of their inception, growth and development on the other hand.

Keywords:

Urbanisation; Andalusian Exodus; North Africa; Ottoman Period; Urban Management.

مقدمة: السياق التاريخي و الجغرافي

يرتبط الحضور العثماني في شمال إفريقيا ارتباطا عضويا بالمسألة الأندلسية و عمليات التهجير الجماعية للمسلمين من الجزيرة. فالتواريخ البارزة في

هذه المسألة و المتمثلة في سقوط غرناطة سنة 1492، و مقاومة البشارات و قرارات الترحيل النهائي سنوات 1609-1614[1] تذكرنا بالجانب الآخر من العالم الإسلامي الذي افتتحت فيه القسطنطينية سنة 1453 و دخلت في حضيرة الإسلام، مما كان له الوقع الكبير على موازين القوى في البحر الأبيض المتوسط، و في البلدان الأوربية و الصليبية بشكل خاص. و هكذا فإن قضية سقوط الأندلس التي امتدت على مدى قرنين او أكثر تبين أن سياقها التاريخي من جهة و جغرافيتها كان له الأثر المباشر في تدخل القوات العثمانية من جهة و نمط العمران البشري لمنطقة شمال إفريقيا. فالتغير الديمغرافي و الاجتماعي و الديني في الجزيرة الخضراء يقابله كذلك تغيرا مماثلا في بلدان الشمال الإفريقي.

إن طبيعة حركة الاسترجاع *Reconquista* الصليبية قد أخذت شكل إفراغ المدن و طرد الأهالي المسلمين منها و دفع تلك الحشود إلى الهجرة إلى المناطق الإسلامية الآمنة. و تكون تلك الأمواج البشرية المهاجرة قد اجتهدت أيما اجتهاد في حفظ ما بقي من نسيجها الاجتماعي، خلال عمليات تهجيرها و توطينها أو استيطانها في شمال إفريقيا. إن ذلك يسمح لنا بوصف هذا الحدث التاريخي الفارق بانزلاق مدن بأكملها نحو شواطئ شمال إفريقيا. فالسقوط التدريجي لمناطق إسبانيا المسلمة في أيدي القوات الصليبية هو المؤشر العكسي للتعمير المستمر في بلاد شمال إفريقيا.

أما الرافد الثاني من هذا السياق التاريخي فهو قيام القوات الإسبانية باحتلال شواطئ شمال إفريقيا و استيلائها على أغلب المدن الساحلية. فاستراتيجية تتبع المهاجرين الأندلسيين حتى في المناطق التي اختاروا الإقامة فيها كانت تهدف إلى ضمان الدفاع الاستراتيجي لإسبانيا المسيحية من أي احتمال لإعادة التواجد الإسلامي في قارة أوربا. و لذلك فإنه بالرغم من ازدهار أسطول إسبانيا بفضل اكتشاف العالم الجديد -أمريكا- و وضع اليد على الكثير من الثروات، لم تأل جهدا لإنشاء نقاط

---

[1] **سعيدوني (ناصر الدين)** : *الأندلسيون المورسكيون بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر*، الجزائر، (د.ت)، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، ص 107-108.
بوطي (جمال) و عطية (عبد الكامل): « الهجرة الأندلسية الأخيرة وانعكاساتها على المهاجرين الأندلسيين في اسبانيا والجزائر 1609-1614 » ، *المجلة التاريخية الجزائرية*، المجلد 5: العدد 2، 2021، ص 539-551.

مراقبة دائمة و حاميات عسكرية متقدمة على طول الشريط الساحلي الجنوبي للبحر المتوسط ابتداء من برقة بليبيا على غاية سبتة و مليلة في المغرب الأقصى. و هكذا فقد تم احتلال مليلة سنة 1497، ثم هنين في 1531-1535 ثم المرسى الكبير بوهران ما بين سنتي 1505-1708 و 1732-1792 ثم وهران خلال فترتي 1509-1708 و 1732-1792 و بعدها قصبة الجزائر من 1510 إلى 1516 ثم بجاية ما بين 1510-1555 ثم عنابة ما بين 1535-1540 ثم بيزرت 1535-1573 ثم الغوليطا 1535-1574 ثم تونس التي أصبحت تحت حمايتها 1573-1574 و 1569 ثم سوسة سنوات 1537-1574 ثم المونستير بتونس سنتي 1550-1554 ثم المهدية سنتي 1550-1553 ثم جربة خلال فترتين هما 1521-1524 و 1559-1560 ثم طرابلس خلال الفترة 1510-1530.[2]

1. الصراع العثماني-الإسباني

إن التواجد العثماني في غرب البحر الأبيض المتوسط يمكن اعتباره صراعا وجوديا و استراتيجيا، يتمثل في استئناف المواجهة بين الإسلام و الصليبية من جهة و السيطرة على البحر المتوسط من جهة أخرى.

لقد كانت من أولويات العثمانيين بعد فشلهم في إعادة فتح الجزيرة الإيبيرية، تأمين الشريط المتوسطي الجنوبي ابتداء من ليبيا إلى وهران بل و المغرب الأقصى كضرورة دينية و سياسية لإلحاق شمال إفريقيا بالخلافة الجديدة، و هو ما انعكس في توافق الإرادة الجماعية لسكان المنطقة و السلطة المركزية في الباب العالي. و لذلك فإن استرداد المدن الساحلية لبلاد المغرب الإسلامي أصبحت مسألة حيوية ما لبثت أن وجدت نفسها في إطار جيوستراتيجي أكبر هو المواجهة بين العالمين الإسلامي و المسيحي في القرن الخامس عشر. و لا يتعارض انتزاع العثمانيين للشريط

[2] أنظر:

FUCHS (Barbara) & **LIANG (Yuen-Gen)**: « A Forgotten Empire: The Spanish-North African Borderlands », *Journal of Spanish Cultural Studies*, 12:3, 2011, p. 261-273. DOI: 10.1080/14636204.2011.658695.

BA (Daha Chérif): « Les colonies portuaires espagnoles au Maghreb du XVI^e^ au XX^e^ siècle 2ème Partie », *Insaniyat*, 49, 2010, p. 73-93. DOI : https://doi.org/10.4000/insaniyat.4363.

المتوسطي الجنوبي من تونس إلى وهران من أيدي القوات الصليبية الإسبانية مع البعد الاقتصادي المتمثل في التوسع التجاري بالتحكم في الموانئ و تطوير الأساطيل و الأساليب البحرية في تلك الفترة.

إن الحديث عن العمران يقودنا حصريا إلى الإحصائيات و ديمغرافيا الأندلس. فالتقديرات تتضارب حول عدد الأندلسيين في شبه الجزيرة بداية، ثم عدد الذين هاجروا من ديارهم نحو مختلف أصقاع العالم. ففي حين تتقارب الأرقام حول العدد الإجمالي المقدر بحوالي 300.000 نسمة، فإن مصادر أخرى تقدر سكان شبه الجزيرة الإبيرية الكلي آنذاك بحوالي ثمانية ملايين ونصف مليون نسمة مما قد يرفع عدد المهاجرين إلى فئة الملايين[3].

و مهما يكن من تقديرات فإنه امتدادا للطلب الحثيث للأندلسيين النجدة من الباب العالي الذي أصبح الممثل الشرعي للخلافة و لوجود المسلمين في العالم، فقد تولي الأسطول العثماني مهمة نقل المهاجرين الأندلسيين إلى شواطئ شمال إفريقيا، و تأمين الحماية للمورسكيين العالقين في شواطئ إسبانيا. فقد ذكرت بعض المصادر أن قادة الأسطول العثماني خلفوا ألف مقاتل من العسكر يحرسون جماعة المسلمون الباقية، فتكررت هذه العملية سبع مرات، نقل فيها سبعين ألف من الأندلسيين إلى الجزائر. ولم يكتف أهل الأندلس بالاستنجاد بخير الدين بربروس بل طلبوا المساعدة أيضا من السلطان العثماني سليمان القانوني عام (948هـ-1541م)[4]

من المؤكد أن هبّة العثمانيين و تقديمهم السند لسكان المنطقة كان له أثره الإيجابي البليغ على باقي المهاجرين بل و على سكان منطقة شمال إفريقيا كلها. و لذلك فإن إلحاق الجزائر أو المغرب الأوسط آنذاك بالخلافة العثمانية قد يكون له تأثيره المباشر في تفضيل هؤلاء المهاجرين الجزائر للاستقرار رغم اعتقادهم بأن تلك الإقامة مؤقتة في انتظار العودة إلى الديار. و قد ازداد هذا التأثير مع صعود دور الأسطول الجزائري العثماني الذي استفاد كثيرا من الخبرات المحلية و الأندلسية.

JAP (Jones): *Challenging History: Europe 1500-1600*, Surrey, Thomas Neslon, 1997.

[4] **بلغيث (محمد الأمين)** :*فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي*، الجزائر، أنتير سيني، 1428هـ/2007م.

إن الفرصة التاريخية المأمولة لدى كثير من الأندلسيين هو أساسا النجاة من البطش الصليبي ثم استرجاع الأرض أو الفردوس المفقود، و العودة السريعة إلى البلاد الضائعة. و يكون للكثيرين من هؤلاء الانخراط في الاسطول العثماني الجزائري فرصة للمقاومة و الجهاد.

و بذلك فقد تحول المغرب الأوسط -الجزائر فيما بعد- إلى أخطر بلد يهدد أمن واستقرار إسبانيا المسيحية بسبب الوجود الموريسكي المكثف على الشواطئ و تداخله مع الحضور العثماني، مما أعطى للصراع نفسا طويلا دام ثلاثمائة سنة[5].

2. دينامية التعمير و التمدن البحري مظاهر التطور العمراني

من مظاهر التطور العمراني البارز للتواجد العثماني في المنطقة، النمو الديمغرافي غير المسبوق الذي نتج عن الهجرات الجماعية المكثفة و المتتالية لسكان الأندلس. فقد حدث أن تشبعت الكثير من المدن القائمة بالوافدين إلى حد فاض فيها السكان خارج الأسوار، كما هو حال مدينة الجزائر العاصمة أوائل إلحاقها بالحكم العثماني[6].

فما هي مظاهر العمران في شمال إفريقيا الذي ارتبط بالتواجد العثماني و الذي تزامن مع سقوط الأندلس و نكبة أهلها؟ و كيف قام العثمانيون بإدارة تلك المدن طيلة القرون الثلاثة التي ارتبطت بملامح السلطة الجديدة و حافظت في نفس الوقت على طابعها المحلي؟ و ما هي إسقاطات تلك الحركة العمرانية على نمط التوزيع السكاني الجغرافي في المنطقة؟ تلك هي الأسئلة الرئيسية التي سيتطرق إليها البحث.

---

[5] **المدني (أحمد توفيق)**: *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792*، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1965.

[6] **بن حموش (مصطفى)**: *المدينة و السلطة في الإسلام: الجزائر في العهد العثماني*، دمشق، دار البشائر للطباعة و النشر، 1999.

1.2-التنمية الزراعية

شهد القطاع الزراعي نهضة كبيرة نتيجة المساهمة الكبرى للمهاجرين الأندلسيين في هذا المجال و ذلك بفضل خبراتهم في الوطن الأم. فقد عرفت المنطقة بروز تقنيات زراعية و مائية متطورة، وارتفعت نسبة الأراضي المستصلحة و محاصيلها في سهل متيجة، و في عنابة، وتلمسان ووهران. كما اشتهرت الكثير من المناطق بإنتاج مختلف أنواع الفواكه، مثل حب الملوك والإجاص، والتفاح والبرتقال، والعنب إلى جانب زراعة الزيتون والخضر والفواكه، و زراعة التوت والأرز والقطن في كل من مستغانم ومليانة وعنابة.

2.2-النهضة الاقتصادية

لم تقتصر إسهامات الأندلسيين على الفلاحة، كون الكثير من الفئات الاجتماعية الأخرى كانت تتمتع بمهارات عالية. فقد شهد القطاع الحرفي و المهني تطورا غير مسبوق في مدن شمال إفريقيا كان له الأثر الكبير في توسع الأسواق و تنوع البضائع و السلع. لقد برعت الجاليات المهاجرة في العديد من المهن و الحرف مثل الخياطة (جلود، حرير، أقمشة)، والنجارة والحدادة و البناء. و لا تزال الكثير من الصناعات التقليدية التي تتوفر في الأسواق مثل القطيفة والشبيكة النسوية شاهدة على براعة المرأة الأندلسية في الجزائر حسب ما تبينه وثائق الأرشيف العثماني بالجزائر.

و لعل صدور الفرمان الذي يأمر بعدم منع الإطارات الأندلسية من تقلد مناصب عليا و ممارسة أعمال نبيلة مثل الطب و الفتوى و غيرها، و حمايتهم من السكان المحليين هو أكبر دليل على مدى استحواذ الاندلسيين المهاجرين على الكثير من الحرف مما قد يكون أثار حفيظة أصحاب بعض السكان المحليين الذين يكونون أقل مهارة[7].

[7] مركز الأرشيف الوطني الجزائري، مهمة دفتري رقم 23 صحيفة 121حكم رقم 244. أنظر كذلك **بن حموش (مصطفى)** : *المدينة و السلطة في الإسلام: نموذج الجزائر في العهد العثماني.*

3.2-شبكة الماء و الري

لعل أبرز مظاهر العمران الذي لا تقوم كلا من المدن و الزراعة إلا به هو الماء الوافر. فمن خلال الوثائق العثمانية فإن شبكة تزويد المدينة بالمياه شهدت توسعا كبيرا خلال الفترة العثمانية تماشيا مع التطور الديمغرافي و تزايد الطلب و التحكم في تقنيات جلب الماء و تصريفه.

و لعل النموذج البارز لهذه الأشغال الكبرى التي تركت بصماتها على المشهد الإقليمي هو إنشاء القناطر العلوية الحاملة لقنوات المياه، و كذلك الأنفاق التي تخترق الجبال و المناطق المرتفعة بحكم قانون انحدار المياه من منابعه نحو المدن و المحافظة على نظافته. ففي حالة الجزائر التي كانت تعتمد سابقا على المياه الجوفية و الآبار الأرتوازية التي يقوم بها السكان و التي تتوفر في كل بيت، شهدت المدينة أشغالا عديدة و متلاحقة تمثلت في بناء تلك القنوات. فقناة الحامة التي قام بالإشراف عليها أحد من أهل الخبرة الأندلسيين، سطا موسى الأندلسي، كانت تجلب الماء من مصادر تبعد حوالي 5 كلم عن المدينة[8]. أما قناة تيلملي التي تدخل من جهة الباب الجديد أعالي المدينة، فيبلغ طولها حوالي 2 كلم. أما قناة بير طرارية و التي تنطلق من حصن الإمبراطور، فإنها تدخل المدينة من طريق باب الواد، فيما كانت قناة عين الزبوجة التي تبلغ حوالي 19 كلم، تنطلق من بن عكنون، مرورا بمنطقة الثغريين "الطغارة"، لتزود المدينة هي الأخرى من الجهة العلوية. و من الشهادات التاريخية التي تعكس قيمة هذه الشبكة و أهميتها الحيوية، هو الاعتماد الكلي للسلطات الفرنسية طيلة الفترة الأولى من استيلائها على المدينة التي استمرت إلى سنة 1845، حيث لم تشرع في تطوير نظام جديد مناسب لتوسع المدينة إلا بعد ذلك التاريخ[9].

4.2-تطوير الموانئ و تحصينات المدن

من تبعات الاهتمام الإستراتيجي بالمدن البحرية و ضرورة استمرار التفوق العسكري هو تطوير الموانئ و إنشاءها إذا اقتضى الأمر، و هو ما حدث في عدة مدن قائمة خلال الفترة العثمانية. فميناء الجزائر يشهد بتلك الجهود الضخمة التي

[8]**KLEIN (Henri)** : *Feuillets d'Al-Djezair*, Année 1937, p. 189-190.
[9]**KAMECHE-OUZIDANE (Dalila)** : « Les aqueducs à souterazi de la Régence d'Alger », *e-Phaïstos*, II-2, 2013, p. 73-84.

اقتضت ربط تلك الجزر الصغيرة المقابلة للمرفأ المدينة ببعضها و إنشاء الرصيف الذي يشبه عنق الزجاجة، و ذلك بهدف توفير حماية السفن من الرياح و تسهيل نقل البضائع و الإقلاع[10].

كما عرف ميناء مدينة بجاية الذي ارتبط منذ العهد الحفصي بالتجارة مع المدن المتوسطية مثل جنوة و نابولي و مرسيليا، الاهتمام البالغ لدى رياس البحر العثمانيين. فقد كان تحت سيطرة القوات الإسبانية منذ سنة 1510، و لم يتحرر إلا سنة 1555 على يد صالح رايس بمساعدة الأهالي. و قد شهد مواجهات عديدة مع الأساطيل الأوربية كما هو الحال مع الأسطول الإنجليزي سنة 1671[11].

أما ميناء وهران، فهو بدوره كان مسرحا للأحداث و المواجهات. فقد دام احتلال القوات الكاثوليكية الإسبانية له في إطار متابعة المهاجرين الأندلسيين منذ سنة 1509 إلى غاية 1791 بعد أن نجح حسن باشا من انتزاعه من أيديهم.

و نظرا للوضع الجيوسياسي خلال الفترة العثمانية، فقد كانت المدن الجزائرية الساحلية تحت التهديد الدائم من القوات البحرية الأوربية. وقد استمرت تلك التهديدات و الهجومات منذ أول عهدة للحكام العثمانيين سنة 1516 في المنطقة إلى غاية سقوط المنطقة في أيدي الاحتلال الفرنسي 1830.

و لذلك فقد كانت مدينة الجزائر تلقب بدار الجهاد، ذلك الوصف الذي يعبر فعلا عن الدور العسكري للشريط البحري لمدن شمال إفريقيا في مواجهة الامتداد الأوربي نحو الجنوب و دور المدن في رد القوات الصليبية التي كانت تعتبر الإسلام خصما دائما لها. و لذلك فإن عمران المدينة و نمطها العمراني كثيرا ما يمكن تفسيره بهذا الطابع الدفاعي و التسلح الدائم استعدادا للمواجهة البحرية.

تعكس خريطة بيري ريس بكل وضوح الاهتمام الإستراتيجي للعثمانيين بالمدن منذ أول نزول لهم في المنطقة، و ذلك بحكم ضرورة السيطرة البحرية و التفوق العسكري. فالمدن الجزائرية المذكورة في الخريطة هي المرسى الكبير و وهران و

[10]**LESPÈS (René)** : « Le port d'Alger », *Annales de Géographie*, t. 30, n°165, 1921, p. 195-222. DOI : https://doi.org/10.3406/geo.1921.8981.
[11]**Association GEHIMAB** : *L'Amiral Turc Piri Reis à la Zawiyya-Institut Sidi Touati Béjaïa (1495)* , Laboratoire LAMOS, Université de Béjaïa, http://gehimab.org/depliants/depliants/depliant25.pdf.

مستغانم و تنس و شرشال و الجزائر و بجاية وعنابة كان لها الدور الأساسي في الدفاع البحري[12]. و من الواضح من خلال تفاصيل الخريطة التي تتعلق بكل مدينة أن صاحب الخريطة صب اهتمامه الدقيق بشكل الشواطئ و الخلجان و الرؤوس و الموانئ و اكتفى بالواجهة البحرية لتلك المدن، أو ما يظهر للمشاهد بحسب موقعه في البحر متجها نحو تلك المدن أو عابرا لها. و بقول آخر فإن تلك الخرائط بحكم استعمالها البحري لم تشمل ملامح تلك المدن على اليابسة و تحدد شوارعها و مبانيها و حصونها بشكل دقيق.

و من هذا الجانب فإن من أبرز مظاهر التطور العمراني خلال العهد العثماني هو تنمية المدن القائمة و إنشاء المدن الجديدة ثم إدارتها طيلة فترة التواجد العثماني في شمال إفريقيا. من المؤكد أن العديد من المدن القائمة إلى يومنا هذا قد كانت موجودة قبل العهد العثماني بزمن طويل، كما تشير إليه خرائط بيري رايس. غير أن التدفق الهائل للمهاجرين الأندلسيين الذي صاحبه تسلم العثمانيين قيادة المنطقة أدى إلى توسع كبير في المدن والمستوطنات القائمة و ازدياد عددها. ففي مقابل الطرد الجماعي للأندلسيين كان هناك استيطان كثيف و جماعي لهؤلاء المهاجرين في هذه المدن التي أصبحت تخضع للحكم العثماني. فقد شهدت الجزائر كعاصمة جديدة للإقليم العثماني توسعا كبيرا حول النواة الحضرية المسماة بالقصبة القديمة واكتظاظا غير مسبوق أدى إلى ظهور الأرباض فيها. فبعد الاستيلاء على الميناء و حصن البنيون كان لزاما على الحكام العثمانيين إنشاء أسوار جديدة حول المدينة و حصون للدفاع عنها. و لذلك فقد أنشئ السور الجديد حول الهضبة ليوفر المساحة الكافية للتوسع العمراني و إقامة السكان الجدد الوافدين سواء من العثمانيين أو الأندلسيين[13].

وتكون بذلك المدن القائمة الأخرى مثل بجاية و مستغانم و دلس و عنابة، كما هو حال كل من تونس و المغرب الأقصى، قد شهدت نفس الظاهرة، حيث

[12]**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Pirî Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°15-16. Mélanges Le Tourneau, II, 1973, p. 159-168. Doi : https://doi.org/10.3406/remmm.1973.1236.

[13] **بن حموش (مصطفى)** : *المدينة و السلطة في الإسلام. نموذج الجزائر في العهد العثماني.*

أصبحت الجالية الأندلسية جزءا من النسيج الاجتماعي الحضري بها إن لم تكن الغالبة في البعض منها.

أما مدينة شرشال فإنها تقدم نموذجا آخر للتطور العمراني الذي حدث في ضوء الإدارة العثمانية والمتمثل في إحياء المستوطنات المندثرة. فالمدينة التي لم يعد لها ذكر في كتب التاريخ، و التي تكون قد اندثرت و احتفظت بآثار شوارعها و بعض معالمها السابقة و بقايا مواد البناء يكون هو الدافع لإعادة إحياءها و تحفيز المهاجرين الأندلسيين لإعمارها و استغلال أطلالها لتطويرها و توسيعها. و قد كان للإدارة العثمانية الفتية دورها الفعال في تطوير ميناء المدينة و استقرار السكان المهاجرين الأندلسيين فيها و بسط الحماية عليهم[14].

أما النموذج العمراني الثالث فيتعلق بالمدن الجديدة التي نشأت بالموازاة مع تشبع المدن القائمة. فمدينتا البليدة والقليعة اللتان تقعان في سهل متيجة الخصب تشهدان بكل تأكيد مباشرة إنشاءهما بفضل التدخل العثماني المباشر لدى أهالي المنطقة و شيوخها، الذين تنازلوا عن الأراضي و قدموا التسهيلات المطلوبة لذلك و ساهموا بجانب المهاجرين في تشييدها و تنميتها.

و من مقتضيات التطور العمراني إن هذه المدن تحتاج إلى التواصل فيما بينها سواء من حيث الحاجة التجارية أو الاجتماعية أو الدفاعية، و هو ما دفع بالإدارة العثمانية بتطوير و توسيع شبكة الطرق. فوثائق الأرشيف العثماني تقدم لنا الأدلة على ذلك، من خلال عمليات استملاك الأراضي التي تمر بملكيات القبائل و العروش. و هكذا فإن الكثير من الطرق و المسارات الموجودة يعود أصلها إلى تلك الفترة[15].

---

[14] **CHENNAOUI (Youcef)**: « The forms of urban transformations of the roman city in the medina of Cherchell ». In *The Mediterranean Medina*, Micara Ludovico, Petruccioli Attilio and Ladini Ettore eds, International Seminar, Roma, Gangemi Editore, 2009, p. 39-43.

[15] **بن حموش (مصطفى)** : *فقه العمران الإسلامي: من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830*، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، 2000.

5.2-إدارة المدن

لا يقتصر العمران على إنشاء المدن و توسيع شبكة الطرق و المواصلات، بل يتعدى إلى مجال لا يقل أهمية عنه و هو إدارة تلك المجمعات الحضرية و ضمان حسن سيرها. و في هذا السياق فإن المراجع التاريخية المتعددة سواء من سجلات البايلك أو القرارات الفرمانية أو بيت المال أو كتابات الرحالة أو مذكرات الأسرى المسيحيين و كذلك من خلال تقارير سلطات الاحتلال الفرنسي التي استولت على المدن، تؤكد وجود نظام إداري حضري متكامل و متطور.

فالجهاز الإداري للمدينة سواء من حيث هيكلته و التشريعات التي كان يقوم عليها و التركيبة البشرية التي تسهر عليه، شهد تطورا مطردا ساير مظاهر العمران و مقتضيات الحياة المدنية للمجتمعات الحضرية آنذاك. فبخلاف الوجود المعماري المحتشم للعثمانيين في المدن، حيث اكتفوا بتشييد بعض المساجد و القلاع و الحصون و المنشآت الكبرى، فإن الجهاز الإداري يعتبر أكبر إنجاز لهم في مجال تخطيط المدن.

فقد تميز الجهاز الإداري الحضري العثماني بالمرونة العالية و الهرمية الدقيقة و نظاما تشريعيا قام بإرساء الأعراف الإدارية في المعاملات التجارية و الاجتماعية و القضائية. و لعل الاطلاع على الكم الضخم من الأرشيف العثماني في عواصم البلدان التي كانت تابعة للحكم العثماني و في إسطنبول، يغني عن الاسترسال في هذا الموضوع. فهو يقدم لنا نماذج متعددة من الوثائق الشرعية الخاصة بالحالة المدنية، و سجلات الأوقاف و الأحباس و البيوع و الإيجار، و معايير مراقبة الأسواق، و مصاريف الخدمات و المرافق و غير ذلك من المعاملات الجارية في المدينة[16].

أما من حيث توزيع المسؤوليات، فإن الجهاز الإداري يفيدنا بمدى التكاليف و المهام التي ترمي إلى ضمان حسن الإدارة الحضرية. ففي الوقت الذي كان فيه جهاز خاص بالأسواق يتعلق بالمراقبة و التنظيم يقوم عليه المحتسب و يساهم فيه المختصون وذوي الخبرة من كل حرفة، فقد كان كذلك نظام يتعلق بالمجال السكني و الأحياء، يقوم عليه أعيان تلك الأحياء و شيوخها، و يشرف عليه شيخ البلد. أما

[16] **بن حموش (مصطفى)** : *فقه العمران الإسلامي: من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830*.

الخدمات العمومية مثل النظافة و الماء و حركة السير و الفضاء المحيط بالمدينة خارج الأسوار المسمى باسم الفحوص، فقد كانت تحت مسؤولية قادة مكلفين بمراقبتها و ضمان تسييرها، كما هو حال قايد العيون و قايد الشواري و قايد الفحص، و غيرهم.

إن تحليل النظام الإداري الحضري العثماني من جوانبه القانونية و هيكلته البشرية و المالية تدفع إلى القول بوجود نمط ذاتي *self-organisation* سمح للمدن بالاستدامة و الاستمرارية كما تؤكده التقارير الفرنسية التي تؤرخ للمدينة خلال السنوات الأولى من احتلالها. فقد كانت أجهزة الأوقاف التي مست أغلب الأنشطة الحضرية القائمة في المدينة، مثل التعليم و الصحة و الإيواء و العبادة و الحماية، تشكل النظام المالي المستقل عن القرارات الفوقية. أما شغل المواريث المخزنية فقد كان بمثابة بيت مال الدولة المكلف بمتابعة المواريث و حقوق المال العام[17].

الخاتمة

ارتبطت حركة النمو العمراني و شبكة المدن ببلدان شمال إفريقيا و المغرب الأوسط أيما ارتباط بنزوح العدد الكبير من المهاجرين الأندلسيين. فقد كان انتقالهم الجماعي نحو الشواطئ الإفريقية، أشبه بانزلاق مدن بأكملها من الجزيرة الإيبيرية نحو بلدان المغرب الكبير. وقد جاء ذلك نتيجة اتباع السلطات الصليبية الإسبانية سياسة التهجير و إفراغ المدن من سكانها المسلمين و تسليمها للسكان المسيحيين. أما من الجهة الأخرى، فقد كانت هناك لدى العثمانيين ما يشبه سياسة تعمير محكمة لإدماج هؤلاء المهاجرين بشمال إفريقيا.

و لعل من أبرز مظاهر التنمية العمرانية بالإضافة إلى إنشاء المدن و تحصينها و توفير الخدمات و المرافق فيها، هو تأسيس إدارة حضرية مرنة و فعالة، تتشكل أساسا من مجالين مختلفين ولكن متكاملين. فالمجال الأول يتمثل في السلطة العامة و الذي يتجسد في التحصينات و المساجد و البوابات و دور الحكم، و التي كانت تحت المراقبة الدائمة و المباشرة و الصارمة للإدارة. أما المجال الثاني فيتعلق

[17] **لنوار (صبرينة)** : « آليات تسيير مؤسسة بيت المال في الجزائر خلال العهد العثماني »، *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية*/جامعة بابل، العدد 26، 2016، ص 89-97.

بالفضاء المجتمعي المتمثل في الأحياء السكنية و الفئات الإثنية المتنوعة التي عرفت إدارة تفويضية و فيدرالية يعود الأمر فيها للسكان و الأفراد.

و على هامش هذه التنمية العمرانية فإن الواقع المعاش قد عكس بعض النقائص الأكيدة و التي أثرت بدورها على المدن. فقد عرفت هذه المدن الازدواجية الإدارية و القضائية بسبب الاختلاف العرقي و المذهبي بين الطبقة الحاكمة التي كانت في أغلبها من الأتراك و الأعاجم من جهة، و السكان المحليين الذين يتشكلون من العرب و البربر و المهاجرين الأندلسيين و اليهود و الأسارى من جهة أخرى. لقد تجسد ذلك في التعايش المذهبي الحنفي المالكي في مدن المغرب الأوسط خلال الفترة العثمانية كلها. و كذلك من خلال ازدواج الوظائف القضائية و الإدارية و تواجد مساجد و محاكم خاصة بكل مذهب. و هكذا فقد احتفظت ذاكرة المدن بوقائع و اختلافات عديدة فتحت المجال لنقد الوجود العثماني في المنطقة.

كما تبين الشبكة الحضرية للمدن لهذه السياسة التي تقوم على النشاط البحري التواجد المكثف للمستوطنات البشرية من مدن و قرى على الشريط الساحلي. بمعنى آخر، فقد كان أحد أسباب اختلال التوازن العمراني بين الشريط الساحلي و المناطق الداخلية بالمنطقة، التي عرفت بالتواجد الإداري المحتشم و الاكتفاء بالولاء الصوري للدولة العثمانية.

المراجع

المراجع باللغة العربية

-**بلغيث (محمد الأمين)** : *فصـول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي*، الجزائر، أنتير سيني، 1428هـ/2007م.

-**بن حموش (مصطفى)** : *المدينة و السلطة في الإسلام: الجزائر في العهد العثماني*، دمشق، دار البشائر للطباعة و النشر، 1999.

-**بن حموش (مصطفى)** : *فقه العمران الإسلامي: من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 1549-1830*، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، 2000.

- **بوطي (جمال) و عطية (عبد الكامل)** : « الهجرة الأندلسية الأخيرة وانعكاساتها على المهاجرين الأندلسيين في اسبانيا والجزائر 1609-1614 »، *المجلة التاريخية الجزائرية*، المجلد 5: العدد 2، 2021، 539-551.

-**سعيدوني (ناصر الدين)** : *الأندلسيون المورسكيون بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر*، معهد التاريخ، الجزائر،(د.ت)، جامعة الجزائر.

-**لنوار (صبرينة)** : « آليات تسيير مؤسسة بيت المال في الجزائر خلال العهد العثماني » ، *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية*/جامعة بابل، العدد 26، 2016، 89-97.

-**المدني (أحمد توفيق)** : *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792*، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1965.

المراجع باللغات الأجنبية

-**Association GEHIMAB** : *L'Amiral tuc Piri Reis à la Zawiya-Institut Sidi Touati, Béjaïa (1495)*, Laboratoire LAMOS, Université de Béjaïa, http://gehimab.org/depliants/depliants/depliant25.pdf.

-**BA (Chérif Daha)** : « Les colonies portuaires espagnoles au Maghreb du XVI^{e} au XX^{e} siècle, 2ème Partie », *Insaniyat*, 49, 2010, 73-98.

-**CHENNAOUI (Youcef)** : « The forms of urban transformations - of the roman city in the medina of Cherchell », in *The Mediterranean Medina*, Micara Ludovico, Petruccioli Attilio and Ladini Ettore eds.», International Seminar, Roma, Gangemi Editore, 2009, 39-43.

-**FUCHS (Barbara)** & **LIANG (Yuen-Gen)** : « A Forgotten - Empire: The Spanish-North African Borderlands », *Journal of Spanish Cultural Studies*, 12:3, 2011, 261-273.

-**JAP (Jones)** : *Challenging History: Europe 1500-1600*, Surrey, Thomas Neslon, 1997.

-**KAMECHE-OUZIDANE (Dalila)** : « Les aqueducs à souterazi de la Régence d'Alger », *e-Phaïstos*, II-2, 2013, 73-84.

-**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Pirî Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 15-16, 1973, 159-168.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 2 العدد: 1جوان 2022 ص ص 24-48
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2022/5/25) تاريخ القبول (2022/6/14) تاريخ النشر (2022/6/30)

البحّار بيري رايس في الدراسات الإستشراقية:
كتاب "بحرية" في عرض المؤرخ الفرنسي روبار مونتران

The Sailor Piri Reis in the Oriental Studies:
The Book "Kitab-i Bahriye" in the Presentation of the French Historian Robert Mantran

بوغفالة ودان♦
جامعة إبن خلدون، تيارت
البريد الإلكتروني : ouddene.boughoufala@univ-tiaret.dz

ملخص:

يعتبر المؤرخ الفرنسي روبار مونتران (Robert Mantran) أحد أبرز الباحثين الفرنسيين الذين اهتموا منذ وقت مبكر بالتاريخ والثقافة التركية في النصف الثاني من القرن العشرين. اشتهر بعدة تآليف في تاريخ تركيا ومدينة استانبول وتاريخ الدولة العثمانية. نشر باللغة الفرنسية في مجلتي "العالَمَيْن الإسلامي والمتوسط" (ROMM)، و"حوليات إسلامية" (Annales Islamologiques) دراسات هامة عن السواحل المتوسطية من خلال كتاب البحرية لبيري رايس، عرّف بالمؤلف في عرضه التقييمي، واعتبره أول رسام خرائط تركي، وضع عدة خرائط جلية للعالم، منها ما خصّ به المنطقة المتوسطية. حيث استعرض بيري رايس حسبه في القسم الأول من الكتاب تحديات الملاحة والإبحار، أما في القسم الثاني منه، فقدّم وصفا دقيقا للسواحل المتوسطية، ومنها السواحل الجزائرية والتونسية والمصرية والفرنسية، وأعطى معلومات في غاية الأهمية عن الموانئ والمراسي وكيفية الوصول إليها.

ويرى المستشرق مونتران أن بيري رايس قدّم خدمة جليلة لربّان سفن البحرية العثمانية مكنتهم من الإبحار بسهولة في السواحل المتوسطية. والمعلومات التي جمعها، كان قد استقاها شخصيا من معاينة ميدانية، وملاحظة شخصية، وخبرة طويلة، تعود إلى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. فمنذ متى تُرجِمت هذه الرحلة

♦ المؤلف المرسل

إلى اللغة الفرنسية، وبدأ الاهتمام الدولي بها؟ وما هي طبيعة الخرائط التي وضعها، وما مصداقيتها، وعلاقتها بالخرائط البحرية الأصلية للأوائل من البحارة الأوربيين؟ ويمتد السؤال في طرح روبار مونتران، إلى حقيقة المعلومات الواردة في التراجم التي تعرف بالبحّار بيري رايس، ومدى مطابقتها للواقع والمنطق؟

الكلمات المفتاحية:

بيري رايس؛ كتاب بحرية؛ الإستشراق؛ روبار مونتران؛ المتوسط.

Abstract:

The French historian Robert Mantran (1917-1999) is considered one of the most prominent French researchers who have been interested in Turkish history and culture from an early age in the second half of the twentieth century. He is famous for several books on the history of Turkey, the city of Istanbul, and the history of the Ottoman Empire. He published in French in the journals *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée* (ROMM) and *Annales Islamologiques* essential studies on the Mediterranean coasts through "Kitab-i Bahriye", a book written by Piri Reis. He introduced the author in his review, considering him the first Turkish cartographer, who made several clear maps of the world, including the Mediterranean region. Piri Reis reviewed the challenges of navigation and sailing in the first section of the book. In the second section, he accurately described the Mediterranean coasts, including the Algerian, Tunisian, Egyptian and French coasts, and gave crucial information about ports and marinas and how to reach them. The orientalist Mantran believes that Piri Reis rendered an excellent service to the captains of the ships of the Ottoman Navy, which enabled them to sail quickly on the Mediterranean coasts. He collected data from field inspection, personal observation, and long experience dating back to the late fifteenth century AD. Since when was this trip translated into French to gain international interest? What is the nature of the maps that he drew, their credibility, and their relationship to the original sea charts of the first European sailors? The question, posed by Robert Mantran, extends to the truth of the information contained in the translations that present the sailor Piri Reis, and their conformity with reality and logic.

Keywords:
Piri Reis; Kitab-i Bahriye; Orientalism; Robert Mantran; Mediterranean.

مقدمة:

يعتبر المؤرخ الفرنسي روبار مونتران من الباحثين الفرنسيين البارزين الذين اهتموا منذ وقت مبكر بتاريخ تركيا وثقافتها في النصف الثاني من القرن العشرين. اشتهر بعدة تصانيف في تاريخ تركيا ومدينة استانبول وتاريخ الدولة العثمانية، ونشر باللغة الفرنسية بمناسبة صدور الجزء الثاني من تكريم المؤرخ والمستشرق الفرنسي روجي لوتورنو (*Roger Le Tourneau*, 1907-1971) في مجلة العالَمَيْن الإسلامي والمتوسط (Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée) سنة 1973م دراسة بعنوان "وصف السواحل الجزائرية في كتاب البحرية لبيري رايس". ثم عاد مرة ثانية لهذه الرحلة، ونشر بنفس المجلة في تاريخين مختلفين عن تونس وفرنسا، دراسة بعنوان "وصف الساحل التونسي في كتاب البحرية لبيري رايس" طبعت عام 1977م، ودراسة أخرى بعنوان "وصف السواحل المتوسطية الفرنسية في كتاب البحرية لبيري رايس" التي طبعت بتاريخ 1985م. أما "وصف السواحل المصرية في كتاب البحرية لبيري رايس" فخصّه بدراسة نشرها سنة 1981م بطلب من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (IFAO) في مجلته الموسومة "الحوليات الإسلامية".

عرّف روبار مونتران في عرضه التقييمي لكتاب البحرية بمؤلفه بيري رايس، نسبه وهُويته، ورحلته في السواحل المتوسطية مع خاله (عمّه) كمال رايس، ثم مع خير الدين بربروس. اعتبره أول رسام تركي للخرائط، وضع عدة خرائط جلية للعالم، منها ما خصّ به المنطقة المتوسطية، وتضمنته رحلته "كتاب بحرية" الذي حرره عام 1521م، ونقّحه وعدّله عام 1525م. وهو عبارة عن توجيهات بحرية ووصف لكل سواحل البحر الأبيض التوسط تقريبا.

استعرض بيري رايس في القسم الأول من الكتاب تحديات الملاحة والإبحار، من مد وجزر، ورياح وعواصف، ومراسي معلومة. أما في القسم الثاني منه، فقدّم وصفا دقيقا للسواحل المتوسطية، ومنها السواحل الجزائرية والتونسية والمصرية والفرنسية، وأعطى معلومات في غاية الأهمية عن الموانئ والمراسي وكيفية الوصول

إليها، وركّز بصفة استثنائية على المزالق والمخاطر والرؤوس البحرية، والمياه الضحلة وتضاريس الجرف القاري، والجزر والمعالم.

ويرى المستشرق مونتران أن الملاّح بيري رايس قدّم خدمة جليلة لربّان سفن الإغارة العثمانية مكنتهم من الإبحار بسهولة في السواحل المتوسطية. والمعلومات التي جمعها، كان قد استقاها شخصيا من معاينة ميدانية وملاحظة شخصية وخبرة طويلة تعود إلى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. فمنذ متى تُرجِمت هذه الرحلة إلى اللغة الفرنسية، وظهر الاهتمام الدولي بها؟ وما هي حقيقة الخرائط التي وضعها، وما مصداقيتها، وعلاقتها بالخرائط البحرية الأصلية للأوائل من البحارة الأوربيين؟ ويمتد السؤال في طرح روبار مونتران، إلى حقيقة المعلومات الواردة في التراجم التي تعرف بالبحّار بيري رايس، ومدى مطابقتها للواقع والمنطق؟[1]

1. المؤرخ روبار مونتران (1917-1999م) ورحلة الدراسات العثمانية :

ولد المؤرخ الفرنسي روبار مونتران بمدينة باريس في 1917/12/19م، وتوفي بمدينة آكس-آن-بروفانس بتاريخ 1999/09/24م. تابع دراساته العليا بجامعة السوربون (Sorbonne)، والتحق بالمعهد الوطني للغات الشرقية الحية، فحاز على دبلوم التخرج عام 1945م. وصار بعدها عضوا بالمعهد الفرنسي للآثار باستانبول إلى غاية 1947م، ليتولى وظيفة أستاذ بثانوية غلطة سراي (Galatasaray) باستانبول، وأشرف على تكوين النخبة بها قبل أن ينضم إلى المركز الوطني للبحث العلمي بفرنسا (C.N.R.S.) بصفته باحثا مشاركا بين عامي (1952-1955م)[2].

توجه مونتران نحو تونس التي أقام بها حوالي خمس سنوات (1956-1960م) قضاها باحثا برتبة مكلف بالبحث، ثم برتبة أستاذ باحث بمعهد الدراسات العليا

[1] جاءت فكرة هذه الدراسة بعد تقديم ورقة في الموضوع بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الرابع حول الموروث المشترك الجزائري العثماني تحت عنوان "على خطى بيري رايس: تاريخ الجزائر خلال القرن 16م من خلال كتاب بحرية"، والمنظم في الفترة ما بين 9-12 مارس 2022 من طرف رئاسة الجمهورية-المديرية العامة للأرشيف الوطني، بكل من الجزائر وجيجل وباتنة وبسكرة.

[2] **TURCAN (Robert)** : « Allocution à l'occasion du décès de M. Robert Mantran, membre de l'Académie » in *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 143e année, 3, 1999, p. 883.

بتونس (I.H.E.T)، وأشرف على التدريس في كلية الآداب والمدرسة العليا للأساتذة بصفته أستاذا محاضرا، فأعطى سلسلة محاضرات للطلبة. لكنه عاد بعدها إلى فرنسا لتدريس اللغة والحضارة التركية، وتدرج في الترقية وصار أستاذا برتبة "بروفيسور" خلال الفترة الممتدة بين عامي (1961-1985م) بجامعة آكس-آن-بروفانس، وكان في الوقت ذاته يتولى تدريس تاريخ الدولة العثمانية بالمدرسة الوطنية للغات الحية الشرقية/المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية لأكثر من عشرين سنة بين سنتي (1965-1989م)[3].

لقد تقلّد المؤرخ مونتران بجامعة بروفانس عديد المسؤوليات العلمية والإدارية، نذكر منها مدير مركز الأبحاث حول إفريقيا المتوسطية التابع للمركز الوطني للبحث العلمي من عام 1965م إلى عام 1969م. كما أشرف أيضا على تسيير معهد علم اللغات العام والدراسات الشرقية والسلافية لمدة عامين من سنة 1971 إلى سنة 1973م، وقسم الدراسات الإسلامية من سنة 1971 إلى سنة 1977م، وفوج الأبحاث والدراسات حول الشرق الأدنى لمدة عشر سنوات (1975-1985م). تلقى دعوات عديدة من مؤسسات عالمية ليحاضر بها كأستاذ زائر، فلبى دعوة كل من جامعات لوس انجلاس والقاهرة ومكسيكو[4].

نال مونتران عضوية الكثير من اللجان، مثل عضويته في المجلس الاستشاري للجامعات، ولجنة اللغات والحضارات الشرقية بالمجلس الوطني للبحث العلمي. كما ترأس اللجنة الدولية للدراسات ما قبل الفترة العثمانية والفترة العثمانية لمدة ثماني سنوات (1980-1988م)، وتولى منصب نائب رئيس الاتحاد الأوربي للمستعربين والمختصين في الدراسات الإسلامية من عام 1986 إلى عام 1990م. انتخبته عام 1972م أكاديمية النقوش والآداب الجميلة (Académie des inscriptions et belles-lettres) عضوا مناظرا، ثم عضوا كاملا عام 1990م، وصار مستشارا باليونسكو، وعضوا بالمجلس العلمي للمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، وعضو المجلس الإداري لمعهد الجامعات الأمريكية، والتحق كذلك منذ 1992م بهيئة إدارة الموسوعة الإسلامية[5].

---

[3] *Ibid*.
[4] *Ibidem*.
[5] *Ibid*, pp. 883-884.

وصف المؤرخ الفرنسي وعالم الآثار روبار تركان (Robert Turcan 1929-2018م) مواطنه ومعاصره روبار مونتران بالقامة العلمية والأكاديمية المتميزة، والحضور العلمي القوي والنشاط المتواصل، ودماثة الخلق، وذكريات صداقته محفورة في الذاكرة لا يطويها النسيان. اختص في تاريخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي عموما، وتحصل على أعلى تكريم فرنسي، برتبة فارس وسام جوقة الشرف (Ordre national de la Légion d'honneur)، والوسام الوطني الفرنسي "السعفات الأكاديمية" (Ordre des Palmes académiques) لتميزه أكاديميا، وبروز شخصيته عالميا في الثقافة والتعليم، ووسام الاستحقاق الحربي (1939-1945م). وله مؤلفات تعد من أساسيات بيبليوغرافيا الدراسات التركية، ويعود له الفضل في جرد الوثائق الأرشيفية لدار الباي بتونس[6].

ناقش مونتران أطروحته للدكتوراه بجامعة السوربون عام 1963م، وقد تم نشرها تحت عنوان: "استانبول في النصف الثاني من القرن السابع عشر، دراسة في تاريخ المؤسسات والاقتصاد والمجتمع"[7]. كما أعيد طبع وإصدار كتابه الموسوم بـ: "الحياة اليومية في القسطنطينية في عهد سليمان القانوني وخلفائه (ق. 16- ق. 17م)[8]، ونال مؤلفه "التوسع الإسلامي (ق. 7 - ق. 11م)" شهرة خاصة، وتم ترجمته من الفرنسية إلى اللغة التركية، وأيضا إلى لغات أوربية أخرى منها الإسبانية والإيطالية والبرتغالية[9]. وعلاوة على هذه النماذج من الأبحاث، ساهم كذلك المؤرخ مونتران بالتعاون مع مجموعة من الباحثين في إصدار سلسلة هامة عن مواضيع مختلفة مثل الضرائب العثمانية، وأوراسيا: شعوب وحضارات (ق. 11- 13م)[10]،

---

[6] *Ibid*, p. 884.

[7] **AYMARD (Maurice)**, **MANTRAN (Robert)** : « Istanbul dans la seconde moitié du XVII^e siècle. Essai d'histoire institutionnelle, économique et sociale », *Annales. Economies, sociétés, civilisations*, 20^e année, 1, 1965. pp. 183-186.

[8] **GOLVIN (Lucien)**, **MANTRAN (Robert)** : « La vie quotidienne à Constantinople au temps de Soliman le Magnifique (XVI^e et XVII^e siècles) », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 1, 1966. pp. 249-251.

[9] **HAMES (Constant)**, **MANTRAN (Robert)** : « L'Expansion musulmane (VII^e-XI^e siècles) », *Archives de sciences sociales des religions*, 65/2, 1988. p. 288.

[10] **DERVILLE (Alain)** : « L'Eurasie. XI^e-XIII^e siècles (Peuples et Civilisations, t. 6), 1982, sous la direction de G. Duby & R. Mantran, par R. Breton, M. Cartier, A. D'Haenens, R. Mantran & H. Platelle », *Revue du Nord*, tome 64, n°254-255, Juillet-décembre 1982, pp. 945-947.

وتاريخ الإمبراطورية العثمانية[11]، والتواريخ الرئيسية في الإسلام[12]، تركيا، الشرق والغرب. وله العديد من الدراسات العلمية المنشورة، وتم جمع البعض منها سنة 1984م، تحت عنوان "الإمبراطورية العثمانية (ق. 16- ق. 18م)، الإدارة والاقتصاد والمجتمع"[13].

2. مخطوط "كتاب بحرية" : النُسخ وترجماتها

أشاد المؤرخ روبار مونتران بكتاب "بحرية" للملاّح بيري رايس (ت. 1553م)، وأثنى على جهود الباحثين الأوائل الذين اجتهدوا في تقديمه للمختصين في التاريخ والثقافة التركية، حتى صار معروفا لديهم. ومن هؤلاء الذين يعود لهم الفضل في ذلك:

- المستشرق باول كهل (باول آرنست كاوله) (Paul Ernst Kahle)، والتفاصيل موجودة بدراسة بيري رايس عند كل من المؤرخ والمستشرق الألماني المختص بالدولة العثمانية فرانز بابِنقر (F. Babinger)[14]، والمؤرخ التركي فؤاد أزقو (Fuad Ezgü) في الموسوعة الإسلامية (Islam Ansiklopedisi)[15].

- إصدار حيدر ألباقوت (Haydar Alpagut) وفوزي كورتوقلو (Fevzi Kurtoğlu) طبق الأصل للنص التركي، وتمت هذه الطباعة تحت عناية مؤسسة التاريخ التركي (Türk Tarih Kurumu) باستانبول عام 1935م مع مقدمة هامة باللغة التركية[16].

---

[11]**CORM (Georges)**, **MANTRAN (Robert)** (dir.) : *Histoire de l'Empire ottoman*, 1989, *CEMOTI*, n°12, 1991. Perception de la révolution française et interprétation de ses concepts : les cas turc et iranien, pp. 227-230.

[12]**EL AHMADI (Mohsine)**, **MANTRAN (Robert)** : « Les Grandes dates de l'Islam », *Archives de sciences sociales des religions*, n°84, 1993. pp. 322-323.

[13]**TURCAN (Robert)**: *Op. cit.*, p. 884.

[14]**BABINGER (Franz)** : « Pīrī Muḥyi 'l-Dīn Reʾīs », in *Encyclopaedia of Islam*, First Edition (1913-1936), Edited by M. Th. Houtsma, T.W. Arnold, R. Basset, R. Hartmann. Consulted online on 14 July 2022 <http://dx.doi.org/10.1163/2214-871X_ei1_SIM_3619>.

[15]**EZGÜ (Fuad)** : « Pîrî Reis », *İA*, IX, 561-563.

[16]**PÏRI REIS** : *Kitab-i-bahriye*, derleyen Haydar Aalpagut, Fevzi Kurtoglu, yaynevi Türk Tarih Kurumu, 1935, 1004 sayfa. (Publications de la Société des Recherches d'Histoire Turques, n°2, Istanbul, 1935).

تعود علاقة المؤرخ روبار مونتران بكتاب "بحرية" إلى عام 1969م، عندما شرع لأول مرة في ترجمة صفحات منه تتعلق بسواحل تونس، ثم رأى أنه من المجدي كثيرا متابعة العمل، وذلك بترجمة الصفحات التي تعني السواحل الجزائرية أيضا، ومن المؤكد أنه عاد إلى النص المترجم إلى التركية بدل النص الأصلي المحرر باللغة العثمانية، لأنه يبرر غياب بعض الصفحات في ترجمته، بسبب احتوائها على خرائط في النسخة طبق الأصل من طبعة الجمعية التاريخية التركية للنص التركي عام 1935م التي اعتمد عليها[17].

لقد تُرجِمت بعض المقاطع من رحلة بيري رايس "كتاب بحرية" إلى اللغة الانكليزية هنا وهناك في مجلات مختلفة، واشتغل أحد طلبة مونتران نفسه، والذي لم يذكر اسمه، على ترجمة بعض الفصول التي تعني الحوض الغربي للمتوسط. ويجزم مونتران عام 1973م بالقول في دراسته أنه لم يعثر على ترجمة فرنسية حديثة لهذه الرحلة، ونصها متاح للإطلاع عليه، غير أنه يستدرك في الهامش ويقول، لقد أُنجِزت ترجمة فرنسية في بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر عام 1756م من طرف د.د. كاردومن (D.D. Cardomne) تحت عنوان كشاف المتوسط، وهي لا تزال كذلك مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 22279[18].

إن المعلومات التي أوردها مونتران عن النسخة المترجمة من الرحلة، والمودعة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، هي مختلفة في حقيقة الأمر عن تلك التي نشرتها المكتبة الوطنية الفرنسية (BNF). فالترجمة لم تنجز عام 1756م كما ذكر المؤرخ مونتران وإنما تمت عام 1765م، والمترجم هو ليس كاردومن (D.D. Cardomne) وإنما دوني دومينيك كاردون (D.D. Cardonne) بحذف حرف الميم وتعويضها بحرف النون. أما العنوان الكامل للنسخة المترجمة فهو: " كشاف البحر الأبيض المتوسط، أو وصف جميع الجزر والسواحل، والمدن والحصون، والرؤوس والنتوءات، والصخور والشواطئ الرملية، الموجودة من مضيق جبل طارق إلى مضيق القسطنطينية". ولا تزال هذه المخطوطة المترجمة موجودة بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس بقسم

[17]**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Pirî Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°15-16, 1973 ; Mélanges Le Tourneau. II, pp. 159-160.
[18]*Ibid*, p. 159.

المخطوطات، ولكن ترقيمها يختلف عن الذي قدّمه مونتران، فعوض ترقيم 22279، نقرأ في الفهرس رقم Fr. 22.972، والترقيم المرجعي بتاريخ 1979/04/27 هو R. 39.950[19].

لا يُعرّف المؤرخ مونتران بالمترجم كاردون المذكور، ويكتفي بذكر اسمه فقط، والمترجم كاردون كما تعرفه نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية هو سكرتير مترجم في الشؤون الخارجية ومكتبة الملك لويس الخامس عشر لعام 1765م[20]. لقد وضعت النسخة الرقمية من مخطوطة كتاب "بحرية" المترجم إلى اللغة الفرنسية على الخط في الموقع الالكتروني للمكتبة الوطنية الفرنسية الرقمية "قاليكا" (Gallica) بتاريخ 12مارس 2012، انطلاقا من مستند بديل أي صورة فوتوغرافية لنسخة أصلية[21].

3. مونتران وبيري رايس : سؤال التحقيق والتشكيك!

1.3- مسار البيوغرافيا :

استعرض مونتران المعلومات التي تضمنتها بعض التراجم الخاصة بالبحّار بيري رايس، ومنها أنه وُلد في حدود عام 869هـ/1465م بشبه جزيرة غاليبولي (Gallipoli) في الجزء الأوربي من تركيا، التي تطل على بحر إيجة في جهتها الغربية وعلى مضيق الدردنيل في جهتها الشرقية. وأن اسمه الحقيقي هو أحمد بن الحاج محمدي قرماني لارندوي (Ahmed. b. al-hadj Muhammed-i Karamanî-i Larendevî)؛ وهو ابن أخ (أو أخت) القرصان العثماني الشهير كمال ريس (1451-1511م)، وتحت إمرته

---

[19] العنوان الكامل للنسخة المترجمة إلى اللغة الفرنسية هو:

Denis-Dominique Cardonne : Le flambeau de la Mer Méditerranée, ou description de toutes les isles, cotes, villes, forteresses, caps, promontoires, rochers et bancs de sable, qui se trouvent depuis le détroit de Gibraltar, jusques à celuy de Constantinople, Bibliothèque nationale de France, Département des manuscrits français, n° 22972, 117 feuillets. - 335 × 215 mm. (https://gallica.bnf.fr/24/06/2022).

بما أن الأعداد المشكلة لترقيم مخطوطة كتاب "بحرية" المترجم إلى الفرنسية جاءت كما هي كلها في نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية كما ذكرها مونتران، ولكن وردت بترتيب مختلف عنها فقط، نرجح أن يكون الخطأ مطبعيا فقط في ترتيب الأرقام.

[20] الملك الفرنسي لويس الخامس عشر (1715-1774م).

[21] https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b9063596h.r, consulté le 24/06/2022.

أبحر عديد المرات في الحوض الغربي للمتوسط، وخاصة على امتداد السواحل الجزائرية والتونسية. وحسب التراجم التي عرّفت ببيري ريس، شرع هذا الأخير في التدرب في مهنة القرصنة عام 1480م، وهو يافع، في سن مبكرة من عمره في حدود خمسة عشر سنة[22]، ورافق خاله كمال ريس[23]، في أول رحلة استكشافية إلى السواحل المغاربية عام 1487م[24].

أثار روبار مونتران شكوكا بخصوص هذه التواريخ، واعترض على جزئية واردة في التراجم الخاصة ببيري ريس. وطرح أنه ينبغي الانتباه إلى الأحداث التي عاشها في نهاية مسيرته، وأخذها بعين الاعتبار في المسار العام لحياته. لقد تم تعيينه عام 1547م أميرالا كبيرا للأسطول العثماني لمصر والهند، أي أسطول البحر الأحمر والمحيط الهندي، وحينها كان يبلغ من العمر اثنين وثمانين سنة، وقاد بهذه الصفة حملة عامي 1552-1553م نحو السواحل العربية والخليج الفارسي بعمر سبع وثمانين سنة، انتهت بمأساة إصدار حكم الإعدام بحقه، وتنفيذه عام 1553م. وعليه، فإن الأرقام والتواريخ المتداولة بهذا الخصوص تعوزها المصداقية صراحة، بعيدا عن أي تأويل للرغبة في الإساءة إلى بيري ريس، أو إلحاق الأذى بهيبته وسمعته. وبناء على ذلك، طرح مونتران فرضية ميلاد بيري ريس في تاريخ متأخر جدا من نهاية القرن السادس عشر، خلافا لما هو شائع، وذلك بسبب عدم تناسب عمره مع المهمة الموكلة له، لأن تواريخ القسم الثاني من حياته لا ريب فيها حسبه[25].

باستثناء هذه المسألة، سلّم مونتران بما ورد في التراجم من تفاصيل، وأكّد أن بيري ريس أبحر على طول السواحل المغاربية، وهذا رفقة خاله كمال ريس خلال الحملات التي يكون قد قام بها بين عامي 1490 و1495، بما أن هذا الأخير توفي عام 1511م. ثم واصل البحّار العثماني بيري نشاطه البحري بما ألفه وتعوّد عليه، مع خير

---

[22] هذا يعني أن بيري رايس وُلد عام 1465م.

[23] يرجح أن بيري رايس هو ابن أخت كمال رايس كما جاء في مذكرات خير الدين بربروس:
دراج (محمد) : *الجزائر في المصادر العثمانية، دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية*، ط 1، الجزائر، دار الوراق للدراسات والنشر، 2017، ص 33.

[24] **MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie … », *Art. cit.*, p. 159.

[25] *Ibid*, pp. 159-160.

الدين بربروس فيما بعد. كما شارك بعدئذ في غزو سوريا ومصر، ثم عاد من جديد إلى شمال إفريقيا، وتم تسميته أميرالا كبيرا عام 1547م على الأسطول البحري العثماني في مصر والهند. إن كان ينتمي فعلا إلى القراصنة، وتولى منصب الرئاسة بينهم، وارتقى إلى رتبة أميرال، فهو: " لم يُعرف بخصاله ومآثره كبحّار، بقدر ما عُرِف أكثر بخرائطه وتعليماته في الملاحة البحرية. وقد يكون هو أول تركي يتخصص في رسم الخرائط، وترك خريطتين للعالم، رسمهما عامي 1513 و 1528م، وهما محفوظتين بمتحف توب كابي (Top-Kapî) بإستانبول"[26].

2.3- أصل الخرائط :

إن خرائط بيري رايس حسب مونتران أسالت الكثير من الحبر، وظهرت بشأنها العديد من الفرضيات بخصوص المعارف الجغرافية لهذا البحّار. وقال أنه من الضروري قبل كل شيء، أن نعتقد أن بيري رايس أتيحت له بلا شك إمكانية التعرف على خرائط الملاحة البحرية، وحركة البحارة الأوائل من الأوربيين، واطلع على الخرائط الأصلية في البندقية وإسبانيا والبرتغال فيما يخص المناطق التي كان يجهلها. لقد احتدم النقاش بين الباحثين بخصوص خرائط بيري رايس ومعلوماتها المدهشة، وجرى الحديث مطولا عن أصالتها، ولا جدوى من الإصرار على هكذا جدال، أثير من قبل من طرف المؤرخ والمستشرق الألماني المختص بالدولة العثمانية فرانز بابِنقر، والمؤرخ التركي فؤاد أزقو[27].

3.3- معالم حدود الجزائر الدولية وسواحلها في كتاب "بحرية" :

عندما تعامل روبار مونتران لأول مرة مع كتاب "بحرية"، عاين المادة التي تعني الجزائر، وقدّر أنها ذات أهمية، واستحسن ترجمة كل الصفحات التي تخص السواحل الجزائرية إلى اللغة الفرنسية. وكانت نيته هي المشاركة بهذا العمل في الجزء الثاني من تكريم المؤرخ الفرنسي المستشرق روجي لوتورنو، الذي صدر في العدد المزدوج (15-16) من "مجلة العالَمَيْن الإسلامي والمتوسط" سنة 1973م تحت عنوان

[26] *Ibid*, p. 160.
[27] *Ibidem*.

"وصف السواحل الجزائرية في كتاب البحرية لبيري رايس"[28].

وصف مونتران الحدود الجزائرية الدولية، وشرع في تحديدها بميناء المرسى الكبير ومدينة وهران غربا، إلى ميناء القالة "مرسى الخرز" شرقا. بينما ضبطها بيري رايس في كتابه حسب نسخة 1526م بالقول: "والسلام، تم وصف حدود بلاد الجزائر من وادي ملوية غربا إلى طبرقة شرقا"[29]. وورد هذا التوصيف في القسم الثاني من الكتاب، من صفحة 628 إلى صفحة 645، وبعض الصفحات تختفي في عرض مونتران، أو اشتملت على أسطر قليلة، وذلك بسبب أن النص المنسوخ من طباعة مؤسسة التاريخ التركي لعام 1935م هي صفحات تشغلها خرائط[30].

4.3- الساحل التونسي والإمارة الحفصية : دقة الجغرافيا واضطراب التاريخ

ترجم روبار مونتران عام 1969م صفحات من كتاب "بحرية" تتعلق بسواحل تونس، وكان يعزم المشاركة بالعمل في تكريم الأديب والمؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب (1884-1968) بالمعهد التونسي للفنون والآثار، ولكنه تأخر التكريم، فنشره في مجلة العالَمَيْن الإسلامي والمتوسط (ROMM) بعد ثماني سنوات عام 1977م[31]. واعتمد في هذه الترجمة على نسخة مؤسسة التاريخ التركي لعام 1935م، التي ورد في القسم الثاني منها وصف السواحل التونسية، من صفحة 645 إلى صفحة 669، مزودا بست خرائط. هذه الخرائط ليست مجرد رسم توضيحي للنص، فهي تُكمِّله أحيانًا، وتضيف معلومات أخرى، فتذكر على وجه الخصوص أسماء الجزر والتضاريس الساحلية التي لم يقدِّر المؤلف أنها مفيدة لتقديمها في وصفه.

---

[28] *Ibid*, p. 159.

[29] بيري رئيس، كتاب بحرية، تسمك، 642، 319a-320b:

BOSTAN (Idris), **BENAFRI (Chakib)** : *In the Footsteps of Pïrî Reis, 16th Century Algeria in Kitâb-i Bahriye*, Ankara, Salmat Basim Yayincilik, 2022, p. 147.

[30] **MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie … », *Art. cit.*, pp. 159-186.

عن السواحل الجزائرية في كتاب "بحرية" ينظر:

دراج (محمد) : المرجع السابق، ص 51.

[31] **MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie … », *Art. cit.*, p. 159.

وبتقييم إجمالي، يرى مونتران أن هذا النص والخرائط المرفقة به تشكل بحق مجموعة من التعليمات البحرية المتعلقة بسواحل تونس[32].

وصف بيري رايس الساحل التونسي حسب مونتران من الحدود الجزائرية إلى الحدود الليبية، فذكر الموانئ والمراسي والجزر، والروابط والمزالق، والمياه الضحلة والأرصفة الصخرية. كما تطرق إلى مرتفعات القاع التي يصادفها الملاح في طريقه، والمسافات التي تفصل بين النقاط الاستثنائية، وأفضل الطرق للاقتراب من الموانئ والمراسي، أو تجنب العقبات والأخطار. إن هذا الوصف الذي قدمه يعتمد إلى حد كبير على ملاحظاته الشخصية ومعاينته الميدانية، لأنه هو نفسه أبحر في غرب البحر الأبيض المتوسط في نهاية القرن الخامس عشر، وفي السنوات الأولى من القرن السادس عشر كذلك. فهو يعرف هذه السواحل جيدا، مثلها مثل باقي سواحل الجزائر وليبيا، وبشكل عام سواحل البحر الأبيض المتوسط[33].

وطعن مونتران في النص التاريخي الذي أورده بيري رايس بهذه المناسبة، واعتبر المعلومات التاريخية المطروحة غير موثوقة بشكل كبير، مقارنة بالمعلومات البحرية التي يقدمها. حيث أنه وقع في خلط بخصوص ترتيب خلافة الأمراء الحفصيين بعد السلطان عثمان، فالأمير مولاي أبو عمرو عثمان (839-893هـ/1435-1488م) هو حفيد السلطان أبو فارس عبد العزيز المتوكل (796-837هـ/1394-1433م)، وليس ابنه، ودام حكمه ثلاث وخمسين سنة وليس ست وخمسين سنة كما ذكر بيري رايس. أما السلطان مولاي حسن (932-950هـ/1526-1543م)، فهو ابن حفيد السلطان عثمان، وجاء دوره بعد حكم سلطانين هما السلطان أبو زكريا يحي الثاني (893-899هـ/1488-1493م) والسلطان أبو عبد الله محمد (899-932هـ/1493-1526م) الذي حكم ثلاث وثلاثين سنة وليس ثلاثين سنة كما أورد بيري رايس[34].

[32]**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de la Tunisie dans le Kitâb-i Bahriye de Piri Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 24, 1977, p. 223.
[33]*Ibid*, p. 235.
[34]*Ibid*, p. 225, 235.

5.3- السواحل المصرية : توثيق أصيل وتوصيف معيب

عاد روبار مونتران في مستهل حديثه عن ترجمة كتاب "بحرية " عام 1981م للتأكيد أنه لا توجد ترجمة كاملة لهذه الوثيقة التاريخية بأي لغة أوربية غربية[35]، باستثناء بعض الفصول التي تعني الحوض الغربي للمتوسط التي عكف أحد طلبته على ترجمتها. كما أشار ثانية إلى فرضية ميلاد بيري رايس المتأخر عن التاريخ المعروف، ومشاركته الأكيدة في الحملة على مصر 1516-1517م رفقة السلطان سليم الأول. أما دواعي اهتمام مونتران بالسواحل المصرية في هذا الكتاب، فلقد كشف أنها كانت استجابة لطلب مدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بمصر (IFAO) عام 1975م السيد سرج سونرون (Serge Sauneron) بمناسبة إقامته بالقاهرة[36].

إن وصف بيري رايس للسواحل المصرية يستند إلى معاينة ومشاهدة مباشرة للمواقع والمعالم، وهو ما لا ينطبق على بقية السواحل المتوسطية، لأنه أقام بها لأكثر من مرة. ويقع هذا الوصف في كتاب البحرية من صفحة 692 إلى صفحة 723 من النسخة المطبوعة لمؤسسة التاريخ التركي، ويحتوي على ثماني عشرة صفحة للنص، وأربع عشرة صفحة للخرائط. لقد ارتكب بيري رايس فيما يخص النص عدة أخطاء واضحة وقع فيها، وعرض تقديرات تقريبية غير سليمة، ونقل أسماء عديدة مشوهة، خاصة في الخرائط. ومنها خرائط النيل على وجه الخصوص، مثلما هو الحال بالنسبة للخريطة صفحة 711، حيث اختفت بحيرة البرلس تماما من الخريطة، وظهر فرعا رشيد ودمياط لنهر النيل قريبين من بعضهما كثيرا[37].

---

[35] تُرجِم كتاب "بحرية" إلى اللغة الألمانية، وأشرف على تحريره وترجمته والتعليق عليه المستشرق الألماني باول آرنست كهله (1875-1965م)، وظهرت هذه الطبعة في ثلاث مجلدات بتاريخ 1926-1927م بعنوان: "بحرية بيري رئيس، دليل الإبحار التركي للبحر الأبيض المتوسط لعام 1521م"، ينظر:

PIRI REIS, **KAHLE (Paul)** : *Bahrije. Das türkische Segelhandbuch für das Mittelländische Meer vom Jahre 1521*, Berlin & Leipzig, Walter de Gruyter & Co., 1926-1927.

[36]**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Égypte dans le Kitâb-i Bahriye de Pīrī Reis », *Revue (AnIsl) Annales Islamologiques*, n°17, 1981. p. 287.

[37]*Ibid*, p. 289.

6.3- السواحل المتوسطية الفرنسية : الاعتماد على الرواية الشفوية والنقل من الوثائق

بعد اثنتي عشرة سنة من نشره لمقاله عن السواحل الجزائرية عام 1973م، عاد مونتران سنة 1985م ليتحدث عن ميلاد بيري رايس المفترض بعام 1465م، لكن دون أن يشكك فيه هذه المرة، كما كان يفعل ذلك كلما تطرق للموضوع، فيطعن في هذه الجزئية، وفي أصالة الخرائط. وفي الوقت الذي أكد فيه أن بيري رايس قام بغارات على السواحل الشرقية لإسبانيا والسواحل المغاربية، استبعد في المقابل، أن يكون قد قام بغارات كثيرة على السواحل الفرنسية، باستثناء أسره لثلاث سفن قرب جزر هيار (îles Hyères) على بعد ستة عشر كلم شرق طولون[38].

ويبدو حسب مونتران، أنه لم تكن هناك فرصة لبيري رايس بعد وفاة خاله كمال رايس، للإبحار على طول السواحل الفرنسية، وخاصة في القسم الشرقي من المتوسط، مثل سوريا ومصر والجزر اليونانية مثل رودس. بينما تحققت هذه الإمكانية في الحوض الغربي للمتوسط، خاصة فيما يتعلق بالسواحل الجزائرية والتونسية، رفقة خير الدين بربروس، ثم بعد ذلك على المحيط الهندي. وإذا كان بيري رايس قد رسم خريطتين للعالم عامي 1513 و1528، فإن مونتران لا يُسلِّم له بكفاءته في المعارف الجغرافية، وإنما هذا التفوق في تقديره، يُعزى إلى حيازته على خرائط من أصل برتغالي وإسباني، ومن مصادر أخرى من البندقية. وحتى الإشارات التاريخية التي كانت ترد لديه من حين إلى آخر، فهي غير كافية، وغير أصلية كذلك[39].

يقع وصف السواحل المتوسطية الفرنسية في كتاب "بحرية" من صفحة 572 إلى صفحة 595، بما في ذلك أربع خرائط. ونظر مونتران إلى هذا الوصف بريبة حادة، وذهب إلى أن قراءة النص تسمح بالتشكيك في معاينة بيري رايس المباشرة للسواحل المتوسطية الفرنسية. حيث أن هناك أخطاء فادحة تظهر في تحديد المواقع الجغرافية، والكثير منها تجسد في الوصف، كما ثبت كذلك على مستوى الخرائط،

[38]**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes méditerranéennes de la France dans le Kitâb-i Bahriye de Pîrî Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985, Les Ottomans en Méditerranée - Navigation, diplomatie, commerce, p. 69.
[39]*Ibid*, p. 69.

وجاءت التقديرات التقريبية متكررة للغاية. وتكثر الأخطاء خاصة في أسماء الموانئ والجزر والرؤوس البحرية، مما يدفع إلى الاعتقاد أن بيري رايس اكتفى بالنقل من وثائق أخرى، قد تكون إيطالية من البندقية أو جنوة. إن تهجية الحروف وقراءة الأسماء بالنطق الإيطالي، كما هو الشأن في اسم نيس (Nice) يمكن تفهمها[40]، لكن في غيرها من أسماء المناطق الأخرى، يقوم الدليل بقوة لصالح فرضية النقل من خرائط أخرى، ولا جدوى من التبرير[41].

وأكثر من ذلك، يفترض مونتران أن الخرائط التي عاد إليها بيري رايس قد تكون هي نفسها تحمل أخطاء، ينبغي أخذها بعين الاعتبار، ولا يمكن غض الطرف عنها. أو أن بيري رايس اعتمد على وثائق تحمل أخطاء، استجلبها أو وقعت بين يديه، وهو لم يتمكن من ضبطها بدقة على وجه التحديد، وذلك لعدم رؤيته بنفسه الأماكن الموصوفة. كما يمكن أن تكون المراجع التي استند إليها بخصوص بعض المواقع الموصوفة، هي في الأصل شهادات شفوية فقط، فقام بتدوينها بطريقة رديئة[42].

ومن اللافت للنظر أيضًا حسب مونتران، أن بيري رايس وصف الجُزر بشكل أفضل من وصفه للساحل نفسه، وخاصةً رسم الموانئ، ربما لم تُتَح له الفرصة للتوقف في هذه الموانئ، بينما كان على الأرجح قادرًا على الإبحار بالقرب من الجزر. والمثير أيضا للانتباه، هو الاتجاه "غير الطبيعي" للوصف، يبدأ من مدينة نيس، ويتوجه نحو إيطاليا، ثم كنقطة انطلاق لجزر هيار، يذهب إلى خليج أنتيب (Antibes). ويبدأ الفصل التالي في مرسيليا ويستمر حتى طولون، وأخيرًا، يتعلق الفصل الذي يليه بساحل روسيون لانغدوك (Roussillon-Languedoc) من رأس كريوس (Creus) إلى دلتا نهر الرون (Rhône). وحول هذا النهر، تجدر الإشارة إلى الانتباه إلى التدوين الذي يُرجح أنه استند فيه على الروايات الشفوية فيما يتعلق بنهر الرون والراين (Rhin) والدانوب (Danube)[43].

لم يتمكن مونتران من الإطلاع على الخرائط البحرية التي كان يحتاجها، وخاصة الخرائط القديمة، ليتولى هو بنفسه القيام بعملية الفحص والتحقيق. وبسبب ذلك،

[40] مدينة فرنسية متوسطية تقع قرب الحدود الإيطالية.

[41] *Ibid*, p. 70.
[42] *Ibidem*.
[43] *Ibidem*.

اعتذر عن مهمة تحديد جميع الأسماء التي ذكرها بيري رايس، وترك هذا الأمر على عاتق المختصين يتولونه فيما بينهم مستقبلا. وإذا اقتضى الأمر، يقوم هؤلاء بتصحيح التوضيحات غير السليمة، وتصويب التعيين غير الدقيق للمواقع التي سعى إلى تحديدها بالضبط[44].

4. مونتران والنفوذ العثماني في المتوسط : نظرة الإنصاف والإقرار

بعد أن سرد مونتران ملاحظاته الحادة، ووجّه انتقاداته اللاذعة للبحّار العثماني بيري رايس وانجازاته، انتهى إلى الاعتراف له بالإبداع المتميز والتفوق المتفرد قائلا: "رغم كل هذه العيوب، كتاب البحرية هو معلم تاريخي فريد من نوعه، ووصف السواحل المصرية من راس سولوم إلى العريش يعتبر وثيقة أصلية وذات أهمية"[45]. وعلى الرغم من أن كتاب البحرية لبيري رايس قد يكون عملا غير كامل، فإن هذا الوصف الذي تركه هو شهادة على الحضور العثماني في غرب البحر الأبيض المتوسط واهتمامهم بالملاحة في هذه المنطقة، وهو دليل من جهة أخرى أيضًا على فضولهم ورغبتهم في المعرفة "العلمية" لعالم اكتشفوه منذ نهاية القرن الخامس عشر[46].

ويُقِر مونتران أنه علاوة على ذلك، فإن التحصيل العلمي للعثمانيين هو تأكيد على نشاطهم البحري القوي. لقد اعتُبِر في الغالب حضورهم كان "على اليابسة" فقط، بينما التوسع الذي كانوا هم أبطاله، خاصة منذ نهاية القرن الخامس عشر، لا يمكن فهمه إذا لم نضع له في الحسبان الأسطول العثماني كمرجعية داعمة. وخاصة تلك النشاطات التي كان يقوم بها في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط، والمهارة العملية المكتسبة في الملاحة، والقدرات الهائلة لبناء السفن في الترسانات العثمانية الخالصة، بداية من أسطول استانبول الذي أنشأه محمد الفاتح[47].

---

[44] *Ibidem.*
[45] **MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Égypte … », *Art. cit.*, p.289.
[46] **MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes méditerranéennes de la France … », *Art. cit.*, p. 70.
[47] *Ibidem.*

وسلّم مونتران أنه حتى لو كانت رحلة بيري رايس لم تقدّم لنا معلومات غير منشورة، إلا أنها تشكل وثيقة جديرة بالاهتمام، خاصة إذا وضعنا في الحسبان السياق التاريخي الذي كتبت فيه. فالتاريخ كشف أن العثمانيين لم يكونوا دائمًا البرابرة غير المتعلمين، كما كانوا يوصفون بذلك كثيرا. وإذا اعتبرنا أن جزءا من العلوم والمعرفة التي حصل عليها العثمانيون أتت من مصادر غربية، فبالمقابل، فإن معرفة الغربيين بالشرق لم تتم إلى حد كبير سوى باستعارة من الشرقيين أنفسهم ومساهمتهم[48].

إن كون بعض القراصنة والبحارة العثمانيين من أصل يوناني لا ينتقص من النتائج التي تم الحصول عليها في تقدير المؤرخ روبار مونتران. لأن هؤلاء اليونانيين تم إلى حد كبير "عثمنتهم"، وتحويلهم إلى الإسلام، وأصبحوا عملاء فاعلين للسلطة العثمانية. والدليل على ذلك هو في الواقع أن أسماء كبار قادة البحرية العثمانية في نهاية القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر كلها أسماء "إسلامية". وكان من الصعب بالفعل تسليم قيادة الأسطول "العثماني" إلى مسيحيين؛ هم كذلك رعايا السلطان[49].

ومع ذلك، فإن استجارة المسيحيين والاستعانة بهم ليس موضوعا مُغيبا، لأننا نعلم أنه في الترسانات البحرية تم توظيف عمال فنيين غربيين من جنوة على وجه الخصوص. سواء كان ذلك في الأسطول التجاري العثماني، حيث تولى قيادة السفن عدد من الربان الإغريق، أو تم ذلك بانتهاز الفرصة من المسيحيين الذين احتشدوا في مجموعات. ولا سيما من المسيحيين اليونانيين من جزر بحر إيجة، باستثناء أولئك الذين اعتنقوا الإسلام وأصبحوا عثمانيين. وجلب الجميع بذلك للعثمانيين التقاليد والتقنيات البحرية، ولكن كل هذا تم باسم الدولة العثمانية. ويبقى من الشواهد الشهيرة والحية في التاريخ، مثال الأخوين بربروسا، عروج وخير الدين، الذيْن ساهما في اندماج جزء من بلاد المغرب في النطاق العثماني، وكان أسلافهم من اليونانيين من ميتيلان (Mytilène)[50].

---

[48] *Ibid*, p. 71.
[49] *Ibidem*.
[50] *Ibidem*.

خاتمة :

يكتسي كتاب "بحرية" لبيري رايس أهمية كبيرة في تاريخ المنطقة المتوسطية، فهو يحتوي على خرائط دقيقة إلى حد كبير في مخططها العام، وفي تفاصيله الفرعية. وصفت السواحل وما ارتبط بها من مظاهر جغرافية ومنشآت، وأرفقتها أحيانا بمعلومات تاريخية ومعطيات ميدانية في غاية الأهمية، عن السكان والأعلام، والعمران، والحدود السياسية. وإذا كانت قد أوردت جزئيات هنا وهناك تحتاج إلى تصويب، فهذا لا يُنقص من قيمتها العلمية والتاريخية كوثيقة أصيلة وأصلية، حتى وإن كان هذا الملاّح قد اعتمد على غيره من الأوربيين في بعض المعطيات[51]. فالعلم معرفة تراكمية، تناقلتها الأجيال بعضها من بعض، بكيفيات ومناسبات مختلفة، في حضن الإنسانية على مر الزمان.

إن البحّار العثماني بيري ريس هو أول بحار مسلم رسم خريطة للعالم في النصف الأول من القرن 16م في سنتي 1513م و1528م في كتابه "بحرية"، وقد تضمنت جغرافية القارة الأمريكية التي استقر رأي علماء الغرب على اكتشافها بتاريخ 1492م من طرف كريستوف كولومبوس (ت. 1506م). في حين تشير مصادر الحضارة الإسلامية إلى وصول المسلمين إلى أمريكا وتعرفهم عليها قبله منذ القرن العاشر للميلاد مثل ما ورد ذلك في بعض السجلات التاريخية، أو إشارات الجغرافيين العرب مثل المسعودي (ت. 956م) والبيروني (ت. 1048م) والإدريسي (ت. 1153م) وابن فضل الله العمري (ت. 1384م).

ملاحق :

1- الصفحة الأولى من كتاب "بحرية" باللغة العثمانية لبيري رايس.

2- الصفحة الأولى من كتاب "بحرية" المترجم إلى اللغة الفرنسية من طرف مترجم الشؤون الخارجية الفرنسي د.د. كاردون .

3- غلاف كتاب "بحرية" مترجم إلى اللغة الألمانية من طرف المستشرق الألماني باول كهل.

4- غلاف كتاب "بحرية" مترجم إلى اللغة العربية من طرف الأستاذ محمد حرب.

[51]**SOUCEK (Svatopluk)** : « Five Famous Ottoman Turks of the Sixteenth Century », *Osmanlı Araştırmalar/The Journal of Ottoman Studies*, XL, 2012, pp. 328-330.

الصفحة الأولى من كتاب "بحرية" باللغة العثمانية

المصدر:

BOSTAN (Idris), BENAFRI (Chakib, op.cit., p.4

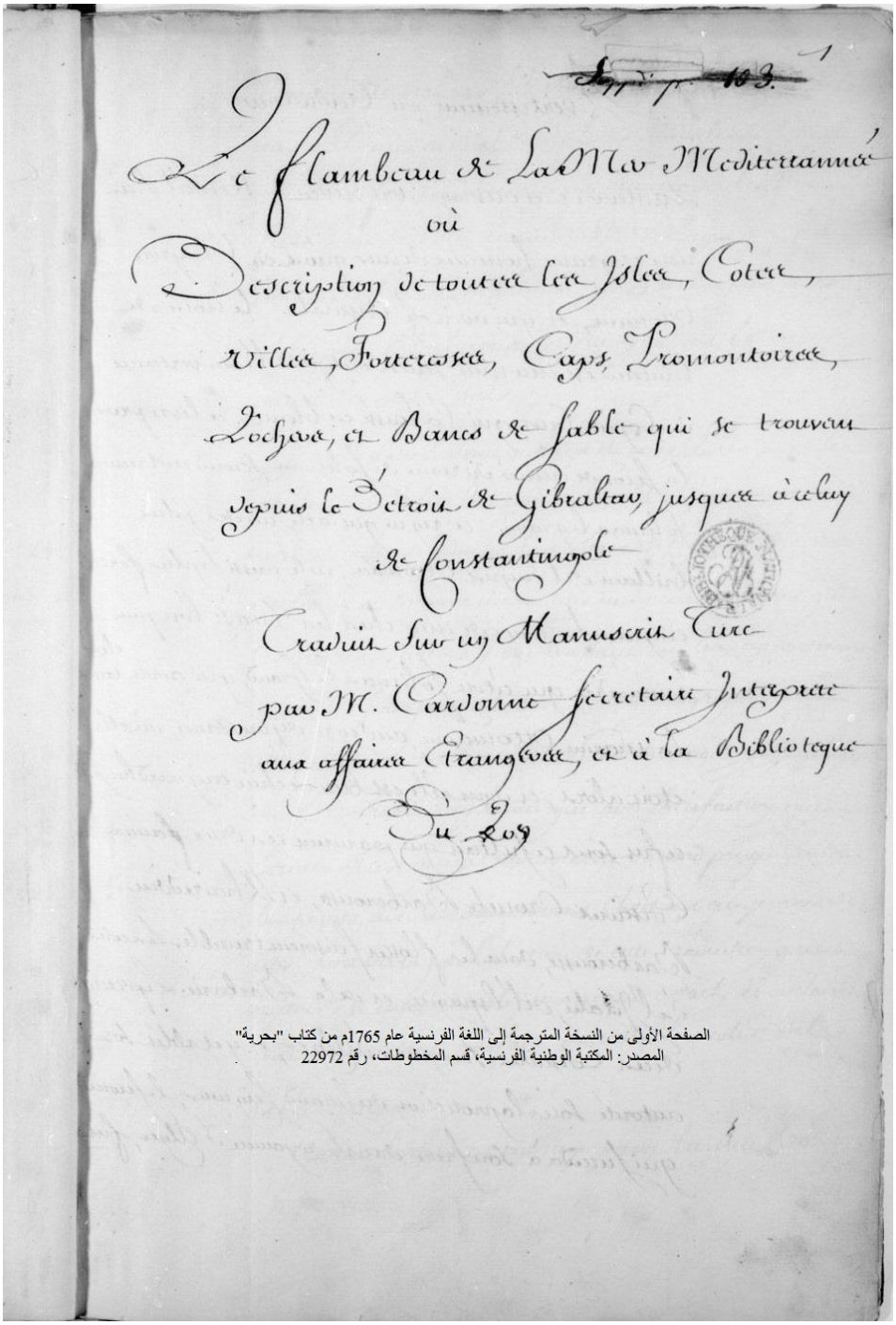

Le Flambeau de la Mer Mediterranée
ou
Description de toutes les Isles, Côtes,
Villes, Forteresses, Caps, Promontoires,
Rochers, et Bancs de Sable qui se trouvent
depuis le Détroit de Gibraltar, jusques à celuy
de Constantinople
Traduit sur un Manuscrit Turc
par M. Cardonne secretaire Interprete
aux affaires Etrangères, et à la Bibliotheque
du Roy

الصفحة الأولى من النسخة المترجمة إلى اللغة الفرنسية عام 1765م من كتاب "بحرية"
المصدر: المكتبة الوطنية الفرنسية، قسم المخطوطات، رقم 22972

غلاف كتاب "بحرية" مترجم إلى اللغة الألمانية من
طرف المستشرق الألماني باول كهل

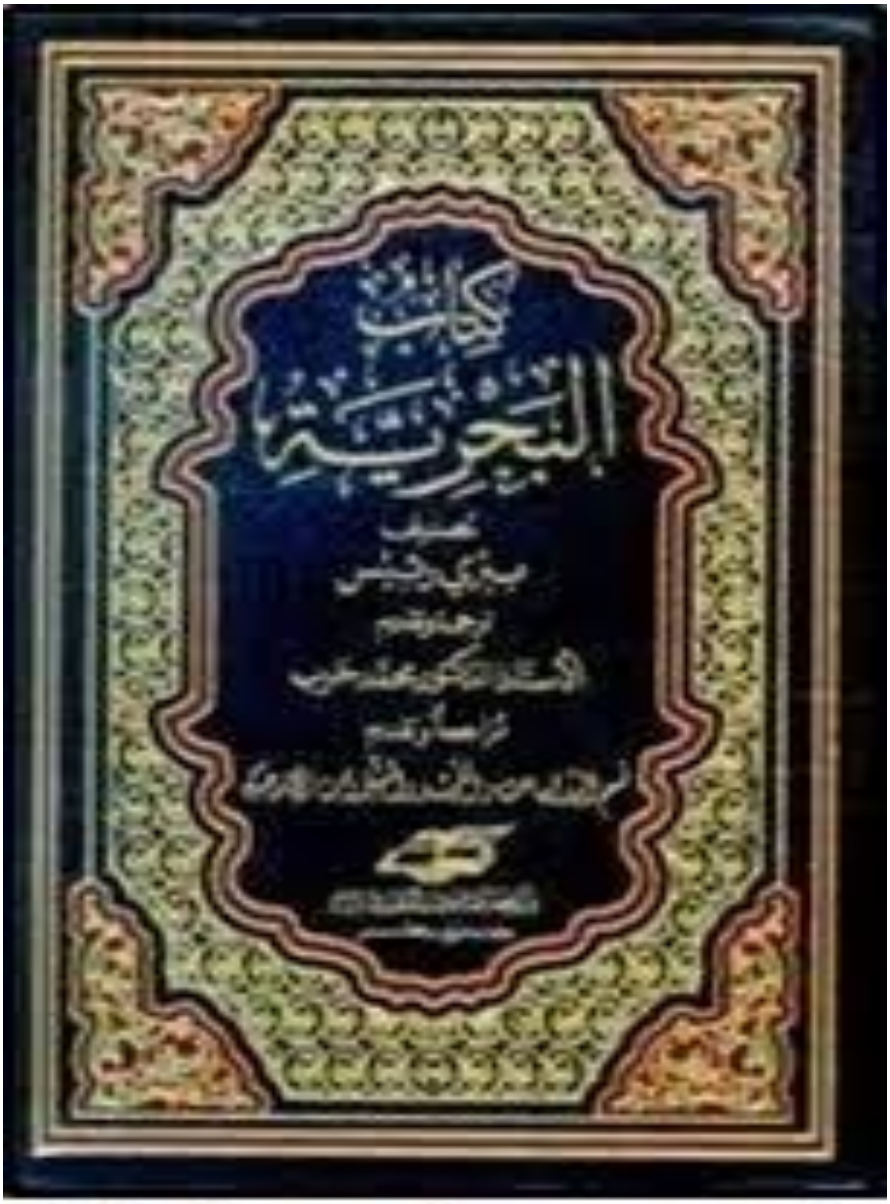

غلاف كتاب "بحرية" مترجم إلى اللغة العربية من طرف الأستاذ محمد حرب

المصادر والمراجع :

-**دراج (محمد)** : *الجزائر في المصادر العثمانية، دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية*، ط 1، الجزائر، دار الوراق للدراسات والنشر، 2017.

-**AYMARD (Maurice)**, **MANTRAN (Robert)** : « Istanbul dans la seconde moitié du XVII^{e} siècle. Essai d'histoire institutionnelle, économique et sociale », *Annales. Economies, sociétés, civilisations*, 20^{e} année, 1, 1965, 183-186.

-**BABINGER (Franz)** : « Pīrī Muḥyi ʾl-Dīn Reʾīs », in *Encyclopaedia of Islam*, First Edition (1913-1936), Edited by M. Th. Houtsma, T.W. Arnold, R. Basset, R. Hartmann. Consulted online on 14 July 2022 <http://dx.doi.org/10.1163/2214-871X_ei1_SIM_3619>.

-**BOSTAN (Idris)**, **BENAFRI (Chakib)** : *In the Footsteps of Pïrî Reis, 16th Century Algeria in Kitâb-i Bahriye*, Ankara, Salmat Basim Yayincilik, 2022.

-**CARDONNE (Denis-Dominique)** : *Le flambeau de la Mer Méditerranée, ou description de toutes les isles, cotes, villes, forteresses, caps, promontoires, rochers et bancs de sable, qui se trouvent depuis le détroit de Gibraltar, jusques à celuy de Constantinople*, Bibliothèque nationale de France, Département des manuscrits français, n° 22972, 117 feuillets. - 335 × 215 mm. Consulted online on 24 June 2022 <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b9063596h.r>.

-**CORM (Georges)**, **MANTRAN (Robert)** (dir.) : « Histoire de l'Empire ottoman », 1989, in *CEMOTI*, n°12, 1991, *Perception de la révolution française et interprétation de ses concepts : les cas turc et iranien*, 227-230.

-**DERVILLE (Alain)** : « L'Eurasie. XI^{e}-XIII^{e} siècles (Peuples et Civilisations, t. 6), 1982, sous la direction de G. Duby & R. Mantran, par R. Breton, M. Cartier, A. D'Haenens, R. Mantran & H. Platelle », *Revue du Nord*, tome 64, n°254-255, Juillet-décembre 1982, 945-947.

-**EL AHMADI (Mohsine)**, **MANTRAN (Robert)** : « Les Grandes dates de l'Islam », in *Archives de sciences sociales des religions*, n°84, 1993. 322-323.

-**EZGÜ (Fuad)** : « Pîrî Reis », *İA*, IX, 561-563.

-**GOLVIN (Lucien)**, **MANTRAN (Robert)** : « La vie quotidienne à Constantinople au temps de Soliman le Magnifique (XVI^{e} et XVII^{e} siècles) », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°1, 1966. 249-251.

-**HAMES (Constant)**, **MANTRAN (Robert)** : « L'Expansion musulmane (VII^{e}-XI^{e} siècles) », *Archives de sciences sociales des religions*, n°65/2, 1988, 288.

-**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-i Bahriye de Pirî Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°15-16, 1973 ; Mélanges Le Tourneau. II, 159-168.

-**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de la Tunisie dans le Kitâb-i Bahriye de Piri Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°24, 1977, 223-235.

-**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes de l'Égypte dans le Kitâb-i Bahriye de Pīrī Reis », *Revue (AnIsL) Annales Islamologiques*, n°17, 1981, 287-310.

-**MANTRAN (Robert)** : « La description des côtes méditerranéennes de la France dans le Kitâb-i Bahriye de Pîrî Reis », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°39, 1985, Les Ottomans en Méditerranée - Navigation, diplomatie, commerce, 69-78.

-**PÏRI REIS** : *Kitab-i-bahriye*, derleyen Haydar Aalpagut, Fevzi Kurtoglu, yaynevi Türk Tarih Kurumu, 1935, 1004 sayfa. (Publications de la Société des Recherches d'Histoire Turques, n°2, Istanbul, 1935).

-**PIRI REIS**, **KAHLE (Paul)** : *Bahrije. Das türkische Segelhandbuch für das Mittelländische Meer vom Jahre 1521*, Berlin & Leipzig, Walter de Gruyter & Co., 1926-1927.

-**SOUCEK (Svatopluk)** : « Five Famous Ottoman Turks of the Sixteenth Century », *Osmanlı Araştırmalar/The Journal of Ottoman Studies*, XL, 2012, 325-341.

-**TURCAN (Robert)** : « Allocution à l'occasion du décès de M. Robert Mantran, membre de l'Académie », *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 143^{e} année, 3, 1999, 883-884.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 2 العدد: 1جوان 2022 ص ص 49-81
ر ت م د (ISSN): 2800-1184
تاريخ الإرسال (2022/5/25) تاريخ القبول (2022/6/14) تاريخ النشر (2022/6/30)

علاقات التعاون و روابط التحالف الجزائري-العثماني و مسألة سيادة الدولة الجزائرية الحديثة

Algerian-Ottoman Mutual aid, Alliance Relations, and the Question of the Sovereignty of the Modern Algerian State

سعيدوني ناصر الدين
البريد الإلكتروني : nsaidouni@yahoo.fr

ملخص :

يتناول البحث إشكالية العلاقات الجزائرية-العثمانية و فكرة الوطن الجزائري و مسألة كيان الدولة الجزائرية الحديثة (1516-1830)، بالرجوع إلى سيرورة التاريخ الجزائري و المعطيات الجيو-سياسية المتحكمة فيه، و التي سمحت للجزائر باستكمال كينونتها السياسية، و فرض حضورها الدولي في إطار تعاون و تحالف بين قوى المجتمع المحلي (رؤساء القبائل، شيوخ الزوايا، أعيان المدن) و بين القوة العثمانية ممثلة في طلائع مجاهدي البحر و في مقدمتهم الإخوة بربروس.

وهذا ما يفرض مراجعة أطروحات الكتابات التاريخية الاستعمارية الفرنسية و إسهامات من تبناها من الجزائريين المتأثرين بالفكر الاستعماري الذي نفي وجود الدولة الجزائرية في العصور الحديثة كجزء من الرابطة المعنوية العثمانية، مما يستوجب خوض معركة تاريخية طويل الأمد هدفها ترميم الذاكرة الجزائرية المشوهة.

من هذا المنطلق يقترح البحث مفاتيح لتجديد الرؤية للعوامل المحددة لكيان الدولة الجزائرية السابقة للاستعمار و طبيعة علاقاتها بالدولة العثمانية كحليف إستراتيجي في مواجهة القوى المعادية في غرب المتوسط، مع تحليل واقع المؤسسة العسكرية الجزائرية و منظومة الحكم في الجزائر قبل الاحتلال و علاقة إدارة البايليك بالسكان، و طرح مقاربة جديدة لمحددات الأوضاع الدولية التي تحكمت في علاقات الجزائر بالدول الأوربية و أوجدت تحالفا إستراتيجيا مع الدولة العثمانية.

الكلمات المفتاحية :
الكتابات التاريخية؛ الكيان السياسي الجزائري؛ التحالف الجزائري-العثماني؛ الصراع العثماني-الإسباني؛ حوض المتوسط الغربي.

Abstract :

This study approaches the issue of Algerian-Ottoman relations and the emergence of the modern Algerian state (1516-1830), and is based on the historical and geopolitical data that allowed Algeria to be a full political entity with an international presence through the alliance between local forces (tribes, zaouias, influential local figures) and the Ottoman power represented by its maritime force led by the Barbarossa brothers.

Such an approach imposes a thorough review of French colonial historical theses and those developed by Algerian authors influenced by the colonial perception denying the existence of a modern Algerian state allied to the Ottoman power. This is a long term historical battle whose goal is the restoration of the damaged Algerian historical memory.

On this basis, this contribution proposes keys to renew the approach of the determining factors of the pre-colonial Algerian state and the nature of its relations with the Ottoman state as an ally in the fight against the enemy forces in the Western Mediterranean, and by analysing the reality of the Algerian military institution and the system of government in Algeria before the French colonization and the relationship of the Beylik administration with local populations, and by proposing a new approach to international conjunctures determining Algeria's relations with European states that led to a strategic alliance with the Ottoman power.

Keywords :
Historical Writings; Algerian Political Entity; Algerian-Ottoman Alliance; Ottoman Spanish Struggle; Western Mediterranean.

مقدمـة

تستعرض هذه الورقة إشكالية طبيعة الروابط بين الجزائر و الدولة العثمانية و مسألة بداية تشكل الدولة الجزائرية الحديثة في مطلع القرن السادس

عشر من خلال تقييم العلاقات الجزائرية-العثمانية اعتمادا على الوقائع التاريخية و بالرجوع إلى دراستنا لتاريخ الجزائر في العصر الحديث، مع تحري الموضوعية التاريخية في مسألة أثقلتها الصور النمطية التي شكّلتها الكتابات الفرنسية عن العهد العثماني في الجزائر في محاولتها تبرير المشروع الاستعماري الفرنسي و تجميل صورته مقارنة بما سبقه.

وحتى يمكن الإلمام بجوانب هذا الموضوع الشائك، سوف نتناوله من خلال نقاط محددة:

1. الكتابات التاريخية حول العلاقات الجزائرية-العثمانية بين الواقع التاريخي المُجرّد و التصور التاريخي الافتراضي.
2. طبيعة الروابط الجزائرية-العثمانية و النتائج المترتبة عنها.
3. الكيان السياسي للدولة الجزائرية الحديثة (1516-1830): مرجعياته و مظاهره و ارتباطها بفكرة الوطن و محددات الهوية.
4. المسائل المحددة لطبيعة الدولة الجزائرية الحديثة: بين النظرة الواقعية و التفسيرات الإيديولوجية-السياسية.
5. خاتمة: معركة الذاكرة التاريخية للجزائر في العصر الحديث بين الاعتبارات الإيديولوجية و الموضوعية التاريخية.

1. الكتابات التاريخية حول العلاقات الجزائرية-العثمانية بين الواقع التاريخي المُجرّد و التصور التاريخي الافتراضي

تشكل الكتابات التاريخية عن الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر رصيدا يتميّز بتنوع المواضيع، و تعدد وجهات النظر، و اختلاف المستوى المعرفي، و تباين المنطلقات الإيديولوجية. و كنت قد تعرّضت لطبيعة هذه الكتابات في عدة بحوث سابقة[1]، لذا أكتفي هنا بتحديد منطلقاتها و تصنيف توجهاتها و موقفها من مسألة

[1] نذكر من هذه الدراسات التي أُنجزت في الموضوع:
سعيدوني (ناصر الدين) : "إشكالية نهاية الدولة الجزائرية في العهد العثماني (1830): بين الأزمة الداخلية و الظروف الدولية و الهزيمة العسكرية"، *الأيام الدراسية حول العلاقات الجزائرية-*

العلاقات الجزائرية العثمانية-الجزائرية و مسألة السيادة الجزائرية. و يمكن إجمال هذه الكتابات من حيث المقاربة التاريخية في صنفين اثنين:

التركية منذ الفترة العثمانية حتى الآن، الجزائر، 10-11 مارس 2017، (قُدم للنشر في أعمال الأيام الدراسية و لم يصدر حتى الآن).

_____، "طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص ص. 37-57.

_____، "وثائق الأرشيف الجزائري المتعلق بالفترة العثمانية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 59-77.

_____، "السيادة الجزائرية في العهد العثماني"، ضمن كتاب *الجزائر منطلقات و آفاق*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص ص. 165-199.

_____، "مقاربة تقييمية للأبحاث حول تاريخ الجزائر العثمانية"، المؤتمر الدولي: *الرؤى المتقاطعة حول الموروث العثماني بالجزائر خلال الفترة العثمانية (1516-1830)*، كلية اللغة العربية وآدابها و اللغات الشرقية، جامعة الجزائر، 13-14 ديسمبر 2017.

_____، "واقع و آفاق الدراسات العثمانية في الجزائر (عرض تعريفي و نظرة شاملة)"، *مجلة المواقف*، جامعة معسكر، عدد 7، ديسمبر 2012، ص ص. 9-45.

_____، "موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر: صلاحياتهم الإدارية و مهامهم الاقتصادية و الاجتماعية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 167-211.

_____، "نظرة في المناهج الجامعية و المؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 79-89.

_____، "المصادر المحلية لدراسة تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 91-113.

_____، "الجزائر في الذاكرة التاريخية: مسألة السيادة الجزائرية في العهد العثماني"، ضمن *أعمال مؤتمر التاريخ العربي الرابع (العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو: 1516-1916)*، بيروت، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، 2019، (الفصل الحادي عشر)، ص ص. 449-484.

_____، "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية، نموذج مقاطعة دار السلطان"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 231-245.

-**SAIDOUNI (N.)** : *L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830)*, Beyrouth, Dâr Al-Gharb Al-Islâmî, 2001.

-**SAIDOUNI (N.)** : « La présence ottomane en Algérie : La question de l'autonomie et de la dépendance », *Uluslararası Fethinin 500. Yılında Cezayir, Barbaros Hayrettin Paşa ve Osmanlı Denizciliği Sempozyumu*, Manisa, Turkey, 1-3 Aralık, 2016.

- صنف أول التزم إلى حد كبير بالواقع التاريخي، و كان أقرب إلى الموضوعية والنظرة المحايدة، اعتمادا على المادة التاريخية المتوفرة. وهذا ما أقرت به أغلب الكتابات الجزائرية ذات التوجه الوطني[2]، و التزم به بعض الباحثين الفرنسيين و الأوربيين من أصحاب المقاربة الأكاديمية أمثال دوفو (Devoulx)، و ديلفان (Delphin)، و دوني (Deny)، و كولومب (Colombe)، و إمريت (Emerit)، و مونتران (Mantran) ، و آجرون (Ageron)[3].

- أما الصنف الثاني من الكتابات التاريخية عن الجزائر في العصر الحديث فقد عالج الأحداث انطلاقا من تصور واقع تاريخي افتراضي، و تأثر برؤى ذاتية و أفكار مسبقة و دوافع إيديولوجية و منطلقات حضارية و أهداف سياسية حددت قناعاته و توجهاته، فكان تفسيره للأحداث متحيّزا هدفه إثبات أو إضفاء مظهر مقنع على تصور افتراضي للتاريخ الجزائري الحديث. و كان هذا منحى أغلب الكتابات

---

[2] انظر أسفله فقرة الكتابات التاريخية الجزائرية ذات البعد الحضاري.

[3] **DEVOULX (A.)** : *Le registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit*, extrait de la *Revue africaine*, XV-XVI, 1871-1872, Alger, Jourdan, 1872.

-**DELPHIN (G.)** : « Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait d'une chronique indigène », traduite et annotée par G. Delphin, in *Journal asiatique*, série 19, avril-juin 1922, pp. 161-233.

-**DENY (J.)** : « Les registres de solde des janissaires conservés à la B.N.A. », *Revue africaine*, LXI, 1920, pp. 19-46 et 212-260.

-**DENY (J.)** : « À propos du fond arabo-turc des archives du Gouvernement général de l'Algérie », *Revue africaine*, LXII, 1921, pp. 375-378.

-**COLOMBE (M.)** : « Contribution à l'étude du recrutement de l'*Odjaq* d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence », *Revue africaine*, LXXXVII, 1943, pp. 165-183.

-**EMERIT (M.)** : « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », *Information historique*, 2, mars-avril 1952, pp. 169-172.

-**EMERIT (M.)** : « L'Algérie de 1830 comparée aux autres pays méditerranéens », *Information historique*, 5, novembre- décembre 1963, pp. 194-196.

-**MANTRAN (R.)** : « Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie, Notes pour une étude plus approfondie », *Annuaire de l'Afrique du Nord,* 1962, C.N.R.S., pp. 248-343.

-**MANTRAN (R.)** « Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'empire ottoman », in *Atti del I Congresso internazionale di studi nord-africani*, Cagliari, 22/25,1965, pp. 205-216.

-**AGERON (Ch.-R.)** : *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Paris, P.U.F., 1980.

الغربية، و خاصة الفرنسية، في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي و أثناءها و حتى بعدها.

ومن هذا الصنف الثاني نذكر على سبيل المثال، بالنسبة لفترة ما قبل الاحتلال، كتابات كل من: الأب دان (Père Dan)، و باناني (Pananti)، و شو (Shaw)، و فانتور دي بارادي (Venture de Paradis)، و بيرو (Perrot)، و بايصونال (Peyssonnel)، و دي فونتان (Desfontaines)، و لوجيي دو تاسي (Laugier de Tassy)، و دوبوا ثانفيل (Dubois-Thainville)[4].

و فيما يخص فترة الاحتلال الفرنسي وما بعده نورد على سبيل المثال ما كتبه كل من:

بارتيا (Bartillat)، و روزي (Rozet)، و برتوزان (Berthezène)، و بيليسيه دي راينو (Pellissier de Reynaud)، و إيسترهازي (Esterhazy)، و كلوزول (Clausolles)، و دوما (Daumas) و جيبار (Gibert)، و لابين (Lapène)، و كاريت (Carette)، و غافاريل (Gaffarel)، و دوغرامون (De Grammont)، و مرسييه

---

[4] **DAN (R. P. Fr. Pierre)** : *Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli*, 2ème éd., Paris, P. Rocolet, 1637, p. 111.

-**PANANTI (Joseph)** : *Relation d'un séjour à Alger contenant des observations sur l'état actuel de cette Régence*, trad. de l'anglais par E. Blanquière, Paris, Le Normand, 1820, pp. 240, 410-411.

-**SHAW (Thomas)** : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc. de cet état*, trad. de l'anglais avec des nombreuses augmentations par J. Mac Carthy, Paris, Marlin, 1830, pp. 212-214.

-**VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel)** : *Tunis et Alger au 18e siècle*, Paris, Sindbad, 1983.

-**PERROT (A.-M.)** : *Alger, esquisse topographique du royaume et de la ville*, Paris, Ladvocat, 1830.

-**PEYSSONNEL (J.-A.)** : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger*, Paris, La Découverte, 1987.

-**DESFONTAINES (R.-L.)** : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger*, pub. par M. Dureau de la Malle, Paris, Gide, 1838, T. 2.

-**LAUGIER DE TASSY (Jacques-Philippe)** : *Histoire du royaume d'Alger et du bombardement de cette ville en 1816, description de ce royaume et des révolutions qui y sont arrivées*, Paris, Piltan, 1832.

-**DUBOIS-THAINVILLE (Charles-François)** : *Mémoire sur Alger en 1809*, pub. par G. Esquer, Paris, Champion, 1927.

(Mercier)، و إيسكر (Esquer)، و بواييه (Boyer)، و جوليان (Julien)[5].

و حتى نتعرف على نظرة هذه الكتابات الفرنسية على الوجود العثماني بالجزائر، نورد بعض الفقرات المعبّرة عنها فيما يلي:

[5]**BARTILLAT (Armand Jehannot)** : *Relation de la campagne d'Afrique en 1830*, Paris, G.A. Dentu, 1831.
-**ROZET (Claude-Antoine)** : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique*, Paris, Arthus Bertrand, 1833, 3 vols.
-**BERTHEZENE (Pierre de)** : *Dix-huit mois à Alger ou récit des événements qui s'y sont passés depuis le 14 juin 1830, jusqu'à la fin de décembre 1831*, Montpellier, imp. Ricard, 1834.
-**PELLISSIER DE REYNAUD (Edmond)** : *Annales algériennes*, Alger, Anselin et Gautier, Laguione, 1836-1839, 3 vols.
-**ESTERHAZY (Walsin)** : *De la domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger*, Paris, C. Gosselin, 1840.
-**CLAUSOLLES (P.)** : *L'Algérie pittoresque, Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours*, Toulouse, Paya, 2 parties, 1843.
-**DAUMAS (E.)** : *Exposé de l'état actuel de la société arabe, du gouvernement et de la législation qui la régit*, Alger, imp. du Gouvernement, 1844.
-**GALIBERT (Léon)** : *L'Algérie ancienne et moderne*, Paris, éd. Furne et C^{ie}, 1844.
-**LAPÈNE (Edouard)** : *Tableau historique de l'Algérie depuis l'occupation romaine jusqu'à la conquête par les Français en 1830,* Metz, imp. de S. Lamort, 1845.
-**CARETTE (Ernest)** : *L'Algérie,* Paris, F. Didot, 1862.
-**GAFFAREL (Paul)** : *L'Algérie : histoire, conquête et colonisation*, Paris, Firmin-Didot, 1883.
-**GRAMMONT (Henri Delmas de)** : *Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830*, Paris, E. Leroux, 1887.
-**MERCIER (Ernest)** : *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830),* T.3. Époque moderne (1515-1830), Paris, E. Leroux, 1891.
-**ESQUER (Gabriel)** : *Les commencements d'un empire, la prise d'Alger, 1830*, Paris, Larose, 1929.
-**JULIEN (Charles-André)** : *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, Payot, 1964, T. II.
-**BOYER (Pierre)** : « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger: 16-19ème siècles », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 1, 1966, pp. 11-49.
-**BOYER (Pierre)** : « Introduction à l'histoire intérieure de la Régence d'Alger », *Revue historique*, T. 235, 1966, pp. 297-316.

- جاء في تقرير لابانسونيار (La Pinsonnière) للجنة الإفريقية (1833): "لقد تسبب الأتراك الذين احتلوا الجزائر عسكريا في تدميرها، ولم تنتج حكومتهم سوى مغتصبين و أعداء"[6].

- روب (Robe): "إن حكومة الأتراك كانت حكومة أجنبية بالنسبة للإيالة الجزائرية، نتجت عن القوة وكانت عملية اغتصاب"[7].

- دوغرامون (De Grammont): "إن الأتراك كانوا يحتلون إيالة الجزائر و لم يكونوا قط يحكمونها"[8].

- أوغسطين برنار (Augustin Bernard): "يمكن القول بدون مبالغة أن الجزائر الجزائرية لم تكن موجودة قبل وصول الفرنسيين، و لم يكن لها حتى مجرد اسم تُعرف به. لقد أخرجناها حقيقة من العدم، و أعطيناها اسمها و شخصيتها"[9].

- غوتييه (Gautier): "إن هذه البلاد (شمال إفريقيا و منها الجزائر) ليس لها اسم تُعرف به في العالم، حيث نجد أنفسنا مضطرين لأن نختار لها اسما معينا، و ذلك لأنها لم تتمتع أبدا بوجود سياسي متميّز"[10].

- موريس توريز (Maurice Thorez) (زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي) (11 فبراير 1939): "إن الأمة الجزائرية في طريق التكوين تاريخيا (أي تنتظر من الفرنسيين تشكيلها...)"[11].

- ميرسييه (Mercier): "ساهمت سياسة الأتراك في الجزائر في إخماد كل إحساس وطني لدى الجزائريين، بل أذكت بينهم روح العصبية القبلية (الصف)"[12].

---

[6]**LA PINSONNIÈRE** : *Rapports et Procès-Verbaux. Commission d'Afrique*, d'après X. Yacono, « La Régence d'Alger en 1830, d'après l'enquête des commissions de 1833-1834 », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 1, 1966, p. 238.

[7]**ROBE (Eugène)** : *Origines, formation et état actuel de la propriété immobilière en Algérie*, Paris, Challamel, 1885.

[8]**GRAMMONT (Henri Delmas de)** : *Op.cit.*, p. 413.

[9]**BERNARD (Augustin)** : *L'histoire des colonies françaises*, T. 2 : L'Algérie, Paris, Plon, 1920.

[10]**GAUTIER (Emile-Félix)** : *Le passé de l'Afrique du Nord : les siècles obscurs*, Paris, Payot, 1952, p. 7.

[11]**THOREZ (Maurice)** : « Le peuple algérien uni autour de la France : Le Discours d'Alger le 11 février 1939 », *La Brochure Populaire, 3ème année, n◦ 7, avril 1939*, p. 12.

- بوابيه (Boyer): "إن الأقلية التركية بالجزائر استغلت البلاد بطريقة سيئة لفائدتها، و هي بالتأكيد استعمارية بأسوء معاني هذه الكلمة"[13].

- شارل آندري جوليان (Ch.-A. Julien): "إن الحكم التركي للجزائر المتمثل في "الأوجاق" لم يكن ذا طابع وطني، و لم يسمح بقيام وحدة وطنية أو حدوث تيقظ للضمير الجزائري رغم توفر الظروف المشجعة على ذلك"[14].

وقد ساير هذه المواقف المجحفة التي تغافلت عن الحقائق التاريخية و عبّرت عن موقف مسبق، بعض الكتاب الجزائريين الذين تبنوا بفعل تأثرهم بالثقافة الفرانكوفونية و تشربهم للأفكار الغربية الأطروحات الفرنسية السلبية تجاه الوجود العثماني بالجزائر، نذكر منهم: محيي الدين جندر، و عبد الرحمن بن آشنهو، و مولود قايد، و الهادي فليسي، و محمد الشريف ساحلي، و نور الدين عبد القادر، و فرحات بن معمّر.

و من الأمثلة على ما أورده هؤلاء الكتاب الجزائريون:

- عبد الرحمن بن آشنهو: "إن الإدارة التركية أداة تعمل لملء أكياس الخزينة و جيوب الأقلية التركية الحاكمة المسيطرة، مما جعل ثروة البلاد في مثل هذا الوضع أشبه شيء بقطعة حلوى يأخذ منها كل موظف ما يخوله له منصبه"[15].

- نور الدين عبد القادر: "إن الحكم العثماني للجزائر يتصف بالتعسف، فهو إقطاعي مستبد لم يكن فيه للأهالي نصيب"[16].

- محيي الدين جندر: "إن حكومة أتراك "الوجاق" أنشئت و تدعمت و حافظت على بقائها ليس نتيجة تطور محلي ساهم فيه السكان، و إنما بفعل تحكم الإقطاع و ما نتج عنه من تفكك و تلاش و ركود و تقهقر"[17].

---

[12] **MERCIER (Ernest)** : *Comment l'Afrique septentrionale a été arabisée*, Constantine, Imp. L. Marle, 1874, p. 16.

[13] **BOYER (Pierre)** : « Introduction à l'histoire intérieure de la Régence d'Alger », *Op.cit.*, pp. 311-312.

[14] **JULIEN (Charles-André)** : *Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871)*, Paris, P.U.F., 1964, pp. 15-20.

[15] **BENACHENHOU (A.)** : *L'État algérien en 1830*, Alger, S.N.E.D., s.d., p. 27.

[16] **عبد القادر (نور الدين)** : *صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء الحكم التركي*، جامعة الجزائر، منشورات كلية الآداب، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965، ص. 288.

- مولود قايد: "الأتراك أجانب و قد ظلوا أجانب طيلة القرون الثلاثة، و ذلك لعدم تمكنهم من الاتصال بالسكان المحليين"[18].

- معمّر فراح: كتب مؤخرا مقالة بعنوان "هل يجب أن نتجاوز على جرائم العثمانيين لأنهم مسلمين؟"[19].

و بينما قد نجد عذرا للكتاب الفرنسيين لكونهم ملتزمين بخدمة المشروع الاستعماري الفرنسي القائم على إلغاء الوجود الجزائري مهما كان شكله قبل الاحتلال، فإننا لا نجد ما يبرر موقف جزائريين رفضوا بفعل الاستلاب الثقافي و التبعية الفكرية الإقرار بمظاهر السيادة الجزائرية قبل الاحتلال الفرنسي، فخدموا بذلك بطريقة غير مباشرة الأطروحة الاستعمارية و رسّخوها في العقول و منحوها شرعية بما أنهم ينتمون للطرف الآخر (الجزائري).

ولم يختلف عن دورهم السلبي النابع من موقف مبدئي معاد للحكم و الوجود العثمانيين ما روّج له بعض الباحثين في المشرق العربي من ذوي الإحساس القومي العربي المعادي لحركة التتريك، أمثال: محمد أنيس، و عبد الله عنان، و السيد الراقد، و قسطنطين رزيق، و مسعود ضاهر، و سيار الجميل، و وجيه كوثراني، و محيي الدين فارس[20].

في المقابل قدمت الكتابات الجزائرية ذات البعد الحضاري النابعة من الثقافة العربية الإسلامية تعبيرا أو انتماءً نظرة إيجابية عن علاقات الجزائر بالدولة العثمانية. و كان في طليعة من طرحوا هذه المقاربة الإيجابية لتواصل الجزائر مع الدولة العثمانية مؤرخون جزائريون من الجيلين الأول و الثاني من المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث أمثال: أحمد توفيق المدني، و أبو القاسم سعد الله، و يحيى بوعزيز، و جمال قنان، و مولود قاسم نايت بلقاسم، و مولاي بلحميسي، و عبد الرحمن

---

[17]**DJENDER (Mahieddine)** : *Introduction à l'histoire de l'Algérie*, Oran, S.N.E.D, 1968, p. 65.

[18]**GAID (Mouloud)** : *L'Algérie sous les Turcs*, Tunis, S.N.E.T., 1974.

[19]**FARAH (M.)** : « Faut-il pardonner aux Ottomans leurs crimes parce qu'ils sont musulmans? », in *Le Soir d'Algérie*, 22 avril 2021.

[20] للتعرف على هذا التوجه، انظر: **سعيدوني (ناصر الدين)** : "نحو مقاربة جديدة لتاريخ العرب الحديث، مناقشة مفاهيم و عرض تصورات"، *مجلة الخليج للتاريخ و الآثار*، الكويت، جمعية التاريخ و الآثار بدول مجلس التعاون الخليجي، العدد 2، 2006، ص ص. 117-151.

الجيلالي، و محمد بن عبد الكريم، و إسماعيل العربي، و العيد مسعود، و المهدي البوعبدلي، و ناصر الدين سعيدوني، و محفوظ قداش، و منور مروش، و عبد القادر زبادية. و قد واصل إسهامهم الجيل الثاني من الباحثين في تاريخ الجزائر الحديث الذين تعمّقوا في دراسة مختلف جوانب العلاقة الجزائرية-العثمانية، و لم يرضوا بالموقف الإيديولوجي المسبق، أمثال: شكيب بن حفري، و محمد درّاج، و زهرة زكية، و ودّان بوغفالة، و نعيمة بوحمشوش، و فتيحة الوليش، و فريد بنور.

بينما تميّز موقف المهتمين بالقضايا الاجتماعية و المسائل الاقتصادية و العلاقات الثقافية بموقف متحفظ من المسألة، فلم تكن لهم نظرة سلبية للتواصل العثماني-الجزائري، و إنما آثروا الابتعاد عن الجوانب السياسية و المواقف الإيديولوجية بفعل ارتباطهم بالتراث الأدبي و دراسة نفسية السكان و بالمنهجية الأنثربولوجية و الإثنولوجية، نذكر منهم: عمر بن خروف، و عائشة غطاس، و فاطمة الزهراء قشي، و جميلة معاشي، و علامة صليحة، و فلّة موساوي، و هواري تواتي، و الطيب شنتوف، و أرزقي شويتام، و حميدة عميراوي، و حنيفي هلايلي[21].

على العموم تصب رؤية المؤرخين الجزائريين في مقاربة تبرز أوجه تواصل الجزائر مع الدولة العثمانية، و تظهر حفاظها على خصوصيتها و عدم خضوعها للهيمنة التركية كما ادعى أغلب الكتاب الفرنسيين و من تأثّر بهم. و قد تمكّن الكتاب الجزائريون، انطلاقا من المعطيات التاريخية، من التأسيس لأطروحة وجود كيان جزائري تعامل مع الدولة العثمانية في إطار تعاون إستراتيجي و تواصل حضاري و تحالف عسكري.

هكذا نجد أنفسنا أمام تصورين متناقضين للعلاقة الجزائرية-العثمانية و مسألة سيادة الجزائر: تصور افتراضي مرتبط بالمشروع الاستعماري، و تصور واقعي يحاول الخروج من الأسر الإيديولوجي و الفكري الاستعماري بالرجوع إلى المعطيات الموضوعية التي تؤكد خصوصية الروابط الجزائرية العثمانية و إسهام الوجود العثماني في بلورة كيان جزائري ذي سيادة، و هو الموقف الأقرب إلى الحقيقة التاريخية، كما نحاول إبراز ذلك في النقطة التالية.

[21] اعتمدنا في هذا التصنيف على كتاباتهم المنشورة.

2. طبيعة الروابط الجزائرية-العثمانية و النتائج المترتبة عنها

تدل الوقائع التاريخية أن الدولة العثمانية لم تستول على الجزائر بالقوة العسكرية كما كان الشأن في أغلب أقطار المشرق العربي، و إنما كان التحاق الجزائر بدولة الخلافة العثمانية طوعيا بعد أن استغاث السكان بها لصد العدوان الإسباني الذي كان يهدد سواحل البلاد في مطلع القرن السادس عشر، و كان يمثل خطرا وجوديا على الإسلام في الشمال الإفريقي في أعقاب سقوط الأندلس و اندفاع القوة الإسبانية لتنفيذ مشروعها الكاثوليكي (الريكونكيستا). و هذا ما جعل الجزائريين منذ البداية في موقف الأعوان المناصرين و الحلفاء المخلصين للدولة العثمانية بفعل العاطفة الدينية و المصلحة المشتركة. و لم ير الجزائريون في مجاهدي البحر بزعامة الإخوة بربروس العثمانيين غزاة محتلين و إنما منقذين لهم في محنتهم بعد ضياع الأندلس خاصة مع تقاعس وضعف الحكام المحليين أمام الخطر الداهم، فكانت نظرتهم لقدوم العثمانيين إلى البلاد إيجابية مكّنتهم من تجديد طاقتهم و بعث ثقتهم في النفس، وهذا ما عبّر عنه عثمان الكعّاك بقوله: "الحقيقة أن الأتراك قاموا بأعمال جددوا بها الإسلام و أرجعوا إليه عنصر الشباب[22]."

لقد اكتسبت الرابطة الجزائرية العثمانية طابعا شرعيا لضرورات أمنية و اعتبارات روحية و دوافع سياسية تنفي صفة التبعية أو السيطرة أو الخضوع للدولة العثمانية، و تؤكد علاقة التعاون و التحالف في مفهومه الإسلامي على اعتبار السلطان العثماني الممثل الروحي للمسلمين.

و هذا ما تؤكده رسائل الاستغاثة و الاستنجاد التي وجهها السكان الجزائريون إلى السلطان العثماني، منها خطاب أهالي بجاية الذي طلبوا فيه من عروج إنقاذهم من تعسف الإسبان و دعوه للقدوم لنصرتهم (جمادى الثانية 918 هـ/ 1512)[23]؛ و رسالة علماء و أعيان مدينة الجزائر تحت سلطة حاكمها سالم التومي إلى الإخوة بربروس الذين كانوا قد حرّروا جيجل من الجنويين (1514)، و التي طلبوا فيها منهم

---

[22] **الكعّاك (عثمان)**: *موجز التاريخ العام للجزائر*، ط. 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005 (الباب السادس: الجزائر التركية)، ص. 457.

[23] **المدني (أحمد توفيق)**: حرب *الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا*، ط. 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976، ص. 148.

القدوم إليهم وتحريرهم من سطوة الإسبان[24]؛ و رسالة أعيان الجزائر و علمائها إلى السلطان سليم الأول للانضمام إلى دولته بزعامة خير الدين بربروس (1519)[25]؛ و عريضة أعيان قسنطينة للسلطان سليمان القانوني يؤيدون فيه حكم صالح رايس للجزائر و يرجون منه إبقاءه في منصبه (1555)[26].

تنفي هذه الشواهد التاريخية عن الحضور العثماني بالجزائر صفة الاغتصاب و الاستغلال و الاستعمار و التبعية، بل أنها تؤكد طابع التعاون و التحالف الذي اكتسى صبغة شرعية، مما يناقض الأفكار المتحيّزة ضد الدولة العثمانية و المعادية لفكرة وجود دولة جزائرية حديثة التي انبثقت من التعاون و التواصل الجزائري-العثماني.

كما تدفعنا هذه الشواهد إلى دحض الآراء التي روّج لها أغلب الكتاب الأوروبيين و التي تتنكر للواقع التاريخي لأهداف سياسية و مواقف إيديولوجية و اعتبارات ثقافية و التي يشترك فيها دعاة المشروع الاستعماري و المدافعين عنه، و أصحاب النظرة القومية الضيّقة لاعتبارات ثقافية، و أصحاب الميول الجهوية من منطلقات إثنية، و الرافضون للقيم الحضارية و المرتبطون بالثقافة الفرانكوفونية و المتمثلون للأفكار الغربية لدوافع إيديولوجية.

فكل هؤلاء يرفضون الوقائع التاريخية و يعبرون عن موقف مبدئي معاد للوجود التاريخي للجزائر كدولة و أمة، ينظر إلى علاقتها بالدولة العثمانية على أنها

---

[24] رسالة علماء و أعيان مدينة الجزائر برئاسة حاكمها سالم التومي يستقدمون فيها عروج من جيجل (1514) لتحريرهم من سطوة الإسبان، انظر:
GRAMMONT (Henri Delmas de) : *Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830*, éd. Bouchène, 2002, p. 42.

[25] رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول، ذو القعدة 925 هـ/ 1519 م، انظر: **التميمي (عبد الجليل)** : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 6، 1976، ص ص. 116-120.

[26] عريضة أعيان قسنطينة للسلطان سليمان القانوني تأييدا لحكم صالح رايس، 963 هـ/ 1555 م، انظر: **سعيدوني (ناصر الدين)** : "رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس (963 هـ-1555 م)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص ص. 101-121.

مجرد تبعية واستعمار بغية تشويه الهوية الجزائرية و الإضرار بالذاكرة التاريخية، و تبريرا ضمنيا للمشروع الاستعماري الفرنسي في شكله العسكري و الاستيطاني قبل استقلال الجزائر أو طابعه الثقافي الفرانكوفوني بعد الاستقلال، سلاحهم في ذلك واقع تاريخي افتراضي صادر عن رؤية أوربية مركزية أو قناعات ذاتية ظرفية لا تستند إلى دلائل تاريخية موثقة، بل تتعمد قلب الحقائق و التستر على المواقف المعادية للهوية و الذاكرة الجزائريتين و تدعم أطروحات التنكر لها بالحط من بطولات الرجال الذين صنعوا التحالف الجزائري-العثماني و أسسوا لكيان جزائري سيّد بالمفهوم الحديث، و في مقدمتهم الإخوة بربروس.

إن القارئ النزيه للتاريخ لا يمكن أن يبرر بأي حال من الأحوال تعاون أبي حمو الثالث الزياني مع الإسبان و مناصرته لهم في حصار قلعة بني راشد حيث استشهد إسحاق بربروس (1517)، أو دوره في محاصرة مشور تلمسان حيث تحصّن عروج قبل أن يُلاحق و يستشهد بالوادي المالح (1518). كما لا يمكنه أن يبرر موقف المناوئين لمشروع الإنقاذ الذي تزعمه عروج و خير الدين، من أمثال حميد العبد بتنس، و قارة حسن بشرشال، و سالم التومي بمدينة الجزائر، و ابن القاضي بكوكو، و مناصري شيخ الإسلام عبد المؤمن بقسنطينة[27].

إن الواقع التاريخي يؤكد أن قدوم الإخوة بربروس إلى البلاد الجزائرية بطلب من أهلها كان اللبنة الأولى في تأسيس دولة مركزية بمعايير ذلك الزمن، دولة قوية مهابة الجانب في الداخل و الخارج. فقد شكلت الجزائر حلقة أساسية صعبة المراس في الذود عن أرض الإسلام في وجه الصليبية الزاحفة، كما وصفتها رسالة أهالي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني (948 هـ/1541 م)، و التي جاء فيها: "فهي سياج لأهل الإسلام و عذاب لأهل الكفر و الطغيان"[28].

إن تبني هذا التصور الإيجابي للتاريخ الجزائري الحديث يتطلب مقاربة ظاهرة

---

[27] **خير الدين بربروس** : *مذكرات*، ترجمة محمد دراج، ط. 2، الجزائر، الأصالة للنشر والتوزيع، 2013.

GRAMMONT (Henri Delmas de) : *Op.cit.*, éd. Bouchène, 2002, p. 50.

[28] **التميمي (عبد الجليل)** : "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 3، 1975، ص ص. 100-106.

الدولة العثمانية من واقعها في ذلك الوقت و ليس بإسقاط أنماط تفكيرنا المعاصرة عليها، فهي دولة لا تنطبق عليها مواصفات الدولة القومية الخاصة بالأتراك، و إنما كانت ما يمكن وصفه بنظام حكم عالمي يستمد قوته من مرونته و تقبله لتعدد القوميات و الأديان و المذاهب و إفساحه مجال المبادرة للكيانات المحلية القائمة على خصوصياتها الجغرافية و البشرية، و هذا ما استفادت منه الجزائر البعيدة عن مركز الحكم في بناء شخصيتها الحديثة، و هذا ما نبّه إليه و أكّد عليه الأستاذ المبرّز روبير مونتران العالم بالعثمانيات بخصوصية الظاهرة العثمانية في محاضرة ألقاها في إستانبول سنة 1986 في مؤتمر العلاقات العثمانية-العربية، ملقيا اللوم في تشويه الوجود العثماني في البلقان والبلاد العربية بالمشرق على الموقف العدائي للأوربيين من الدولة العثمانية التي وصفها بأنها ظاهرة عالمية تجاوزت وضع القوميات و الديانات[29].

3. الكيان السياسي للدولة الجزائرية الحديثة (1516-1830) : المرجعيات والمظاهر وارتباطها بفكرة الوطن ومحددات الهوية

إن التعاون و الترابط بين الجزائر و الدولة العثمانية عبر ما يزيد عن ثلاثة قرون (1516-1830) حقق للجزائريين الظروف الملائمة لاستكمال بناء هياكل دولتهم، و إقرار أنظمتها الإدارية، و تأكيد استقلالها الفعلي، و فرض حضورها الدولي.

و قد تم ذلك بفعل تطور داخلي و علاقات متوازنة مع الدولة العثمانية، فقد انتقلت الجزائر خلال القرن السادس عشر من كونها جبهة متقدمة في الصراع مع إسبانيا الكاثوليكية (1518-1588) إلى تنسيق عسكري مباشر حفظ لها وضعها الخاص في غرب المتوسط خلال القرن السابع عشر (حكم الباشوات: 1588-1659؛ حكم الآغوات: 1659-1671) لتصبح دولة تتمتع باستقلال فعلي تتعاون مع الدولة العثمانية في إطار المصلحة المشتركة (1671-1711)، حكمها رياس البحر (1671-1689) ثم ممثل طائفة الأوجاق (1689-1711)، استقلت بشؤونها الداخلية و علاقاتها الخارجية منذ معاهدة كارلوفيتش (1699)، لتصبح منذ 1711 و حتى 1830

[29]**MANTRAN (Robert)** : « L'Empire ottoman : La vision européenne », *Studies on Turkish Arab Relations*, Annual 1986, TAIV, pp. 189-192.

دولة قائمة بذاتها لا تربطها بالدولة العثمانية سوى المصالح المشتركة و الاعتبار الأدبي للسلطان العثماني باعتباره رمز وحدة الشعوب الإسلامية و الذي يمثله موظف شرفي يُعرف بالباشا[30].

لقد حققت الجزائر تدريجيا بفعل التعاون و التحالف مع الدولة العثمانية مكاسب إستراتيجية رسّخت وجودها كواقع جيو-سياسي قائم؛ فاستكملت من خلال نظام حكمها الخاص الذي فرضته علاقة التعاون مع الدولة العثمانية و ساعدت عليه الظروف السائدة في منطقة مواجهة ساخنة، كيانها السياسي المستقل كدولة لها حضور قوي في غرب المتوسط بفعل نشاط بحريتها و إقرار أنظمة إدارية خاصة بها تنظم شؤونها المحلية و تراعي خصوصياتها الجغرافية (تنظيمات البايليكات)، و تؤمن معاملاتها الاقتصادية، و توازناتها الاجتماعية.

من خلال تأكيد وجودها السياسي و الاقتصادي و الإستراتيجي و نظام حكم أقرب إلى الأنظمة الحديثة منه إلى الأنماط التقليدية، استقرت أوضاع الجزائر الداخلية، و حققت توازنا و وحدة نسبية بين مكوناتها، و ثبّتت حدودها الشرقية و الغربية في زمن لم تكتمل فيه حدود كثير من الدول الغربية و على رأسها فرنسا، و أقرت عاصمتها المركزية الواقعة على نفس المسافة بين أقصى شرق البلاد و أقصى غربها؛ فكان ذلك مؤشرا قويا على تشكل كيان جيو-سياسي مكتمل الأسس في قلب بلاد المغرب الإسلامي، قادر على الدفاع عن وجوده و الحفاظ على ثقافته العربية الإسلامية و تأمين تواصله مع البلاد الإسلامية حسب وصف لوسيان غولفان (Lucien Golvin)[31].

لقد تبلور الكيان السياسي للجزائر في شكل دولة مركزية ذات طابع حكم جمهوري عسكري أظهر قدرته على إقرار الأمن داخليا و مواجهة الضغوط و الهجمات الأوربية خارجيا، و تميّز بنجاعته الوظيفية و نظامه المحكم، وهذا ما أقرّه كثير من

---

[30]**SERRES (Jean)** : *La politique turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de Juillet*, Paris, Paul Geuthner, 1925, p. 194.
-GENTY DE BUSSY (P.) : *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger et des moyens d'en assurer la prospérité*, 2ème éd., Paris, Firmin Didot, 1839, T. 2, p. 46.

[31]**GOLVIN (Lucien)** : « Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985-1, p. 219.

الكتاب الذين اعترفوا للجزائر بصفة الدولة المستقلة القائمة بذاتها، بمن فيهم كتاب فرنسيون نورد فيما يلي ما دوّنه بعضهم في هذا الشأن:

- جان دريش (Jean Dresch): ذكر في دراسته عن الظاهرة الوطنية الجزائرية أن الأتراك أعانوا الجزائريين في رد الإسبان أثناء القرن السادس عشر، و نجحوا في تنظيم نيابة الجزائر، فكان ذلك أول شكل لظهور دولة جزائرية[32].

- سير (Serres): دايات الجزائر يُعتبرون كحلفاء للباب العالي فقط[33].

- إيف تيرنون (Yves Ternon): لم يعد يربط الداي بالباب العالي سوى علاقات تضامن، و يقدم له في بعض الأحيان إعانة عسكرية[34].

- إرنست واتبلد (Ernest Watbled): دولة الجزائر تشكل جمهورية من خلال شكل حكومتها[35].

- فاتان (Vatin): دولة الجزائر بدون نقاش لها هوية مستقلة و هي صاحبة سيادة، تتماشى و التعريف الجاري به العمل في القانون الدولي[36].

- بيرو (Perrot): الجزائر في سنة 1830 كانت تشكل بصفة مؤكدة دولة (إن الجزائر لها طبيعة دولة)[37].- بجاوي حسب فاتان (Bedjaoui d'après Vatin): إن الجزائر بكل المقاييس في عصرها كانت عضوا في المجتمع الدولي على قدم المساواة مع الآخرين (الدول الأخرى)[38].

---

[32]**DRESCH (Jean)** : « Le fait national algérien », *Hérodote,* 11, 1978, pp. 109-124.

[33]**SERRES (Jean)** : *Op.cit.,* p. 10.

[34]**TERNON (Yves)** : *L'Empire ottomane : Le déclin, la chute, l'effacement*, Paris, Le Félin, 2002, p. 98.

[35]**WATBLED (Ernest)** : « Pachas et pachas-deys », *Revue africaine,* XVII, 1873, pp. 438-443.

-**WATBLED (Ernest)** : « Établissement de la domination turque en Algérie », *Revue africaine,* XVII, 1873, pp. 294-295.

[36]**VATIN (Jean-Claude)** : « L'Algérie en 1830. Essai d'interprétation des recherches historiques », *Revue algérienne des sciences juridiques et économiques*, vol. 7, n◦ 4, décembre 1970, p. 1015.

[37]**PARET (Roger)** : « Quand l'Algérie ne savait pas qu'elle était algérienne », *Preuves*, n◦ 188, octobre 1966, p. 69.

[38]**BEDJAOUI (Mohammed)** : *La Révolution algérienne et le droit*, Bruxelles, Association internationale des juristes démocrates, 1961, pp. 17-18, (d'après J.-C. Vatin).

- غودان (Godin): لقد كانت هناك دولة جزائرية قبل 1830 لأن الإيالة كانت دولة حقيقية يتولى الداي رئاستها و لها خصوصية حقيقية[39].

إن نظرة تاريخية متفحصة لأوضاع الجزائر طيلة تواصلها مع الدولة العثمانية (1516-1830) و تعاملها مع الدول الأوربية تسمح لنا باستخلاص بعض الاستنتاجات التي تحدد طبيعة كيانها السياسي:

- إن مصير الجزائر ارتبط طيلة العصور الحديثة (16-19 م) بمقدرات الدولة العثمانية بفعل روابط حضارية، و تواصل روحي، و تعاون عسكري، و تبادل اقتصادي، و تفاعل ثقافي بين إستانبول و مدينة الجزائر، مما خدم مصلحة الجزائر وضمن أمنها الداخلي و مكانتها الدولية، بينما عادت علاقات الجزائر بالدول الأوربية بالضرر و كانت لها نتائج وخيمة، و لعل أحسن مثال على ذلك التأثير السلبي للامتيازات الفرنسية بالجزائر للحصول على المواد الأولية التي أصبحت تثير شهية الاستعمار الناشئ، و هي الامتيازات التي سارع ديونا الجزائر بإلغائها (1798) بسبب حملة نابليون على مصر و حوّلها إلى الإنكليز (1807) الذين لم يكن موقفهم أفضل من الفرنسيين الذين استرجعوها بفعل الاتفاقيات الجزائرية-الفرنسية المبرمة في عامي 1791 و 1793 و التي منح بموجبها داي الجزائر حسن باشا لفرنسا قرضا بمليون فرنك بدون فوائد، و التي أدت في الأخير إلى الخلاف الفرنسي-الجزائري و إلى ضربة المروحة التي اتخذها الفرنسيون ذريعة لغزو الجزائر[40].

- إن فكرة الوطن الجزائري اكتملت في العصر الحديث بعيدا عن تدخل الأقطار المجاورة و تهديدات الدول الأوربية و في إطار تعاون مثمر مع الدولة العثمانية. فلم تكن للاعتبارات الإثنية أو الميول القبلية أو المطامع السياسية تأثير في بلورة فكرة الوطن التي كان أساسها الأرض الجزائرية و قوامها العقيدة الإسلامية و الثقافة العربية. و قد كان ظهور الكيان السياسي الجزائري الحديث نهاية لمرحلة الدول الإقليمية التقليدية القائمة على عصبية القبيلة و النسب و بداية مفهوم الدولة

---

[39] **GODIN (Frédéric)** : « Le régime foncier de l'Algérie », in *L'Œuvre législative de la France en Algérie*, Collection du Centenaire de l'Algérie, Paris, Alcan, 1930, p. 91.

[40] **سعيدوني (ناصر الدين)**: *تاريخ الجزائر في العهد العثماني*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص ص. 101-102.

الحديث، و لن نبالغ إذا قلنا أن الجزائر كانت، نظرا لظروفها الخاصة، من أولى الدول العربية جنوب المتوسط التي عرفت حكما تجاوز الأسر الوراثية إلى نظام أشبه شيء بالجمهوريات الحديثة.

- و انطلاقا من فكرة الوطن فإن مفهوم الهوية الجزائرية اكتمل في هذه الفترة بعد مخاض صعب و طويل استمر قرونا، فخرجت الجزائر نهائيا من مرتبة الإقليم الخاضع للقوى الأجنبية، كما كان الأمر في فترة الهيمنة الرومانية و الوندالية و البيزنطية، و تخلصت من نموذج الدول العصبية التي كانت سائدة في الفترات الإسلامية مع الرستميين و الحماديين و المرابطين و الموحدين و الزيانيين. و بفعل هذا المخاض التاريخي الطويل أصبحت الجزائر وطنا لكل من ارتبط مصيره بالجزائر و انتسب إليها و عمل لصالح سكانها، و كان له استعداد للتضحية بحياته للدفاع عنها، و ليس بالضرورة من وُلد في الجزائر و عادى قيمها الحضارية و عمل ضد مصالح شعبها و تعاون مع القوى المعادية لها، أو تآمر مع المعتدين عليها، مما يكسب شخصيات من قبيل عقبة بن نافع و عبد الرحمن بن رستم و خير الدين بربروس صفة الجزائريين، فيما يفتقدها من تعامل مع الرومان و خدمهم، و ناصر الإسبان و تآمر معهم، و تحالف مع الفرنسيين و تطوع لخدمتهم، و نموذج الأقدام السوداء و الحركة شاهد على ذلك.

فالوطنية الجزائرية في مفهومها التاريخي الثابت و ليس اعتبارا للتنظير القانوني، لا تُكتب بالولادة و إنما تثبت بالارتباط بالوطن و التضحية من أجله و خدمة مصالحه. و هذا ما أخذ به حكام الجزائر في تعاملهم مع مختلف طوائف و مجموعات السكان باعتبارهم ينتمون إلى حضارة مشتركة و وطن واحد.

4. المسائل المحددة لطبيعة الدولة الجزائرية الحديثة : بين النظرة الواقعية و التفسيرات الإيديولوجية-السياسية

تطرح إشكالية التاريخ الجزائري الحديث في مختلف مظاهره و تطوراته في شكل جدلية ذات توجهين: أحدهما يسعى إلى إبراز مظاهر السيادة الجزائر بما يؤكد الكيان السياسي للجزائر كقاعدة لبناء الدولة و تنظيم مؤسساتها و بالتالي إقرار شرعيتها التاريخية، مما يعزز ذاكرتها التاريخية؛ و الآخر له منحى استرجاعي للإرث

الاستعماري للجزائر و يستمد حججه من أطروحات الدراسات الفرنسية القائمة على إلغاء وجود الدولة الجزائرية الحديثة. و كلا التوجهان يختلفان جذريا في تفسير مسائل أساسية يحاول كل اتجاه تقييمها حسب وجهة نظره، أهمها: طبيعة المؤسسة العسكرية الجزائرية (الأوجاق)، و نوعية الإدارة المحلية الجزائرية (البايليك)، و الحالة السائدة من حيث الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

1.4- المؤسسة العسكرية[41]

أبرزتها الدراسات الفرنسية و من سار في ركابها كجماعة أوليغارشية مؤلفة من عناصر تركية مستبدة بالحكم و معزولة عن السكان و معادية لهم، دون أن يكلّفوا أنفسهم الرجوع إلى الوثائق المحلية و دون التعرف على المعاملات باستثناء الباحثين دوني و كولومب، متجاهلين متطلبات التنظيم العسكري و طبيعة المجتمع و الظروف الأمنية و الإمكانيات المادية التي تضع الكيان السياسي الجزائري في إطاره التاريخي و تفرض على البايليك تنظيمات خاصة به.

و قد تناست هذه المقاربة الاستعمارية الأحداث التاريخية التي جعلت المؤسسة العسكرية العمود الفقري لنظام الحكم، كما أغفلت الأحداث التاريخية التي تؤكد انضباط فرق الوجاق و كفاءتها القتالية و أنظمتها المحكمة و نجاحها في المحافظة على الأمن في الداخل و الدفاع عن الحدود. فاعتبرت هذه المقاربة الجهاد البحري قرصنة مع أنه يندرج ضمن القوانين البحرية كوسيلة لصد الأساطيل الأوربية و الدفاع عن الجزائر و فرض حضورها و ضمان تواصلها مع الدولة العثمانية و تعاملها مع الدول الأوربية، بحيث أصبحت الجزائر شبه جمهورية ذات طابع عسكري يرأسها الداي الذي يختار من الموظفين الكبار (الديوان الصغير) و يُزكى من قبل الديوان الكبير، بحيث يكون حسب رأي حمدان خوجة نتيجة اختيار

[41] عُرفت بالأوجاق، و هم مجموع الفرق العسكرية العاملة في المدن (نوبات الثكنات و الحصون) أو في الريف (الحاميات) بمختلف رتبها من الجندي البسيط (اليولداش) إلى صف الضباط (آغا الهلاليين). و قد قُدر متوسط العاملين في الأوجاق بـ 1200 موزعين على 424 أوجاق (فرقة)، و تُلحق بهم القوات الرديفة (فرسان المخزن و الكراغلة و زواوة و بعض المتطوعين). انظر:
COLOMBE (M.) : *Op.cit.*, p. 180.

الجزائريين[42].

كما أن الكتابات المتحاملة على نظام الأوجاق تتغافل على حقيقة العمل العسكري و مسألة الانضباط القائم على التعاضد و التكافل بين أفراد الأوجاق ضمن مجموعة متآلفة من المستكتبين من الأناضول (أتراك، و أعلاج، و أرناؤوط، و غيرهم)، و من التحق بهم من المولدين (الكراغلة) و بعض الأهالي[43]، مما يبقيهم بعيدين عن التورط في المعاملات و الدخول في علاقات تضر بانسجامهم و انضباطهم، و لا يتماشى و متطلبات الحكم المركزي القائم على فاعلية النخبة العسكرية. و هذا أمر شائع في الكثير من الأقطار الأوربية و الإسلامية، و قد يؤدي التخلي عنه إلى انحلال أجهزة الدولة، و هذا ما دفع حمدان خوجة إلى إرجاع انحطاط حكومة الجزائر قبل الاحتلال إلى فتح أبواب الحامية (الأوجاق) لأي كان[44].

2.4- طبيعة الإدارة المحلية و علاقة البايليك بالسكان

وصفت الإدارة المحلية في الكتابات الفرنسية بالاستبداد و ممارسة الظلم و التعسف في حق سكان المدن و الريف، و اتهمت بتهميش العنصر الجزائري و كانت العناصر الأخرى غير جزائرية و أجنبية، و هي مقولة فرنسية لتبرير موقف سلطات الاستعمار من الجزائريين أثناء الاحتلال، و لقيت صدى المتعاملين مع الإدارة الفرنسية مثل محمد الصالح العنتري، و إسماعيل المزاري، و بعض شيوخ الزوايا و رؤساء القبائل المعادين للحكم المركزي الذي حدّ من نفوذهم، و هذا أمر مبرر تاريخيا إلا أنه غير مفهوم عندما يتعلق ببعض الباحثين الجزائريين الذين ينقمون على إدارة البايلك في ممارسة صلاحياتها لضمان الأمن، فاعتبر بعضهم أن أهم سمة ميّزت وجود الأتراك العثمانيين بالجزائر هي هيمنتهم شبه المطلقة على أمور الإدارة و

---

[42] **بن عثمان خوجة (حمدان)** : *المرآة، لمحة تاريخية و إحصائية عن إيالة الجزائر*، ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1975، ص. 127.

[43]Organisation militaire de l'Oudjaq d'Alger, Archives d'Outre-mer, Aix-en-Provence, 8 H3 (Généralités historiques: Organisation des Turcs).

[44] **بن عثمان خوجة (حمدان)** : المرجع نفسه، ص. 21.

الجيش و الاقتصاد، ليكون حظ السكان التهميش عكس الأعلاج و اليهود[45]، دون أن يكلفوا أنفسهم مقارنة أوضاع الجزائر آنذاك بالأقطار المجاورة أو الرجوع إلى الفترة التي سبقت قيام الحكم المركزي بالجزائر المعتمد على تنظيم الأوجاق كأساس للدولة الجزائرية سمح لها بأن تعرف أوضاعا أفضل من بعض الأقطار المعاصرة[46].

3.4- الحالة السائدة اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا

التي يطبعها حسب الكتابات الفرنسية العجز المالي و نقص المحاصيل و سوء الحالة الصحية و تراجع السكان و انكماش المدن و معاناة الفلاحين لحالة البؤس و المجاعة و شيوع الاضطراب. و هذه وضعية يمكن التسليم بها في فترة التراجع التي عرفتها الجزائر في الربع الأول من القرن 19 م[47]. و قد بدأت بوادر أزمة حادة متعددة الجوانب أثرت في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية، و أدت إلى ضعف البايلك و عجزه عن الوقوف في وجه الأساطيل الأوربية منذ 1794[48]، و أدت في الأخير إلى عجز البلاد في مواجهة الغزو الفرنسي.

بينما الفترات الأولى للدولة الجزائرية (ق. 16-18 م) كانت كل المؤشرات و الدلائل الاقتصادية تؤكد الأوضاع الجيدة في المدن و الريف، و لا يمكن أن تعمم أوضاع فترة الضعف التي عرفتها الجزائر قبل الاحتلال من جراء اضطراب الإدارة و ضعف البحرية و تحول الضغوط الأوربية إلى مخطط إستراتيجي نتيجة التوافق الأوربي عملا بمقررات مؤتمر فيينا (1815) و بروتوكولات لندن (1818) التي مهّدت للغزو الفرنسي للجزائر (1830)[49].

---

[45] **هلايلي (حنيفي)** : "سياسة التهميش في الجزائر خلال العهد العثماني"، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، العدد 20، 2006، ص ص. 189-204.

[46] **EMERIT (Marcel)** : « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », *Art.cit.*, pp. 169-172.

[47] **SAIDOUNI (N.)** : *L'Algérois rural…, Op.cit.*, p. 11.

[48] **سعيدوني (ناصر الدين)** : "صفحات من ماضي الجزائر المجيد : البحرية الجزائرية، ظروف نشأتها و عوامل تطورها و أسباب ضعفها"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 150-151.

[49] **LE MARCHAND (E.)** : *L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'Etat*, Paris, Perrin et C[ie], 1913.

كما لا يمكن اعتبار ضعف الحياة الثقافية و تهميش رجال العلم خاصة في أوضاع الجزائر في تعاونها مع الدولة العثمانية لأن حالة تراجع الثقافة و انغلاق الفكر كانت سائدة قبل تلك الفترة و تطبع الوضع الثقافي في الدولة العثمانية و البلاد العربية، و هذا ما لم يأخذه أبو القاسم سعد الله في الاعتبار عندما وصف الحالة الثقافية في الجزائر في العصر الحديث بالضعف و أرجع تقهقرها إلى غياب تشجيع الحكام للعلم و العلماء[50]، بينما لاحظ بعض الباحثين الفرنسيين أن الحكم العثماني ببلاد المغرب العربي حافظت على اللغة العربية كلغة رسمية[51]، و أن الوضع الثقافي كان إيجابيا في مجمله، لتوفر خدمات المؤسسات الوقفية و نشاط المدارس بالمدن و الزوايا بالريف[52].

خاتمة: الذاكرة التاريخية للجزائر في العصر الحديث بين الاعتبارات الإيديولوجية و الموضوعية التاريخية (معركة الذاكرة)

إن الاختلاف في الرؤية و التضارب في المواقف حول صلات الجزائر بالدولة العثمانية أخذ شكل "معركة ذاكرة تاريخية" حالت دون اكتمال مفهوم موحد للدولة لدى الرأي العام الجزائري و صياغة تصور مشترك للتاريخ و نظرة واحدة لاستمرارية الكيان الجزائري كرونولوجيا و سياسيا، فهناك من يرجعه إلى عهد الأمير عبد القادر باعتباره مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، و البعض يربطه بالثورة التحريرية، وهناك من يعيده إلى الفترة النوميدية و العهد الإسلامي، بينما حقيقة الكيان الجزائري المستقل بذاته ترتبط أساسا بالصراع الدولي في غرب المتوسط بين الإسبان

-**MASSON (Paul)** : *Marseille et la colonisation française : Essai d'histoire coloniale*, 2ème éd., Paris, Hachette, 1912, p. 333.

- **سعيدوني (ناصر الدين)** : "الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية (1827-1830)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، المرجع نفسه، ص ص. 350.

[50] **أبو القاسم (سعد الله)** : *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج. 1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص. 135.

[51]**GOLVIN (Lucien)** : *Art.cit.*, p. 220.

[52]**EMERIT (Marcel)** : « L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830 », *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, juillet-septembre 1954, pp. 199-212.

و العثمانيين و الذي هيأ الظروف لتشكل ثم اكتمال هذا الكيان بفعل صلات الجزائر بالدولة العثمانية.

إن مسألة الذاكرة الجزائرية التي ترتبط بتشكل الكيان السياسي للجزائر و استمراره حتى 1830 أصبحت بفعل التوجهات الثقافية و السياسية المتناقضة و غير الواقعية ميدان معركة فكرية ذات أبعاد مصيرية لإسقاطاتها على الحاضر و تأثيرها على تصور المستقبل. و الجزائر ليست مثالا شاذا في ذلك، فقد عرفت كثير من الشعوب تشويشا و اضطرابا في قضية انتماءها و محددات هويتها و أصول سكانها، مما عرّض تاريخها للتشويه و ثقافتها للهدم و جعل ذاكرتها موضوع اختلافات إيديولوجية و أطروحات فكرية متباينة، و في مقدمتها الجزائر التي تعرضت دولة و شعبا إلى اعتداء معنوي و تشويه تاريخي جراء الطروحات المناقضة للحقائق من خلال الكتابات التاريخية المعادية لكيانها و ذاكرتها. لكن يقظة الحركة الوطنية و تضحيات الثورة التحريرية و وعي الشعب الجزائري، مكّنت الجزائر من استرجاع ذاتيتها و امتلاك تاريخها و المحافظة على ذاكرتها في إطار ثوابتها الحضارية.

نستنتج مما سبق أن العلاقات الجزائرية-العثمانية لا يمكن اعتبارها عملية استعمار أو هيمنة، و إنما هي في أساسها علاقات تعاون و تحالف فرضتها الأوضاع الجيو-سياسية في حوض المتوسط و حالة الصراع العثماني-الإسباني في غرب المتوسط، و أوجبتها وحدة العقيدة و المصلحة المشتركة بين إستانبول و الجزائر، فارتبط مصير الجزائر بمقدرات الدولة العثمانية لاختلال التوازن بين العالمين الإسلامي و المسيحي، و هذا ما يعطي عملية الجهاد ضد الإسبان التي تزعمها الإخوة بربروس و التي أسفرت عن إنشاء الكيان الجزائري صفة مشروع إستراتيجي حال دون تكرر كارثة الأندلس في السواحل المغاربية، فكانت عملية الجهاد البحري الوسيلة الفعّالة للوقوف في وجه الاعتداءات الأوربية[53].

إن الجزائر التي حققت استقلالها و استرجعت سيادتها بفضل ثورتها، لم تتخلص بعد من التأثير الثقافي و النفسي للاستعمار الفرنسي، مما يفرض علها خوض معركة الذاكرة انطلاقا من ملء الفراغ المفاهيمي المتعلق بتشكل كيانها السياسي و

[53] **سعيدوني (ناصر الدين)** : "صفحات من ماضي الجزائر المجيد : البحرية الجزائرية..."، المرجع نفسه، ص ص. 140-144.

طبيعة علاقاتها مع الدولة العثمانية، و تجاوز القصور الملاحظ في البحوث الأكاديمية و لمواجهة الهجمة الشرسة لهواة التاريخ و المهتمين بالمسائل الاجتماعية و الإثنوغرافيا و القضايا التاريخية الذين يحاولون معالجة المسألة على ضوء تصورات الحاضر دون الأخذ بالاعتبار الظروف التاريخية، و هم بذلك يُخضعون التاريخ إلى التفسيرات السياسية و الإيديولوجية لمسائل تتطلب البحث و التحليل الموضوعي. و هذا ما أدى إلى تشتت الأفكار و اختلاف وجهات النظر، بل و ساعد على تمرير أطروحات معادية للبنية الذهنية و الذاكرة التاريخية الجزائرية، تمس بالموروث الجزائري المشترك من حيث أسس الدولة الجزائرية أو البناء الحضاري للشعب الجزائري و مقومات وحدته، و قد انعكس ذلك على الوضع الراهن، إذ غدت الجزائر رغم ماضيها المجيد وثورتها التحريرية دون اكتمال سيادتها الروحية و استقلالها الثقافي، تعيش شرخا عميقا في الفكر و السلوك و النظرة للماضي لارتباط مشروعها التحرري بنيل الاستقلال و ليس بناء الإنسان. فظلت التأثيرات الاستعمارية فكرا و لغة ماثلة للجميع، و أصبح من يعتبرون أنفسهم نخب المجتمع يعيشون حالة اغتراب لغوي و فراغ مفاهيمي و استلاب فكري، و لم يدركوا أنهم مصابون بعقدة الأنديجينا التي أفقدتهم عامل المناعة الحضارية و جعلتهم يحاولون الكتابة عن الجزائر و ليس للجزائر بلغة المستعمر و بنظرته المعادية للبعد التاريخي الجزائري، فهم أقرب في أفكارهم من جلادي الأمس (المعمرين) من إخوانهم في الوطن بعد أن وضعوا أنفسهم في بروج إدارية مغلقة و مناف ثقافية أجنبية تمثل التيار المعاكس لسيرورة التاريخ.

إن معركة الذاكرة التاريخية و تبلور سيادة الدولة الجزائرية معركة فكرية بين التطلع إلى مستقبل متحرر من ترسبات الاستلاب الثقافي الفرنسي و بين تيارات فكرية متأثرة بالنظرة الاستعمارية للتاريخ الجزائري، مما سوف ينعكس سلبا على اكتمال الهوية الجزائرية و توجهات المجتمع الجزائري، و يكون الحكم في هذه المسألة سوف يكون لأجيال المستقبل بعد أن فشل جيل الاستقلال في استكمال تحرر الجزائر الفكري و اللغوي.

و لا أجد خير ما أختم به هذا العرض من قول محمد بن رقية الجديري التلمساني في مصنفه "الزهرة النائرة" : "و ليعرفوا قدر الجزائر. إن تراب نواحيها

معجون بدماء الكفار. اللهم أدمها دار جهاد و محل عزم و اجتهاد يوم التناد"[54]، و أخاله يرد بهذه الكلمة على منكري الأسس التاريخية للسيادة الجزائرية و وجود دولة جزائرية حديثة في إطار الرابطة العثمانية قبل تشكل كيانات العديد من الأقطار الأوربية الحديثة.

المراجع باللغة العربية :

-**أبو القاسم (سعد الله)** : *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج. 1، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

-**التميمي (عبد الجليل)** : "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 3، 1975، 100-106.

-**التميمي (عبد الجليل)** : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 6، 1976، 116-120.

-**الكعّاك (عثمان)** : *موجز التاريخ العام للجزائر*، ط. 2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2005 (الباب السادس: الجزائر التركية).

-**المدني (أحمد توفيق)** : *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا*، ط. 2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976.

-**بن رقية الجديري التلمساني (محمد)** : "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" (ألّفه في 1779)، *مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، الجزائر، العدد 3، 1967، 2-32.

-**بن عثمان خوجة (حمدان)** : *المرآة، لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر*، ترجمة محمد العربي الزبيري، الجزائر، 1975.

[54] **بن رقية الجديري التلمساني (محمد)** : "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" (ألّفه في 1779)، *مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، الجزائر، العدد 3، 1967، ص. 32. انظر أيضا: **سعيدوني (ناصر الدين)**: *من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين)*، ط. 2 مزيدة ومنقحة، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، ص. 460.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "رسالة من أعيان قسنطينة إلى السلطان سليمان القانوني في شأن صالح رايس (963 هـ-1555 م)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، 101-121.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "نحو مقاربة جديدة لتاريخ العرب الحديث، مناقشة مفاهيم و عرض تصورات"، *مجلة الخليج للتاريخ و الآثار*، الكويت، جمعية التاريخ و الآثار بدول مجلس التعاون الخليجي،العدد 2، 2006، 117-151.

-**خير الدين بربروس**: *مذكرات*، ترجمة محمد دراج، ط. 2، الجزائر، الأصالة للنشر والتوزيع، 2013.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "واقع و آفاق الدراسات العثمانية في الجزائر (عرض تعريفي و نظرة شاملة)"، *مجلة المواقف*، جامعة معسكر، عدد 7، ديسمبر 2012، 9-45.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "طبيعة الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 37-57.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "وثائق الأرشيف الجزائري المتعلق بالفترة العثمانية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 59-77.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "نظرة في المناهج الجامعية و المؤلفات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 79-89.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "المصادر المحلية لدراسة تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 91-113.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "موظفو الإيالة الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر: صلاحياتهم الإدارية و مهامهم الاقتصادية و الاجتماعية"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 167،2013-211.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "الإدارة العثمانية في الأرياف الجزائرية، نموذج مقاطعة دار السلطان"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 231-245.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "صفحات من ماضي الجزائر المجيد : البحرية الجزائرية، ظروف نشأتها و عوامل تطورها و أسباب ضعفها"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 137-165.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية (1827-1830)"، ضمن كتاب *ورقات جزائرية*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 341-354.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "السيادة الجزائرية في العهد العثماني"، ضمن كتاب *الجزائر منطلقات و آفاق*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013، 165-199.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: *تاريخ الجزائر في العهد العثماني*، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: *من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين و رحالة و جغرافيين)*، ط. 2 مزيدة ومنقحة، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2013.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "إشكالية نهاية الدولة الجزائرية في العهد العثماني (1830): بين الأزمة الداخلية و الظروف الدولية و الهزيمة العسكرية"، *الأيام الدراسية حول العلاقات الجزائرية-التركية منذ الفترة العثمانية حتى الآن*، الجزائر، 10-11 مارس 2017 (قُدم للنشر في أعمال الأيام الدراسية حول *العلاقات الجزائرية-التركية منذ الفترة العثمانية حتى الآن*، والتي لم تصدر بعد).

-**عبد القادر (نور الدين)**: *صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء الحكم التركي*، جامعة الجزائر، منشورات كلية الآداب، قسنطينة، مطبعة البعث، 1965.

-**هلايلي (حنيفي)**: "سياسة التهميش في الجزائر خلال العهد العثماني"، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، العدد 20، 2006، 189-204.

المراجع باللغة الأجنبية :

-AGERON (Ch.-R.) : *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Paris, P.U.F., 1980.
-BARTILLAT (A. J.) : *Relation de la campagne d'Afrique en 1830*, Paris, G.A. Dentu, 1831.
-BENACHENHOU (A.) : *L'État algérien en 1830*, Alger, S.N.E.D., s.d.
-BERNARD (A.) : *L'histoire des colonies françaises*, T. 2 : L'Algérie, Paris, Plon, 1920.
-BERTHEZENE (P. de) : *Dix-huit mois à Alger ou récit des événements qui s'y sont passés depuis le 14 juin 1830, jusqu'à la fin de décembre 1831*, Montpellier, imp. Ricard, 1834.
-BOYER (P.) : « Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger: 16-19ème siècles », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée,* n° 1, 1966, 11-49.
-BOYER (P.) : « Introduction à l'histoire intérieure de la Régence d'Alger », *Revue historique*, T. 235, 1966, 297-316.
-CARETTE (E.) : *L'Algérie,* Paris, F. Didot, 1862.
-CLAUSOLLES (P.) : *L'Algérie pittoresque, Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours*, Toulouse, Paya, 2 parties, 1843.
-COLOMBE (M.) : « Contribution à l'étude du recrutement de l'*Odjaq* d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence », *Revue africaine*, LXXXVII, 1943, 165-183.
-DAN (Père R. P. Fr. P.) : *Histoire de Barbarie et de ses corsaires des royaumes des villes d'Alger, de Tunis, de Salé et de Tripoli*, 2ème éd., Paris, P. Rocolet, 1637.
-DAUMAS (E.) : *Exposé de l'état actuel de la société arabe, du gouvernement et de la législation qui la régit*, Alger, imp. du Gouvernement, 1844.
-DELPHIN (G.) : « Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745, extrait d'une chronique indigène », traduite et annotée par G. Delphin, in *Journal asiatique*, série 19, avril-juin 1922, 161-233.
-DENY (J.) : « Les registres de solde des janissaires conservés à la B.N.A. », *Revue africaine*, LXI, 1920, 19-46 et 212-260.
-DENY (J.) : « À propos du fond arabo-turc des archives du Gouvernement général de l'Algérie, *Revue africaine,* LXII, 1921, 375-378.

-**DESFONTAINES (R.-L.)** : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger,* pub. par M. Dureau de la Malle, Paris, Gide, 1838, T. 2.
-**DEVOULX (A.)** : « Le registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit », extrait de *Revue africaine*, XV-XVI, 1871-1872, Alger, Jourdan, 1872.
-**DJENDER (M.)** : *Introduction à l'histoire de l'Algérie*, Oran, S.N.E.D, 1968.
-**DRESCH (J.)** : « Le fait national algérien », *Hérodote,* 11, 1978, 109-124.
-**EMERIT (M.)** : « La situation économique de la Régence d'Alger en 1830 », *Information historique,* 2, mars-avril 1952, 169-172.
-**EMERIT (M.)** : « L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830 », *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, juillet-septembre 1954, 199-212.
-**EMERIT (M.)** : « L'Algérie de 1830 comparée aux autres pays méditerranéens », *Information historique,* 5, novembre-décembre 1963, 194-196.
-**ESQUER (G.)** : *Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par le chef de bataillon Boutin (1808), suivie des Mémoires sur Alger par les consuls de Kercy (1791) et Dubois-Thainville (1809),* Paris, Honoré Champion, 1927.
-**ESQUER (G.)** : *Les commencements d'un empire, la prise d'Alger, 1830,* Paris, Larose, 1929.
-**ESTERHAZY (W.)** : *De la domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger,* Paris, C. Gosselin, 1840.
-**FARAH (M.)** : « Faut-il pardonner aux Ottomans leurs crimes parce qu'ils sont musulmans? », in *Le Soir d'Algérie*, 22 avril 2021.
-**GAFFAREL (P.)** : *L'Algérie : histoire, conquête et colonisation*, Paris, Firmin-Didot, 1883.
-**GAID (M.)** : *L'Algérie sous les Turcs*, Tunis, S.N.E.T., 1974.
-**GAUTIER (E.-F.)** : *Le passé de l'Afrique du Nord : les siècles obscurs*, Paris, Payot, 1952.
-**GALIBERT (L.)** : *L'Algérie ancienne et moderne*, Paris, éd. Furne et C^{ie}, 1844.
-**GENTY DE BUSSY (P.)** : *De l'établissement des Français dans la Régence d'Alger et des moyens d'en assurer la prospérité*, 2ème éd., Paris, Firmin Didot, 1839, T. 2.

-GODIN (F.) : « Le régime foncier de l'Algérie », in *L'Œuvre législative de la France en Algérie,* Collection du Centenaire de l'Algérie, Paris, Alcan, 1930.
-GOLVIN (L.) : « Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985-1, 201-226.
-GRAMMONT (H. D. de) : *Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515-1830*, Paris, E. Leroux, 1887 et éd. Bouchène, 2002.
-JULIEN (C.-A.) : *Histoire de l'Afrique du Nord,* Paris, Payot, T. II. 1964.
-JULIEN (C.-A.) : *Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871),* Paris, P.U.F., 1964.
-LAPÈNE (E.) : *Tableau historique de l'Algérie depuis l'occupation romaine jusqu'à la conquête par les Français en 1830,* Metz, imp. de S. Lamort, 1845.
-LAUGIER DE TASSY (J.-P.) : *Histoire du royaume d'Alger et du bombardement de cette ville en 1816, description de ce royaume et des révolutions qui y sont arrivées,* Paris, Piltan, 1832.
-LE MARCHAND (E.) : *L'Europe et la conquête d'Alger d'après des documents originaux tirés des archives de l'Etat*, Paris, Perrin et C^{ie}, 1913.
-MANTRAN (R.) : « Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie, Notes pour une étude plus approfondie », *Annuaire de l'Afrique du Nord,* 1962, C.N.R.S., 248-343.
-MANTRAN (R.) : « Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'empire ottoman », *Atti del I Congresso internazionale di studi nord-africani,* 1962, Cagliari, 22/25, 205-216.
-MANTRAN (R.) : « L'Empire ottoman : La vision européenne », *Studies on Turkish Arab Relations,* Annual 1986, TAIV, 189-192.
-MASSON (P.) : *Marseille et la colonisation française : Essai d'histoire coloniale*, 2ème éd., Paris, Hachette, 1912.
-MERCIER (E.) : *Comment l'Afrique septentrionale a été arabisée*, Constantine, Imp. L. Marle, 1874.
-MERCIER (E.) : *Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830),* T.3. Époque moderne (1515-1830), Paris, E. Leroux, 1891.
-PANANTI (J.) : *Relation d'un séjour à Alger contenant des*

observations sur l'état actuel de cette Régence, trad. de l'anglais par E. Blanquière, Paris, Le Normand, 1820.

-PELLISSIER DE REYNAUD (E.) : *Annales algériennes*, Alger, Anselin et Gautier, Laguione, 1836-1839, 3 vols.

-PERROT (A.-M.) : *Alger, esquisse topographique du royaume et de la ville*, Paris, Ladvocat, 1830.

-PARET (R.) : « Quand l'Algérie ne savait pas qu'elle était algérienne », *Preuves*, n◦ 188, octobre 1966, 68-79.

-PEYSSONNEL (J.-A.) : *Voyages dans les Régences de Tunis et d'Alger*, Paris, La Découverte, 1987.

-ROBE (E.) : *Origines, formation et état actuel de la propriété immobilière en Algérie*, Paris, Challamel, 1885.

-ROZET (C.-A.) : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description du pays occupé par l'armée française en Afrique*, Paris, Arthus Bertrand, 1833, 3 vols.

-SAIDOUNI (N.) : *L'Algérois rural à la fin de l'époque ottomane (1791-1830)*, Beyrouth, Dâr Al-Gharb Al-Islâmî, 2001.

-SERRES (J.) : *La politique turque en Afrique du Nord sous la Monarchie de Juillet*, Paris, Paul Geuthner, 1925.

-SHAW (T.) : *Voyage dans la Régence d'Alger ou description géographique, physique, philologique, etc. de cet état*, trad. de l'anglais avec des nombreuses augmentations par J. Mac Carthy, Paris, Marlin, 1830.

-TERNON (Y.) : *L'Empire ottoman : Le déclin, la chute, l'effacement*, Paris, Le Félin, 2002.

-THOREZ (M.) : « Le peuple algérien uni autour de la France : Le Discours d'Alger le 11 février 1939 », *La Brochure Populaire*, 3ème année, n◦ 7, avril 1939, 3-14.

-VATIN (J.-C.) : « L'Algérie en 1830. Essai d'interprétation des recherches historiques », *Revue algérienne des Sciences juridiques et économiques*, vol. 7, n◦ 4, décembre 1970, 977-1058.

-VENTURE DE PARADIS (J.-M.) : *Tunis et Alger au 18e siècle*, Paris, Sindbad, 1983.

-WATBLED (E.) : « Établissement de la domination turque en Algérie », *Revue africaine*, XVII, 1873, 287-299, 352-363.

-WATBLED (E.) : « Pachas et pachas-deys », *Revue africaine*, XVII, 1873, 438-443.

-**YACONO (X.)** : « La Régence d'Alger en 1830, d'après l'enquête des commissions de 1833-1834 », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 1, 1966, 229-244.

Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies
Vol. 2 Issue 1 June 2022 pp. 82-112
Issn: 2800-1184
Received: 11/05/2022 Accepted: 18/05/2022 Published: 30/06/2022

Trapped in the "Nest of Corsairs". A Brief Historiographical Overview of Sixteenth Century Ottoman Algiers

Caprioli Francesco♦
Università degli Studi di Milano "La Statale"
e-mail : francesco.caprioli@unimi.it

ملخص :

محاصرون في «عش القراصنة». لمحة تأريخية موجزة عن الجزائر العثمانية في القرن السادس عشر

منذ القرن الثامن عشر، تم كتابة عدد كبير من الكتب والمقالات النقدية عن القراصنة الجزائريين والدور الذي لعبته مدينة الجزائر في أوائل العصر الحديث للمتوسط، ولكن كقاعدة عامة، ظلت فرضيات البداية للمؤرخين راسخة في تعريفات صارمة وخاطئة جزئيًا مثل "عش القراصنة" أو "جمهورية القراصنة" أو "الدولة البربرية". من خلال إعادة تقييم تأريخ الجزائر في القرن السادس عشر، يناقش هذا المقال الحاجة إلى تجاوز مثل أنماط التفكير هاته لتجنب الوقوع في فخ المركزية الأوروبية. بعيدًا عن السعي لتقديم مراجعة شاملة لجميع المنشورات عن الجزائر العثمانية، فقد اخترت في القسم الأول من هذا المقال عددًا من الأعمال التي توضح كيف انتشرت الصورة النمطية لـ «عش القراصنة» في التأريخ الأوروبي عقود قليلة مضت فقط، عندما قام عدد من المؤرخين، من خلال الجمع بين المصادر المسيحية والإسلامية والنظر في وجهات النظر البحثية الجديدة، بتقديم صورة أكثر موضوعية لمدينة الجزائر، ليس فقط باعتبارها مركز لنشاط القرصنة في المتوسط، ولكن أيضًا كعاصمة لإقليم جزائر الغرب.

ومتابعة لأحدث المنشورات التي أصدرها العثمانيون والمستعربون، سأبحث في الفرع الثاني الدور المعقد الذي اضطلعت به القرصنة الجزائرية وممثليها خلال القرن السادس عشر.

♦**Corresponding Author**

الكلمات المفتاحية :
الجزائر العثمانية؛ قراصنة؛ تاريخ التأريخ؛ دراسات متوسطية؛ المركزية الأوروبية؛ دراسات ما بعد الاستعمار.

Abstract:

Since the eighteenth century, a vast number of articles, books and critical essays have been written about the Algerian corsairs and the role played by the city of Algiers in the early modern Mediterranean, but as a rule the historians' starting hypotheses have remained firmly lodged in rigid and partly erroneous definitions such as «nest of corsairs», «pirate republic» or «Barbary state». By reassessing the historiography of sixteenth-century Algiers, this article argues for the need to go beyond such categories to avoid the trap of Eurocentrism. Far from aiming to present an exhaustive review of all the publications on Ottoman Algiers, in the first section of this article I have selected a number of works that illustrate how the stereotype of the «nest of corsairs» pervaded European historiography until only a few decades ago, when, by combining Christian and Islamic sources and considering new research perspectives, a number of historians have presented a more rational image of the city of Algiers, not only as the epicentre of the Mediterranean corso, but also as the capital of the province of Cezayir-i Garb.

Following on from the most recent publications by Ottomanists and Arabists, in the second section I shall examine the complex role played by the Algerine corso and its protagonists during the sixteenth century.

Keywords:
Ottoman Algiers; Corsairs; History of Historiography; Mediterranean Studies; Eurocentrism; Postcolonial Studies.

Introduction

On 22 May 1813, a young Gioacchino Rossini first staged *L'Italiana in Algeri* in the San Benedetto Theatre in Venice. Described by Stendhal as «the perfection of the *buffo* genre», the

opera was inspired by real events: a Milanese woman, Antonietta Frappoli, had been captured by Muslim corsairs in the waters off Sardinia and taken to the harem of Mustafa ibn Ibrahim, then leader of Algiers. After a series of vicissitudes, the woman was finally freed and helped to escape from North Africa back to Italy.

The opera's *dramatis personae* includes Christian captives, Italian renegades and a multitude of corsairs crowding the narrow streets of the city of Algiers. Following the text written by Angelo Anelli and set to music by Rossini, it is quite easy to spot the cultural stereotypes about the Maghreb which, by that time, were more than firmly set in the European worldview. Among them, the cliché of Algiers as a "nest of corsairs" clearly stood out[1].

While audiences in many European and American theatres were still enjoying *L'italiana in Algeri*, a diplomatic treaty was signed within the framework of the Congress of Paris (1856), which, among other things, declared the abolition of letters of marques and signalled the end of piracy[2]. However, this did not occur in real life, and certainly not in Mediterranean historiography, as works dedicated to portraying the tale of the Barbary corsairs multiplied since the first stage of Franco-English colonisation of North Africa came to an end[3].

---

[1]The «nest of corsairs» cliché is already expressed at the beginning of scene IV of *L'italiana in Algeri*, when a ship loaded with newly captured Christian slaves arrives to the Algerian port. A crowd of vehemently shouting corsairs awaits it there: «Quanta roba! Quanti schiavi! | Buon bottino! Viva, bravi.| Ci son belle! |Non c'è male. | Starà allegro Mustafà»: *L'italiana in Algeri. Dramma giocoso per musica da rappresentarsi nel teatro d'Alessandria la primavera del 1822*, Alessandria, dalla stamperia di Luigi Capriolo, 1822, 11-12. On the stereotyped image of the Muslim world in early modern and modern Europe, see: **SOYKUT (Mustafa)**: *Image of the "Turk" in Italy: a History of the "Other" in Early Modern Europe*, Berlin, Klaus Schwarz, 2001; **FORMICA** (**Marina)**: *Lo specchio turco: immagini dell'Altro e riflessi del Sé nella cultura italiana dell'età moderna*, Roma, Donzelli, 2012; **BLAKS (David R.)** and **FRASSETTO (Michael)** (eds.): *Western Views of Islam in Medieval and Early Modern Europe. Perception of Other*, New York, Palgrave Macmillan, 2016.

[2]**RONZITTI (Natalino)** (ed.): *The Law of Naval Warfare: a Collection of Agreements and Documents with Commentaries*, Drodrecht, Martinus Nijhoff, 1988, p. 61-75.

[3]**PANZAC (Daniel)**: *Barbary Corsairs: the End of a Legend, 1800-1820*, Leiden, Brill, 2005. About historiographic production in the 19th century see **LAMBERT**

Since then, a vast number of articles, books and critical essays have been written about the Algerian corsairs and the role played by the city of Algiers in the sixteenth-century Mediterranean, but as a rule the historians' starting hypotheses have remained firmly lodged in rigid and partly erroneous definitions such as «nest of corsairs», «pirate republic» or «Barbary state». These labels, which have become interpretative paradigms on which the black legend of Algiers in the early Ottoman period rests, rely on a partial and limited use of the sources; this can be blamed either on the difficulties posed by local sources written in Ottoman-Turkish or in Arabic, and on the heuristic processes that led to and guided research[4].

By reassessing the historiography of sixteenth-century Algiers, this article argues for the need to go beyond the categories mentioned above in order to avoid the trap of Eurocentrism. Far from aiming to present an exhaustive review of all the publications on Ottoman Algiers, in the first section of this article I have selected a number of works that illustrate how the stereotype of the «nest of corsairs» pervaded European historiography until only a few decades ago, when, by combining Christian and Islamic sources and considering new research perspectives, a number of historians have presented a more rational image of the city of Algiers, not only as the epicentre of the Mediterranean corso, but also as the capital of the province of Cezayir-i Garb[5]. Following on from the most recent publications by Ottomanists and Arabists, in the second section I shall examine the complex role played by the Algerine corso and its protagonists during the sixteenth century.

PLAYFAIR (Robert): *Supplement to the Bibliography of Algeria from the Earliest Times to 1895*, London, John Murray, 1898.

[4]**MEROUCHE (Lemnouar)**: *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. II- La course: mythes et réalité*, Saint-Denis, Bouchène, 2007, Introduction.

[5]Cf. **MASTERS (Bruce)**: «Algiers», in *The Encyclopedia of the Ottoman Empire*, eds. **MASTERS (Bruce)** and **ÁGOSTON (Gábor)**, New York, Facts on File, 2009, p. 33-34; **KAHRAMAN (Kemal)**: «Cezayir: Osmanlı Dönemi», in *TDV İslâm Ansiklopedisi*, on-line: https://islamansiklopedisi.org.tr/cezayir#3-osmanli-donemi (Consulted online on 01 April 2022); **HOEXTER (Miriam)** and **SHUVAL (Tal)**: «Algiers», in *Encyclopaedia of Islam, THREE*, on-line: http://dx.doi.org.pros1.lib.unimi.it/10.1163/1573-3912_ei3_COM_0017 (Consulted online on 01 April 2022).

1.

During the early decades of the contemporary era, Mediterranean history was revised through the filter of a «supposed historicism» that sought to examine problems and phenomena looking for their origins in the not-too-distant past[6].

In this way, between the nineteenth and early twentieth centuries, political and military history was given priority, which resulted in aseptic descriptions of the great battles and their protagonists. These research perspectives favoured the colonialist discourse elaborated by the European powers which had occupied most of the southern shore of the Mediterranean, giving the colonisers the possibility of rewriting the history of their new colonies[7].

Within this historiographical framework, the main publications on Algeria were marked by a clearly Eurocentric vision, which is reflected in the choice to investigate only certain periods, phenomena, and sources. While the period corresponding to the European Middle Ages was hardly taken into account, several studies delved into the Early Modern age, with two clearly ideological aims in mind: first, the Ottoman conquest of Algeria was presented as a violent process that deprived Maghrebians of their freedom; and second, the role of Christian converts to Islam (the so-called renegades) was presented as that of promoters of technical-military development in the backward Muslim societies of North Africa[8]. In both approaches, the starting point was invariably the arrival of the Barbarossa brothers to the Maghreb, their seizure of power in Algiers after the elimination of the local sheikh, and the

[6]**BUNES IBARRA (Miguel Ángel, de)**: «La investigación histórica sobre el Mediterráneo en la Edad Moderna: ¿Un estado de la cuestión?», *RiMe: Rivista dell'Istituto di Storia dell'Europa Mediterranea*, 18, 2017, p. 195-206.

[7]**BURKE III (Edmund)**: «Theorizing the Histories of Colonialism and Nationalism in the Arab Maghrib», in *Beyond Colonialism and Nationalism in the Maghrib: History, Culture, and Politics*, ed. **ABDULLATIF AHMIDA (Ali)**, New York, Palgrave Macmillan, 2000, p. 17-34.

[8]**BROSSELARD** (**Charles)**: *De l'origine et de la domination turques en Algérie*, Paris, 1839; **DEVOULX (Albert)**: *Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, Alger, 1852; **DEVOULX (Albert)**: «La marine de la Régence d'Alger», *Revue Africaine*, 13, 1869, p. 384-420; **WATBLED** (**Ernest)**: «Etablissement de la domination turque en Algérie», *Revue Africaine*, 17, 1873, p. 287-299 and 352-363.

foundation of a corsair state placed under the authority of the sultans of Istanbul. In this view, the Ottoman Empire became the only true colonising power in North African history. Furthermore, the exclusion of members of the Algerian society from any political or administrative office, their depiction as a group under the colonial thumb of the Ottomans, consolidated the idea that Algiers was hopelessly under the rule of a corsair government at the service of the Barbarossas[9]. Rejecting the veracity of local sources and relying almost exclusively on documents preserved in French and Spanish archives, the vast majority of studies on early modern Algeria were thus dominated by anecdotal accounts of various events linked to the Mediterranean corso, including raids against Christian coastlines; the attempts of the Spanish Monarchy to keep the Ottoman presence away from North Africa; and, finally, the succession of local conflicts, revolts and mutinies caused by the rivalry between janissaries and corsairs[10].

The interest in the sixteenth-century Mediterranean Muslim corso was not based on a critical analysis of the sources or a wish to understand the complexity of this phenomenon. Conversely, colonialist historiography used the corso to reinforce rhetorical discourses about the cruelties perpetrated by the Turks during Ottoman rule over Algeria. In Stanley Lane-Poole's monograph, the author noted in his conclusions that the Turkish-Berber corso had sullied North Africa's past, heralding the day when: «the hold haunts of the Barbary Corsairs, within the pale of civilization, it may someday be possible to bury the unhappy past, and describe upon the tombstone the optimistic motto: finis coronat opus»[11].

---

[9]**RANG** (**Sander)** and **DENIS (Ferdinand)**: *Fondation de la Régence d'Alger, histoire des Barberousse*, Paris, J. Angé éditeur, 1837.

[10]**BERBRUGGER** (**Louis Adrien)**: *Le Pégnon d'Alger, ou les origines du gouvernement turc en Algérie*, Alger, 1860; **DEVOULX (Albert)**: «La première révolte des janissaires d'Alger», *Revue Africaine*, 15, 1871, p. 1-6; **DEVOULX (Albert)**: «Assassinat du Pacha Mohammed Tekelerli», *Revue Africaine*, 15, 1871, p. 81-89; **WATBLED** (**Ernest)**: «Documents inédits sur l'assassinat du Pacha Tekelerli (1556-1557)», *Revue Africaine*, 15, 1871, p. 335-340; **WATBLED** (**Ernest)**: «Négociations entre Charles Quint et Kheir-Eddin (1538-1540)», *Revue Africaine*, 15, 1871, p. 138-148; **GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Relation de l'expédition de Charles Quint contre Alger, suivie de la traduction du texte latin par Pierre Tolet*, Paris, Aubry, 1875.

[11]**LANE-POOLE (Stanley)**: *The Barbary Corsairs*, London, 1890.

This view was soon compounded with the idea that the corso was an exclusively Muslim phenomenon, as is best illustrated Vice Admiral Jurien de La Gravière's 1887 works. An initial publication on the attacks launched by *Les corsaires barbareques*, was counterbalanced with an account of the defence of the Christian Mediterranean by *Les Chevaliers de Malte*[12]. The Algerine corso had thus become one of the main factors with which to validate a binary perspective of Mediterranean history, divided between civilised Christians and Muslim barbarians, whose only point of contact was a military conflict disguised under the veil of the religious categories of crusade and jihād.

In the preface to his *Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle*, Charles de Rotalier claimed that, at the beginning of the Early Modern age, the Maghreb had fallen into the darkness of barbarism owing to the arrival of the Barbarossa brothers in Algiers and the subsequent Ottoman domination, while in Europe a new stage marked by civilisation was beginning. His narrative, therefore, was not intended to tell the «histoire d'une nation», but that of a «ville célèbre de corsaires», in which there were «douze mille corsaires» defined as «amas honteux de brigands»[13].

These premises remained firmly in place for a long time. While many French historians devoted themselves to an embryonic analysis of the commercial and diplomatic relations between European powers and North African polities[14], Henri Delmas de

[12]**JURIEN DE LA GRAVIERE (Jean-Pierre Edmond)**: *Les Corsaires barbaresques et la marine de Soliman le Grand*, Paris, Plon, 1887; **JURIEN DE LA GRAVIERE (Jean-Pierre Edmond)**: *Les Chevaliers de Malte et la marine de Philippe II*, Paris, Plon, 1887.

[13]**ROTALIER (Charles de)**: *Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle*, Paris, chez Paulin libraire-éditeur, 1841.

[14]**CHARRIERE (Ernest)**: *Négociations de la France dans le Levant, ou Correspondances, mémoires et actes diplomatiques des ambassadeurs de France à Constantinople et des ambassadeurs, envoyés ou résidents à divers titres à Venise, Raguse, Rome, Malte et Jérusalem, en Turquie, Perse, Géorgie, Crimée, Syrie, Egypte, etc., et dans les États de Tunis, d'Alger et de Maroc*, Paris, Imprimerie Nationale, 1848-1860, 4 vols.; **PLANTET (Eugène)**: *Correspondance des deys d'Alger avec la Cour de France, 1579-1833*, Paris, Félix Alcan, 1889, 2 vols.; **BOUTIN (Abel)**: *Les traités de paix et de commerce de la France avec la Barbarie, 1515-1830*, Paris, Pedone, 1902; **MASSON**

Grammont's analysis of the Ottoman model of territorial conquest and management again prioritised the role of privateers in the Algerian government[15]. A close reading of his *Histoire d'Alger sous la domination turque*, in fact, clearly exposes that the French historian reread the history of Ottoman Algeria as that of a "corsair state" subject to the Sublime Porte, in which the ta'ifa (the corsairs' corporation) represented a third pole of power - «un troisième pouvoir dans l'Etat» - capable of influencing the policies of the governors chosen by Istanbul[16].

While the main Maghrebi historiographical trends limited themselves at the time to treat history from a patriotic point of view, in which the corso was a mere expression of the holy war against Christian foreign powers[17], in twentieth-century Europe, the continued Anglo-French colonialist vision of Mediterranean studies crystallised in the aforementioned view on Ottoman Algiers[18].

Research on Mediterranean political and naval history did nothing but reaffirm the legend of Algiers as a «great pirate nest», a

---

(Paul): *Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1560-1793)*, Paris, Hachette, 1903.

[15]**GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVII^e siècle. 1^ère partie: Les deux canons de Simon Dansa (1606-1628)*, Alger, A. Jourdan, 1879; **GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Etudes algériennes. La course, l'esclavage et la rédemption à Alger*, Paris, Daupeley-Gouverneur, 1885.

[16]**GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Paris, Ernest Leroux, 1887, p. III-X.

[17]**EPALZA (Mikel de)**: «Tres historiadores y políticos de Argelia presentan la política de Carlos V con la naciente Argelia moderna: Az-Zahhar (m. 1872), Zavala (1886) y Al-Madani (m. 1983)», in *Carlos V. Los moriscos y el islam [Congreso Internacional, Alicante 20-25 de noviembre de 2000]*, ed. **RUBIERA MATA (María Jesús)**, Alicante-Madrid, Sociedad Estatal para la Conmemoración de los Centenarios de Felipe II y Carlos V, 2001, p. 233-267. In particular, see the view of the Algerian historian El Madani: **EL MADANI (Ahmed Tawfik)**: *La guerre de trois cents ans entre l'Algérie et l'Espagne (1492-1792)*, Alger, Société Nationale d'Édition et de Diffusion, 1976.

[18]**GRANGAUD** (**Isabelle)** and **OUALDI (M'hamed)**: «Tout est-il colonial dans le Maghreb? Ce que les travaux des historiens modernistes peuvent apporter», *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, 2, 2016, p. 133-156; **MARTÍN CORRALES (Eloy)**: «Descolonizar y desnacionalizar la historiografía que se ocupa de las relaciones de Europa con los países del Magreb y Oriente Próximo en la Edad Moderna (siglos XVI-XVIII)», *RiMe: Rivista dell'Istituto di Storia dell'Europa Mediterranea*, 18, 2017, p. 167-193.

perspective emerged from a partial analysis of chronicles and sources held in European archives[19]. Moreover, this problem was made worse by the absolute reverence in which Grammont's study was held by the next generation of historians, who regarded it as the definitive work on the subject. However, the French historian's vision was based, as far as the sixteenth century was concerned, on a series of texts which, for different reasons, lay undue stress on the Algerine corso. Among them, as Grammont himself stated in the introduction to his work, were:

> «Pour la première période (1510-1587), il a fallu consulter, chez les Espagnols, Gomara, Sandoval, Mariana, La Fuente, et surtout Marmol et Haëdo; chez les Italiens, Léon l'Africain et Paul Jove; en France, de Thou et les Négociations diplomatiques dans le Levant. […] Mais à aucun moment, on ne peut faire fonds sur les chroniques indigènes. Elles sont d'une extrême rareté, et l'on n'a guère à le regretter, quand on voit combien celles qui ont été conservées sont diffuses et remplies d'erreurs, d'exagérations, et de mensonges souvent voulus. La seule d'entre elles qu'on puisse consulter avec un peu de fruit sur la fondation de la régence est le Razaouat Aroudj we Kheïred-Din, et encore, il est prudent de ne pas trop se fier aux allégations qui y sont contenues[20].»

As for Christian sources, Spanish records are clearly predominant, beginning with Diego de Haedo's *Topographia e historia general de Argel*, written with the express aim to condemn the torments that Algerian corsairs inflicted on the poor Christians who were taken captive at sea and then chained in the local *baños*[21]. Although rich

[19]**GUGLIELMOTTI (Alberto)**: *La guerra dei Pirati e la marina pontificia dal 1500 al 1560*, Firenze, Le Monnier, 1876, 2 vols.; **MANFRONI (Camillo)**: *Storia della marina italiana dalla caduta di Costantinopoli alla battaglia di Lepanto*, Roma, Forzani, 1897; **FERNÁNDEZ DURO (Cesareo)**: *Armada española desde la unión de los Reinos de Castilla y de Aragón*, Madrid, Est. Tipográfico Sucesores de Rivadeneyra, 1895-1903, 9 vols, here vol. II; **CHABOD (Federico)**: *Storia politica del Mediterraneo*, Brescia, Morcelliana, 2014, p. 120-131.

[20]**GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Histoire d'Alger*, p. XIV-XV.

[21]**HAEDO (Diego, de)**: *Topographia e historia general de Argel, repartida en*

in useful data with which to reconstruct the history of Algeria in the early Ottoman period, the chronicles cited and used by Grammont were a mix of what was already known about Islam in the sixteenth century, owing to religious coexistence in the Iberian Peninsula during the Reconquista, and the accounts of former captives and soldiers who had come into contact with Maghrebi society as a result of the military expansion of the Spanish Monarchy in North Africa. As pointed out by Bunes Ibarra, these texts consolidated a stereotypical and negative image of Islam in the early modern Iberian mindset, in which the Muslim was the antithesis of the good Catholic[22].

The tendentiousness of Christian sources did not concern Grammont as much as that of Arab and Ottoman-Turkish ones did. The French historian, like many of his contemporaries, believed that the «indigènes» chronicles were full of errors and lies. The only source he took into account, yet cautiously and without relying too much on it, was Seyyid Muradi's *Gazavât-ı Hayreddin Pasha*[23]. Although the work gave an almost year-by-year account of the history of the Barbarossa brothers and their deeds in the Maghreb, Grammont did not know that Seyyid Muradi had written it on the orders of Suleiman I to celebrate Hayreddin Barbarossa as a gazi (warrior of the Islamic faith)[24].

Thus, while Haedo's work emphasised not only the predominance of corsairs and renegades in the government of Algiers, but also their greedy behaviour towards Christian captives, the *Gazavat* merely praised Muslim corsairs in the service of the sultans of Istanbul. Based on these views, the French historian produced the idea of the nest of corsairs by simply putting his

---

cinco tratados, do se verán casos estraños, muertes espantosas, y tormentos exquisitos, que conviene se entiendan en la christiandad: con mucha doctrina, y elegancia curiosa, Valladolid, por Diego Fernández de Córdoba y Oviedo, 1612.

[22]**BUNES IBARRA (Miguel Ángel, de)**: *La imagen de los musulmanes y del norte de África en la España de los siglos XVI y XVII: los caracteres de una hostilidad*, Madrid, CSIC, 1989.

[23]**GALLOTTA (Aldo)**: «Gazavât-ı Hayreddin Paşa», in *TDV İslâm Ansiklopedisi*, on-line: https://islamansiklopedisi.org.tr/gazavat-i-hayreddin-pasa (Consulted online on 01 April 2022).

[24]**ÖZCAN (Abdülkadir)**: «Muradi, Seyyid», in *Encyclopaedia of Islam, THREE*, on-line: http://dx.doi.org.pros1.lib.unimi.it/10.1163/1573-3912_ei3_COM_40239 (Consulted online on 01 April 2022).

research agenda before the exegetical criticism of his sources.

As a result, Algiers became the queen of corsair cities for European historiography on the history of piracy and privateering in the early modern Mediterranean; a «Barbary state» at the service of the Osmanli from which attacks and raids were launched against the main Christian polities[25].

The lack of local and Ottoman-Turkish sources in these studies continued, however, to cause serious misunderstandings concerning the Algerian polity, its administration, its economy, and even its society and culture. Although Fernand Braudel already realised that not all the inhabitants of Algiers had to be involved with the corso[26], his view of North Africa was always marked by the use of sixteenth-century Spanish records[27]. Braudel presented a cosmopolitan Algiers at the centre of a Mediterranean without frontiers, but whose stages of historical evolution were determined by the European origin of its corsairs and governors. According to this view, which emphasised the preponderance of Christian converts to Islam at the helm of the Maghrebi city, there was the Greek-Levantine Algiers of the Barbarossa family, followed by the Italian Algiers of the Calabrian renegade Uluç Ali and, finally, the Anglo-Dutch Algiers of Siemen Danziger[28]. Braudel's Algiers, in short, was a city of «renegades, privateers, painful and heroic

[25]**GOSSE** (**Philip)**: *The History of Piracy*, London, Longmans, Green & Co., 1932; **HUBAC (Pierre)**: *Les Barbaresques*, Paris, Berger-Levrault, 1949; **FISHER (Godfrey)**: *Barbary Legend. War, Trade and Piracy in North Africa (1415-1830)*, Oxford, Clarendon Press, 1957; **IBAÑEZ DE IBERO** (**Carlos)**: *Carlos V y su política mediterránea*, Madrid, CSIC, 1962; **BONO (Salvatore)**: *I corsari barbareschi*, Torino, RAI, 1964; **SPENCER** (**William)**: *Algiers in the Age of the Corsairs*, Norman, University of Oklahoma Press, 1976; **WOLF (John B.)**: *The Barbary Coast: Algiers under the Turks, 1500 to 1830*, New York, Norton, 1979.

[26]**BRAUDEL** (**Fernand)**: «Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577», *Revue Africaine*, 59, 1928, p. 184-233 and 351-410, here p. 356: «cet Alger des corsaires se confond avec l'Alger des renégats».

[27]**HEYWOOD (Colin)**: «Fernand Braudel and the Ottomans: the emergence of an involvement (1928-50)», *Mediterranean Historical Review*, 23/2, 2008, p. 165-184, here p. 167-168: «Braudel's North Africa […] is a country seen through sixteenth-century Spanish eyes».

[28]**BRAUDEL** (**Fernand)**: *El Mediterráneo y el mundo mediterráneo en la época de Felipe II*, Madrid, FCE, 2015, 2 Vols. [ed. original: *La Méditerranée et le Monde Méditerranéen: à l'époque de Philippe II*, Paris, Armand Colin, 1949].

captives [...] a whole world that lives and works in Africa»[29].

Hence, as pointed out by Pierre Boyer in 1966, the history of Ottoman Algiers was being presented in pretty much the same terms since Grammont's work[30]. This is why Boyer, an experienced archivist in Algeria and later the first director of the Archives Nationales d'Outre Mer in Aix-en-Provence, joined several professors and intellectuals who shared the ambition to develop a new research avenue for the Maghreb[31]. Focusing on the «histoire intérieure de la Régence» of Algiers, he departed sharply from the prevailing historiographical traditions. In some ways, his contribution can be critically pitched against some of Braudel's points. First, concerning the idea of the renegades as a human group capable of transferring a range of cultural and technical knowledge to the Maghreb, Boyer showed that the contribution of Muslim neophytes to the development of the Algerian fleet had been fairly limited throughout the sixteenth century, and perhaps even less than that by the Morisco emigrants from the Iberian Peninsula[32]. Second, he reversed the classical perspective of analysis of Algerian history: instead of focusing solely on the military exploits of the city's leaders, Boyer reinterpreted political events from a religious point of view, highlighting the importance of the marabouts. In his re-examination, the marabouts were not the ringleaders of the revolts against Ottoman power in the Maghreb as they were portrayed in Braudel's narrative, but they were presented as a local power group that had supported the policy of the Barbarossa brothers from the beginning[33]. Finally, again in response - or so it appears

[29]**BRAUDEL** (**Fernand)**: «Les Espagnols», p. 410.

[30]**BOYER (Pierre)**: «Introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger», *Revue historique*, 478, 1966, p. 297-316.

[31]**DELMAS-BARTOLI** (**Marie-Claude)**: «Pierre Boyer (1918-2008)», *Bibliothèque de l'Ecole des chartes*, 171/2, 2013, p. 613-617.

[32]Cf. **BRAUDEL** (**Fernand)**: *El Mediterráneo*, II, 273; **BOYER (Pierre)**: «Les renégats et la marine de la Régence d'Alger», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985, p. 93-106. On this topic, see also: **EPALZA (Mikel de)**: «Papel político de los moriscos en el nacimiento de la Argelia moderna en tiempos de Carlos V», in *Carlos V. Los moriscos y el islam*, p. 201-232.

[33]Cf. **BRAUDEL** (**Fernand)**: *El Mediterráneo*, II, p. 661-662; **BOYER (Pierre)**: «Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger, XVI^{e}-XIX^{e} siècle», *Revue de l'Occident musulman et de la*

retrospectively - to Braudel's idea of the three European epochs of Algiers, Boyer gave a first coherent political chronology of Algerian history: the period of Sultan-appointed Pasha (1571-1659) was followed by a government controlled by the local janissaries (1659-1671), and this, in turn, by that of the Dey of Algiers (1671-1830)[34].

In this way, under the influence of historians such as Pierre Boyer, who analysed the available sources critically and no longer interested in pursuing a colonialist or nationalist vision, things began to change from the 1970s onwards. While in Algeria, after the war of independence, a series of cultural institutions were set up to reorganise and catalogue the documents kept in local archives[35], the need to trigger a common process to decolonise history gained momentum at a global level. The Postcolonial Studies paradigm proved therefore key in filling in the gaps left by previous perspectives and revising most of their errors[36].

Within this framework, the important work of the Tunisian historian Abdeljelil Temimi is worth mentioning. Temimi heralded a turning point in the historiography of Ottoman North Africa precisely because of his aim, as recognised by Boyer, to «décoloniser l'Histoire du Maghreb»[37]. As one of the first North African researchers to visit the archives in Istanbul and to travel around Europe, Temimi explored the history of the Maghreb through the Ottoman-Turkish sources he had found during his

Méditerranée, 1, 1966, p. 11-50. On this topic, see also: **TOUATI (Houari)**: *Entre dieu et les hommes: lettrés, saints et sorciers au Maghreb (17e siècle)*, Paris, École des Hautes Études en Sciences Sociales, 1994.

[34]**BOYER (Pierre)**: «Des Pachas Triennaux à la révolution de Ali Khodja Dey», *Revue historique*, 495, 1970, p. 99-124.

[35]**TERKI HASSAINE (Ismet)**: «Historiographie et nécessité de la recherche historique sur l'Algérie du XVIe au XVIIIe siècle», in *Actes du séminaire international sur les sources espagnoles de l'histoire algérienne. Oran: 20-22 avril 1981*, Alger, Archives nationales, 1984, p. 45-52.

[36]**FISCHER-TINÉ (Harald)**: «Postcolonial Studies», in *European History Online*, on-line: http://www.ieg-ego.eu/fischertineh-2010-en (Consulted online on 01 April 2022).

[37]**BOYER (Pierre)**: «Temimi (Abdeljelil) : Recherches et documents d'histoire maghrébine», *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 12, 1972, p. 160-161.

travels abroad[38]. As noted by Temimi, since «l'histoire se fait avec les documents»[39], historians began to give more and more priority to the study of local archives, cataloguing their collections and reviving the history of North Africa before the French colonial period[40].

2.

According to Tayeb Chentouf, the decolonisation of Algerian history was to be brought about by a triple rupture: «rupture dans les objets de l'histoire, rupture dans les méthodes et techniques, rupture dans les sources sans lesquelles il n'est pas d'histoire» [41]. In this way, a new wave of research on sixteenth-century Ottoman Algiers largely dissolved the «nest of corsairs» and «barbary state» clichés by merging political studies with socio-economic analysis and interweaving Christian sources with Arab and Ottoman-Turkish records. In 1978, Charles Andrew Hess, analysed the orders given by the sultans of Istanbul to the beylerbeyi (governor general) and thus relativised the effective power of corsairs in the local administration. In fact, the city of Algiers was presented as the capital of the first Ottoman province in the Maghreb (Cezayir-i Garb), whose government followed the directives coming from the Sublime Porte. Within this administrative system, the corsair members of the ta'ifa played a marginal role in decision-making, acting as maritime police on behalf of the sultan-appointed governor and cooperating with the Ottoman fleet during naval

[38]On the importance of these early research missions in Istanbul in Temimi's historiographical production, see: **TEMIMI Abdeljelil**: «Trois lettres de Hadj Ahmed Bey de Constantine à la Sublime Porte», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 3, 1967, p. 133-152, here p. 133.

[39]**BOYER (Pierre)**: «A. Temimi, Sommaire des registres arabes et turcs d'Alger», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 30, 1980, p. 149-151.

[40]See, for instance: **GAÏD (Mouloud)**: *L'Algérie sous les Turcs*, Alger, Société Nationale d'Ed. et de Diffusion, 1974.

[41]**CHENTOUF (Tayeb)**: «Décolonisation et problème des sources. Les sources locales, étrangères et espagnoles de l'histoire de l'Algérie du XVI[e] au XIX[e] siècle», in *Actes du séminaire international sur les sources espagnoles de l'histoire algérienne*, published in *Archives Nationales* (Algiers), n° spécial, 10-11, 1984, p. 9-32., here p. 10.

campaigns in the Mediterranean[42].

Despite the obvious difficulties involved in reading, understanding and interpreting the Ottoman-Turkish sources, the publications of several Ottomanists in the closing decades of the twentieth century highlighted the importance of this documentation in reconsidering some of the pending historical problems concerning the Ottoman Empire, as well as in resolving some of its aporias[43]. In order to present a series of examples that illustrate the change in perspective brought about by the use of Muslim sources, I have decided to focus on three closely-knit topics: the corso, the society, and the economy of sixteenth century Ottoman Algiers.

On the subject of the corso, in contrast to Salvatore Bono's studies, in which the idea of the «Barbary state» as a political entity that was almost autonomous from the Ottoman Empire and ruled by corsairs continues to dominate[44], Moulay Belhamissi's three-volume work describes a group of Algerian sailors who simply acted in defence of the city of Algiers against European powers, while Lemnouar Merouche's critically moves away from both the black legend of the «nest of corsairs» and the myth of the «invincible Algerian navy» to understand the role that privateering played in the local economy and politics[45].

---

[42]**HESS (Andrew C.)**: *The Forgotten Frontier: a History of the Sixteenth-Century Ibero-African Frontier*, Chicago, The University of Chicago Press, 1978, p. 169-170.

[43]On the importance of Ottoman-Turkish sources and the new Ottomanist historiography: **SHAW (Stanford J.)**: «Archival Sources for Ottoman History: the Archives of Turkey», *Journal of the American Oriental Society*, 80/1, 1960, p. 1-12 **FAROQHI** (**Suraiya)**: *Approaching Ottoman History: an Introduction to the Sources*, Cambridge, Cambridge University Press, 1999; **PEIRCE (Leslie)**: «Changing Perceptions of the Ottoman Empire: The Early Centuries», *Mediterranean Historical Review*, 19/1, 2004, p. 6-28; **PEDANI** (**Maria Pia)**: «Note di storiografia sull'impero ottomano», *Mediterranea-ricerche storiche*, 34, 2015, p. 445-458.

[44]**MANTRAN (Robert)**: «Course et Corsaires», *Annales. Histoire, Sciences Sociales*, 22/5, 1967, p. 1133-1135.

[45]**BELHAMISSI (Moulay)**: *Marine et marins d'Alger (1518-1830)*, Alger, Bibliothèque nationale d'Algérie, 2003, 3 vols.; **MEROUCHE (Lemnouar)**: *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. I- Monnaies, prix et revenus 1520-1830*, Saint-Denis, Bouchène, 2003; **MEROUCHE (Lemnouar)**: *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. II- La course: mythes et réalité*, Saint-Denis, Bouchène, 2007.

To this research, we must add the worthy contributions by Colin Heywood and Joshua White. Although Heywood's articles have focused more on the seventeenth and eighteenth-century Algerine corso, he has shown that the religious stimulus of jihād was only an ideological trope that sought social support; the real drive behind privateering was economic rather than military or political profit. Indeed, according to Heywood, «to succeed, the corso had to be profitable»[46]. For his part, in addition to illustrating that the terminological distinction between piracy and corso is primarily a European issue, Joshua White's Piracy and Law in the Ottoman Mediterranean has stressed the fact that the Algerian corsair fleet was not only an auxiliary tool of the Ottoman Empire in its attempts to consolidate its position in the Maghreb, but also the source of a number of legal conflicts at the imperial and international level. However, White's most interesting conclusion for us is that the image of Algiers as a corsair city was also used in the Ottoman literature to describe other maritime enclaves within the Empire, including the fortress city of Santa Maura, labelled by the traveller and chronicler Evliya Çelebi as «Little Algiers» because of the presence of a large number of corsairs there[47].

However, this fact should not be misinterpreted and used to emphasise the Christian vision and the «nest of corsairs» paradigm. As Farid Khiari has suggested, the misunderstanding of an Algiers totally controlled by privateers, a republic of pirates, as it were, stems from the fact that the main administrative figures in charge of the local Ottoman government were heavily involved in corsair activities during the Early Modern age[48].

This misinterpretation, resulting from the conflation of the public and private spheres, can only be overcome by the close examination of Ottoman-Turkish administrative sources. Following

[46]**HEYWOOD (Colin)**: «Ideology and the Profit Motive in the Algerine Corso. The Strange Case of the Izabella of Kirkcaldy, 1709-14», in *Anglo-Saxons in the Mediterranean: Commerce, Politics, and Ideas (XVII-XX Centuries)*, eds. **VASSALLO (Carmel)** and **D'ANGELO (Michela)**, Msida, Malta University Press, 2007, p. 17-42.

[47]**WHITE (Joshua)**: *Piracy and Law in the Ottoman Mediterranean*, Stanford, Stanford University Press, 2017.

[48]**KHIARI (Farid)**: *Vivre et mourir en Alger. L'Algérie ottomane aux XVI^e^-XVII^e^ siècles: un destin confisqué*, Paris, L'Harmattan, 2002, p. 79-80.

Khadir's valuable analysis of the imperial orders sent to the Algerian governors during the sultanates of Suleiman I and Selim II, it is clear that the Ottoman government in Algiers had to control the activity of local reis to prevent their expeditions from harming the commercial interests of Ottoman allies, such as the French Monarchy or the Republic of Venice[49]. Moreover, the use of these same sources has led to the demystification of the idea that Algerian governors were all privateers. Erdim Taş, tracing the political history of the first beylerbeyi-s sent to rule the province of Cezayir-i Garb, has made it clear that many of them were not involved in privateering before they arrived to Algiers. In fact, the appointment of these governors was not based on their maritime skills, but simply responded to the patronage logic with which different power groups at the Sublime Porte sought to control the neighbouring areas of the Empire[50].

Concerning Algerian society, the thesis of the cosmopolitan city, which according to Christian chronicles reached a population of nearly 100.000 in the late sixteenth century, has been debated and criticised in various studies; the fact that the city could not possible house such a large population has repeatedly been pointed out[51]. A similar change of attitude can also be detected in works devoted to the economic history of Ottoman Algiers. While Ciro Manca, supporting his arguments on the records of a Roman congregation that redeemed Christian captives in the Maghreb, argued that the Algerian economy was based exclusively on the corso[52], Miriam Hoexter, drawing on sources preserved in the National Archives of Algiers, has shown that the matter was much

[49]**KHADIR (Abderrezak)**: *Mühimme defterlerine göre Kanuni ve II. Selim döneminde Cezayir'e ait hükümler*, unplublished MA Thesis, İstanbul, T. C. İstanbul üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Tarih Anabilim Dalı, 2016.

[50]**ERDEM TAŞ (Abdullah)**: «Cezâyir-i Garb Vilâyeti'nin Kuruluşu Meselesi ve İlk Cezâyir Beylerbeyileri», *Aralık*, 5/2, (2020), p. 250-284.

[51]**MISSOUM (Sakina)**: *Alger à l'époque ottomane: la médina et la maison traditionnelle*, Aix-en-Provence, Edisud, 2003; **CRESTI (Federico)**: «La population d'Alger et son évolution durant l'époque ottomane: un état des connaissances controversé», *Arabica*, 52/4, 2005, p. 457-495; **BEN HAMOUCHE** (**Mustapha)**: *Dar es-sultân. L'algérois à l'époque ottomane: gestion urbaine et aménagement du territoire*, Alger, Dar el-bassair, 2009.

[52]**MANCA (Ciro)**: *Il Modello di sviluppo economico delle città maritime barbaresche dopo Lepanto*, Napoli, Giannini editore, 1982.

more complex than that. According to Hoexter, the corsairs' booty was only one asset among many for the local economy: «Les revenus les plus importants de la Régence provenaient des impôts fonciers, des droits de douane, du butin des corsaires, des paiements versés par certains états pour garantir la protection de leurs bateaux des corsaires algériens, ou pour les monopoles commerciaux»[53].

Finally, in order to conclude this brief historiographical overview, I must mention that, in addition to the sources, new historiographical trends are also helping to undermine the "nest of corsairs" cliché. Two issues are especially worthy of consideration: politics issue, concerning the role of Algiers in the Ottoman imperial administration; and diplomacy, concerning the relations of Algiers and its corsairs with other Mediterranean actors.

Regarding politics, by analysing the administrative history of Algiers during the sixteenth century, Idris Bostan has noted that it is only from 1545 that the province of Cezayir-i Garb features in the Ottoman sources. Before this date, Algiers seems to have been part of the maritime province created by Suleiman I when he appointed Hayreddin Barbarossa as Grand Admiral in 1534[54]. In the light of this research, therefore, the idea of the «Barbary state» founded by the Barbarossas should only apply to Algiers for the 1510s and 1520s[55].

Moving from an imperial to a local scale, recent studies reflect the close links between the province and the centre of the empire under the perspective of political sociology. Looking at the patronage networks established between the Algerian elite and members of the government in Istanbul, Tal Shuval speaks of the process of Ottomanisation undergone by dignitaries and governors in the Maghreb, which helps us to understand the integration of the Algerian elite in the power groups that operated around the Sublime Porte, and their aim to climb up the ladder of the Ottoman

[53]**HOEXTER (Miriam)**: «Taxation des corporations professionnelles d'Alger à l'époque turque», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 36, 1983, p. 19-39.

[54]**BOSTAN (Idris)**: «The establishment of the Province of Cezayir-i Bahr-i Sefid», in *The Kapudan Pasha: his office and his domain*, ed. **ZACHARIADOU (Elisabet)**, Rethymnon, Crete University Press, 2002, p. 241-252.

[55]**VATIN (Nicolas)**: «Note sur l'entrée d'Alger sous la souveraineté ottomane (1519-1521)», *Turcica*, 44, 2012-2013, p. 131-166.

administration[56]. From this perspective, the concept of household (tr. kapı; ar. bayt) adopted by Shuval to support his thesis becomes a fundamental heuristic tool to revise Algerian political history in the sixteenth century: our analysis must no longer be guided by the alleged ethnic struggle between corsair renegades and Turkish janissaries, but a competition between political families for the key government positions in Algiers[57].

Still within the framework of this centre-periphery debate, several studies have also noted the importance of Algerian corsairs in the Ottoman Mediterranean strategy. Evrim Türkçelik and Emrah Safa Gürkan have pointed out that the corsair galleys were a rich source of intelligence for the Algerian government, which was then directly conveyed to the Sublime Porte, as well as important assets for the supply of the Sultan's fleet and the city of Istanbul itself[58].

With regard to the relations between the city of Algiers and other Mediterranean powers, the most recent scholarship on Mediterranean studies have challenged the notion that no commercial and diplomatic contacts between Christian and Muslim polities existed during the conflict between the Ottoman Empire and the Spanish Monarchy[59]. In particular, following the long trail of studies on the rescue of Christian captives in North Africa[60], Daniel

[56]**SHUVAL (Tal)**: «Households in Ottoman Algeria», *Turkish Studies Association Bulletin*, 24/1, 2000, p. 41-64.

[57]**CAPRIOLI (Francesco)**: «Conflits socio-politiques dans l'Alger des Barberousse (1518-1562)», *Rives méditerranéennes*, 61, 2020, p. 231-250.

[58]**GÜRKAN (Emrah Safa)**: «The Centre and the Frontier: Ottoman Cooperation with the North African Corsairs in the Sixteenth Century», *Turkish Historical Review*, 1, 2010, p. 125-163; **TÜRKÇELIK (Evrim)**: «Estambul y las provincias en el tránsito de los siglos XVI al XVII», in *Orán: historia de la corte chica*, eds. **BUNES IBARRA (Miguel Ángel, de)** and **ALONSO ACERO** (**Beatriz)**, Madrid, Ediciones Polifemo, 2011, p. 173-194.

[59]**DURSTELER (Eric R.)**: «On Bazaars and Battlefields: Recent Scholarship on Mediterranean Cultural Contacts», *Journal of Early Modern History*, 15, 2011, p. 413-434; **CAPRIOLI (Francesco)**: "Negoziare alla Sublime Porta. Nuove prospettive di ricerca su diplomazia e relazioni interculturali nella prima età moderna», *Riforma e Movimenti Religiosi*, 10, 2021, p. 269-296.

[60]There is a vast bibliography on the rescue of Christian captives in North Africa in the early modern period. See especially: **MARTÍNEZ TORRES (José Antonio)**: «Europa y el rescate de cautivos en el Mediterráneo durante la temprana Edad Moderna», *Espacio, Tiempo y Forma. Serie IV, Historia Moderna*, 18-19, 2005-2006, p. 71-85; **BOSCO (Michele)**: «Schiavitù e

Hershenzon and Guillaume Calafat have emphasised the economic nature of the corso over its political and religious dimensions. This has made it possible to review the corsairs no longer as mere persecutors of the Christians chained in the Algerine *baños*, but as skilful brokers active in the commercial circuits of the early modern Mediterranean, and as useful intermediaries in the dialogue between European consuls and merchants, on the one hand, and the North African authorities, on the other[61].

Conclusion

In the light of the brief historiographical overview presented in these pages, Tal Shuval's suggestion, about the need to bring Algeria back into Ottoman history, still seems relevant and necessary[62]. Indeed, the idea of Algiers as a nest of corsairs and capital of a Barbary state is still applied today by those studies that pay little attention to the publications of Arabists and Ottomanists.

Beyond the problem of Muslim sources and their inaccessibility for non-experts, new research on sixteenth century Ottoman Algiers should therefore take into account the recent production of Algerine and Turkish historians, but above all read the Christian sources of the period «against the grain» so as not to present a biased and Eurocentric view on the subject[63].

This attention to the sources and their interpretation must, however, be combined with an analysis that understands and explains the complexity of the facts, making it possible to highlight

---

conversioni religiose nel Mediterraneo moderno. Un bilancio storiografico», *Daedalus*, 5, 2014, p. 9-36.

[61]**HERSHENZON (Daniel)**: *The Captive Sea: Slavery, Communication, and Commerce in Early Modern Spain and the Mediterranean*, Phildelphia, University of Pennsylvania Press, 2018; **CALAFAT (Guillaume)**: «A 'Nest of Pirates'? Consuls and Diplomatic Intermediaries in Algiers during the 1670s», *Studi e materiali di storia delle religioni*, 84/2, 2018, p. 529-547.

[62]**SHUVAL (Tal)**: «Cezayir-i Garp: Bringing Algeria Back into Ottoman History», *New Perspective on Turkey*, 22, 2000, p. 85-114.

[63]**GINZBURG (Carlo)**: *History, Rhetoric, and Proof*, Hanover, NH, University Press of New England, 1999, p. 24: «To "brush history against the grain" […], as Walter Benjamin urged, one has to learn to read the evidence against the grain, against the intentions of those who had produced it. Only in this way will it be possible to take into account, against the tendency of the relativists to ignore the one or the other, power relationships as well as what is irreducible to them».

the reciprocal nature of the phenomena that characterised the early modern Mediterranean[64]. Along these lines, following Jocelyne Dakhlia's critique, it seems that a new generation of historians is following the right path. Recent research no longer displays Algiers as a unicum in the early modern Mediterranean, pointing out the presence of other corsair hubs in both Muslim and Christian coasts[65].

Returning to our case study, we can finally point out two other ways to rescue historians from some of the clichés born in the Early Modern age and consolidated during the colonial period. The first path, which has been travelled little to date, even by North African scholars, is the study of the relations between the Ottoman province of Cezayir-i Garb and the Algerian hinterland. Indeed, as noted by Colin Heywood, we must focus on this historiographical gap and fill it with research, and thus avoid looking at Algiers solely through the lens of its maritime dimension[66]. Although some research about Algerine contacts with the Kabylia tribes or the Kanem-Bornu Empire has been carried out, they are still at an incipient stage[67].

A second path, which has already been partially explored, is

[64]**DAKHLIA (Jocelyne)**: «L'impensable métis en Méditerranée?», in *Construire la Méditerranée, penser les transferts culturels. Approches historiographiques et perspectives de recherche*, eds. **ABDELLATIF (Rania), BENHIMA (Yassir), KÖNIG (Daniel)**, and **RUCHAUD** (**Elisabeth)**, Munich, Oldenbourg Verlag, 2012, p. 45-57.

[65]**ROZEN (Minna)**: *The Mediterranean in the Seventeenth Century: Captives, Pirates and Ransomers*, Palermo, Associazione Mediterranea, 2016; **GÜRKAN (Emrah Safa)**: *Sultanın korsanları: Osmanlı Akdenizi'nde gazâ, yağma ve esaret, 1500-1700*, Istanbul, Kronik Kitap, 2018.

[66]**HEYWOOD (Colin)**: «A Frontier without Archeology? The Ottoman Marittime Frontier in the Western Mediterranean, 1660-1760», in *The Frontiers of the Ottoman World*, Oxford, Oxford University Press, 2009, p. 493-508, here p. 507-508.

[67]**GAÏD (Mouloud)**: *Les Berbères dans l'histoire. Tome III : Lutte contre le colonialisme*, Alger, Editions Mimouni, 1979; **ROBERTS (Hugh)**: *Berber government: the Kabyle polity in pre-colonial Algeria*, London, I.B. Tauris, 2014; **DEWIÈRE (Rémi)**: «A Struggle for the Sahara: Idrīs ibn 'Alī's Embassy to Aḥmad al-Manṣūr in the Context of Borno-Morocco-Ottoman Relations, 1577-1583», *The Annual Review of Islam in Africa*, 12/1, 2013-2014, p. 85-91; **FLYNN (Sébastien)**: *The Relationship between the Ottoman Empire and Kanem-Bornu during the Reign of Sultan Murad III*, unpublished MA thesis, Ankara, Ihsan Doğramacı Bilkent University, 2015.

the socio-political analysis of the protagonists of the Muslim corso. By focusing on the group of Christian converts to Islam, some scholars have tried to avoid the traditional historiographical perspective according to which membership of the corso was the only option for these neophytes to climb the Ottoman political system in Algiers. A detailed analysis of the story of some renegades has demonstrated the need to contextualise their lives and extraordinary careers within Maghrebi society, pointing out that their access to key posts in the local administration was dependent on their position in the imperial patronage networks[68]. Beyond these specific examples, the vision of the rich and powerful corsair who seizes authority in the city of Algiers is another cliché that needs to be revised and replaced by that of a common man who toiled daily to survive with his family in the turbulent Algerian society of the sixteenth century. Following Fatiha Loualich's suggestions, perhaps what remains to be done in this field is to launch new research to uncover the «human side of the Algerine corso»[69].

Bibliography

-**BELHAMISSI (Moulay)**: *Marine et marins d'Alger (1518-1830)*, Alger, Bibliothèque nationale d'Algérie, 2003, 3 vols.

-**BEN HAMOUCHE** (**Mustapha)**: *Dar es-sultân. L'algérois à l'époque ottomane: gestion urbaine et aménagement du territoire*, Alger, Dar el-bassair, 2009.

-**BERBRUGGER** (**Louis Adrien)**: *Le Pégnon d'Alger, ou les origines du gouvernement turc en Algérie*, Alger, 1860.

[68]**DAKHLIA (Jocelyne)**: «Turcs de profession? Réinscriptions lignagères et redéfinitions sexuelles des convertis dans les cours maghrébines (XVI[e]-XIX[e] siècles)», in *Conversions islamiques: identités religieuses en islam méditerranéen*, ed. **GARCÍA-ARENAL** (**Mercedes)**, Paris, Maisonneuve et Larose, 2001, 151-171; **CAPRIOLI (Francesco)**: «I 'Mühtedi' di Algeri, ovvero l'altro volto dei rinnegati. Conversioni all'islam nel Mediterraneo della prima età moderna», *Studi Storici*, 4, 2019, 939-964.

[69]**LOUALICH (Fatiha**): «In the Regency of Algiers: the Human Side of the Algerine Corso», in *Trade and Cultural Exchange in the Early Modern Mediterranean: Braudel's Maritime Legacy*, eds. **FUSARO (Maria), HEYWOOD (Colin)**, and **SALAH OMRI** (**Mohamed)**, London, I.B. Tauris, 2010, 69-86.

-**BLAKS (David R.)** and **FRASSETTO (Michael)** (eds.): *Western Views of Islam in Medieval and Early Modern Europe. Perception of Other*, New York, Palgrave Macmillan, 2016.
-**BONO (Salvatore)**: *I corsari barbareschi*, Torino, RAI, 1964.
-**BOSCO (Michele)**: «Schiavitù e conversioni religiose nel Mediterraneo moderno. Un bilancio storiografico», *Daedalus*, 5, 2014, 9-36.
-**BOSTAN (Idris)**: «The establishment of the Province of Cezayir-i Bahr-i Sefid», in *The Kapudan Pasha: his office and his domain*, ed. **ZACHARIADOU (Elisabet)**, Rethymnon, Crete University Press, 2002, 241-252.
-**BOUTIN (Abel)**: *Les traités de paix et de commerce de la France avec la Barbarie, 1515-1830*, Paris, Pedone, 1902.
-**BOYER (Pierre)**: «A. Temimi, Sommaire des registres arabes et turcs d'Alger», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 30, 1980, 149-151.
-**BOYER (Pierre)**: «Contribution à l'étude de la politique religieuse des Turcs dans la Régence d'Alger, XVI^{e}-XIX^{e} siècle», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 1, 1966, 11-50.
-**BOYER (Pierre)**: «Des Pachas Triennaux à la révolution de Ali Khodja Dey», *Revue historique*, 495, 1970, 99-124.
-**BOYER (Pierre)**: «Introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger», *Revue historique*, 478, 1966, 297-316.
-**BOYER (Pierre)**: «Les renégats et la marine de la Régence d'Alger», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985, 93-106.
-**BOYER (Pierre)**: «Temimi (Abdeljelil) : Recherches et documents d'histoire maghrébine», *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, 12, 1972, 160-161.
-**BRAUDEL** (**Fernand)**: «Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577», *Revue Africaine*, 59, 1928, 184-233 and 351-410.
-**BRAUDEL** (**Fernand)**: *El Mediterráneo y el mundo mediterráneo en la época de Felipe II*, Madrid, FCE, 2015, 2 Vols. [ed. original: *La Méditerranée et le Monde Méditerranéen: à l'époque de Philippe II*, Paris, Armand Colin, 1949].
-**BROSSELARD** (**Charles)**: *De l'origine et de la domination turques en Algérie*, Paris, 1839.

-**BUNES IBARRA (Miguel Ángel, de)**: «La investigación histórica sobre el Mediterráneo en la Edad Moderna: ¿Un estado de la cuestión?», *RiMe: Rivista dell'Istituto di Storia dell'Europa Mediterranea*, 18, 2017, 195-206.
-**BUNES IBARRA (Miguel Ángel, de)**: *La imagen de los musulmanes y del norte de África en la España de los siglos XVI y XVII: los caracteres de una hostilidad*, Madrid, CSIC, 1989.
-**BURKE III (Edmund)**: «Theorizing the Histories of Colonialism and Nationalism in the Arab Maghrib», in *Beyond Colonialism and Nationalism in the Maghrib: History, Culture, and Politics*, ed. **ABDULLATIF AHMIDA (Ali)**, New York, Palgrave Macmillan, 2000, 17-34.
-**CALAFAT (Guillaume)**: «A 'Nest of Pirates'? Consuls and Diplomatic Intermediaries in Algiers during the 1670s», *Studi e materiali di storia delle religioni*, 84/2, 2018, 529-547.
-**CAPRIOLI (Francesco)**: "Negoziare alla Sublime Porta. Nuove prospettive di ricerca su diplomazia e relazioni interculturali nella prima età moderna», *Riforma e Movimenti Religiosi*, 10, 2021, 269-296.
-**CAPRIOLI (Francesco)**: «Conflits socio-politiques dans l'Alger des Barberousse (1518-1562)», *Rives méditerranéennes*, 61, 2020, 231-250.
-**CAPRIOLI (Francesco)**: «I 'Mühtedi' di Algeri, ovvero l'altro volto dei rinnegati. Conversioni all'islam nel Mediterraneo della prima età moderna», *Studi Storici*, 4, 2019, 939-964.
-**CHABOD (Federico)**: *Storia politica del Mediterraneo*, Brescia, Morcelliana, 2014.
-**CHARRIERE (Ernest)**: *Négociations de la France dans le Levant, ou Correspondances, mémoires et actes diplomatiques des ambassadeurs de France à Constantinople et des ambassadeurs, envoyés ou résidents à divers titres à Venise, Raguse, Rome, Malte et Jérusalem, en Turquie, Perse, Géorgie, Crimée, Syrie, Egypte, etc., et dans les États de Tunis, d'Alger et de Maroc*, Paris, Imprimerie Nationale, 1848-1860, 4 vols.
-**CHENTOUF (Tayeb)**: «Décolonisation et problème des sources. Les sources locales, étrangères et espagnoles de l'histoire de l'Algérie du XVI^{e} au XIX^{e} siècle», in *Actes du séminaire international sur les sources espagnoles de l'histoire algérienne.*

Oran: 20-22 avril 1981, Alger, *Archives nationales*, n° spécial, 10-11, 1984, 9-32.

-**CRESTI (Federico)**: «La population d'Alger et son évolution durant l'époque ottomane: un état des connaissances controversé», *Arabica*, 52/4, 2005, 457-495.

-**DAKHLIA (Jocelyne)**: «L'impensable métis en Méditerranée?», in *Construire la Méditerranée, penser les transferts culturels. Approches historiographiques et perspectives de recherche*, eds. **ABDELLATIF (Rania), BENHIMA (Yassir), KÖNIG (Daniel)**, and **RUCHAUD** (**Elisabeth)**, Munich, Oldenbourg Verlag, 2012, 45-57.

-**DAKHLIA (Jocelyne)**: «Turcs de profession? Réinscriptions lignagères et redéfinitions sexuelles des convertis dans les cours maghrébines (XVI^{e}-XIX^{e} siècles)», in *Conversions islamiques: identités religieuses en islam méditerranéen*, ed. **GARCÍA-ARENAL** (**Mercedes)**, Paris, Maisonneuve et Larose, 2001, 151-171.

-**DELMAS-BARTOLI** (**Marie-Claude)**: «Pierre Boyer (1918-2008)», *Bibliothèque de l'Ecole des chartes*, 171/2, 2013, 613-617.

-**DEVOULX (Albert)**: «La première révolte des janissaires d'Alger», *Revue Africaine*, 15, 1871, 1-6.

-**DEVOULX (Albert)**: «Assassinat du Pacha Mohammed Tekelerli», *Revue Africaine*, 15, 1871, 81-89.

-**DEVOULX (Albert)**: «La marine de la Régence d'Alger», *Revue Africaine*, 13, 1869, 384-420.

-**DEVOULX (Albert)**: *Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, Alger, 1852.

-**DEWIÈRE (Rémi)**: «A Struggle for the Sahara: Idrīs ibn ʿAlī's Embassy to Aḥmad al-Manṣūr in the Context of Borno-Morocco-Ottoman Relations, 1577-1583», *The Annual Review of Islam in Africa*, 12/1, 2013-2014, 85-91.

-**DURSTELER (Eric R.)**: «On Bazaars and Battlefields: Recent Scholarship on Mediterranean Cultural Contacts», *Journal of Early Modern History*, 15, 2011, 413-434.

-**EL MADANI (Ahmed Tawfik)**: *La guerre de trois cents ans entre l'Algérie et l'Espagne (1492-1792)*, Alger, Société Nationale d'Édition et de Diffusion, 1976.

-**EPALZA (Mikel de)**: «Papel político de los moriscos en el nacimiento de la Argelia moderna en tiempos de Carlos V», in *Carlos V. Los moriscos y el islam*, 201-232.
-**EPALZA (Mikel de)**: «Tres historiadores y políticos de Argelia presentan la política de Carlos V con la naciente Argelia moderna: Az-Zahhar (m. 1872), Zavala (1886) y Al-Madani (m. 1983)», in *Carlos V. Los moriscos y el islam [Congreso Internacional, Alicante 20-25 de noviembre de 2000]*, ed. **RUBIERA MATA (María Jesús)**, Alicante-Madrid, Sociedad Estatal para la Conmemoración de los Centenarios de Felipe II y Carlos V, 2001, 233-267.
-**ERDEM TAŞ (Abdullah)**: «Cezâyir-i Garb Vilâyeti'nin Kuruluşu Meselesi ve İlk Cezâyir Beylerbeyileri», *Aralık*, 5/2, (2020), 250-284.
-**FAROQHI** (**Suraiya)**: *Approaching Ottoman History: an Introduction to the Sources*, Cambridge, Cambridge University Press, 1999.
-**FERNÁNDEZ DURO (Cesareo)**: *Armada española desde la unión de los Reinos de Castilla y de Aragón*, Madrid, Est. Tipográfico Sucesores de Rivadeneyra, 1895-1903, 9 vols.
-**FISCHER-TINÉ (Harald)**: «Postcolonial Studies», in *European History Online*, on-line: http://www.ieg-ego.eu/fischertineh-2010-en (Consulted online on 01 April 2022).
-**FISHER (Godfrey)**: *Barbary Legend. War, Trade and Piracy in North Africa (1415-1830)*, Oxford, Clarendon Press, 1957.
-**FLYNN (Sébastien)**: *The Relationship between the Ottoman Empire and Kanem-Bornu during the Reign of Sultan Murad III*, unpublished MA thesis, Ankara, Ihsan Doğramacı Bilkent University, 2015.
-**FORMICA** (**Marina)**: *Lo specchio turco: immagini dell'Altro e riflessi del Sé nella cultura italiana dell'età moderna*, Roma, Donzelli, 2012.
-**GAÏD (Mouloud)**: *L'Algérie sous les Turcs*, Alger, Société Nationale d'Ed. et de Diffusion, 1974.
-**GAÏD (Mouloud)**: *Les Berbères dans l'histoire*. *Tome III : Lutte contre le colonialisme*, Alger, Editions Mimouni, 1979.
-**GALLOTTA (Aldo)**: «Gazavât-ı Hayreddin Paşa», in *TDV İslâm Ansiklopedisi*, on-line: https://islamansiklopedisi.org.tr/gazavat-i-hayreddin-pasa (Consulted online on 01 April 2022).

-**GINZBURG (Carlo)**: *History, Rhetoric, and Proof*, Hanover, NH, University Press of New England, 1999.
-**GOSSE** (**Philip)**: *The History of Piracy*, London, Longmans, Green & Co., 1932.
-**GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Etudes algériennes. La course, l'esclavage et la rédemption à Alger*, Paris, Daupeley-Gouverneur, 1885.
-**GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*, Paris, Ernest Leroux, 1887.
-**GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Relation de l'expédition de Charles Quint contre Alger, suivie de la traduction du texte latin par Pierre Tolet*, Paris, Aubry, 1875.
-**GRAMMONT (Henri-Delmas, de)**: *Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVII^e^ siècle. 1^ère^ partie: Les deux canons de Simon Dansa (1606-1628)*, Alger, A. Jourdan, 1879.
-**GRANGAUD** (**Isabelle)** and **OUALDI (M'hamed)**: «Tout est-il colonial dans le Maghreb? Ce que les travaux des historiens modernistes peuvent apporter», *Revue d'histoire moderne et contemporaine*, 2, 2016, 133-156.
-**GUGLIELMOTTI (Alberto)**: *La guerra dei Pirati e la marina pontificia dal 1500 al 1560*, Firenze, Le Monnier, 1876, 2 vols.
-**GÜRKAN (Emrah Safa)**: «The Centre and the Frontier: Ottoman Cooperation with the North African Corsairs in the Sixteenth Century», *Turkish Historical Review*, 1, 2010, 125-163.
-**GÜRKAN (Emrah Safa)**: *Sultanın korsanları: Osmanlı Akdenizi'nde gazâ, yağma ve esaret, 1500-1700*, Istanbul, Kronik Kitap, 2018.
-**HAEDO (Diego, de)**: *Topographia e historia general de Argel, repartida en cinco tratados, do se verán casos estraños, muertes espantosas, y tormentos exquisitos, que conviene se entiendan en la christiandad: con mucha doctrina, y elegancia curiosa*, Valladolid, por Diego Fernández de Córdoba y Oviedo, 1612.
-**HERSHENZON (Daniel)**: *The Captive Sea: Slavery, Communication, and Commerce in Early Modern Spain and the Mediterranean*, Phildelphia, University of Pennsylvania Press, 2018.
-**HESS (Andrew C.)**: *The Forgotten Frontier: a History of the Sixteenth-Century Ibero-African Frontier*, Chicago, The University of Chicago Press, 1978.

-**HEYWOOD (Colin)**: «A Frontier without Archeology? The Ottoman Marittime Frontier in the Western Mediterranean, 1660-1760», in *The Frontiers of the Ottoman World*, Oxford, Oxford University Press, 2009, 493-508.
-**HEYWOOD (Colin)**: «Fernand Braudel and the Ottomans: the emergence of an involvement (1928–50)», *Mediterranean Historical Review*, 23/2, 2008, 165-184.
-**HEYWOOD (Colin)**: «Ideology and the Profit Motive in the Algerine Corso. The Strange Case of the Izabella of Kirkcaldy, 1709-14», in *Anglo-Saxons in the Mediterranean: Commerce, Politics, and Ideas (XVII-XX Centuries)*, eds. **VASSALLO (Carmel)** and **D'ANGELO (Michela)**, Msida, Malta University Press, 2007, 17-42.
-**HOEXTER (Miriam)** and **SHUVAL (Tal)**: «Algiers», in *Encyclopaedia of Islam, THREE*, on-line: http://dx.doi.org.pros1.lib.unimi.it/10.1163/1573-3912_ei3_COM_0017 (Consulted online on 01 April 2022).
-**HOEXTER (Miriam)**: «Taxation des corporations professionnelles d'Alger à l'époque turque», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 36, 1983, 19-39.
-**HUBAC (Pierre)**: *Les Barbaresques*, Paris, Berger-Levrault, 1949.
-**IBAÑEZ DE IBERO** (**Carlos)**: *Carlos V y su política mediterránea*, Madrid, CSIC, 1962.
-**JURIEN DE LA GRAVIERE (Jean-Pierre Edmond)**: *Les Chevaliers de Malte et la marine de Philippe II*, Paris, Plon, 1887.
-**JURIEN DE LA GRAVIERE (Jean-Pierre Edmond)**: *Les Corsaires barbaresques et la marine de Soliman le Grand*, Paris, Plon, 1887.
-**KAHRAMAN (Kemal)**: «Cezayir: Osmanlı Dönemi», in *TDV İslâm Ansiklopedisi*, on-line: https://islamansiklopedisi.org.tr/cezayir#3-osmanli-donemi (Consulted online on 01 April 2022).
-**KHADIR (Abderrezak)**: *Mühimme defterlerine göre Kanuni ve II. Selim döneminde Cezayir'e ait hükümler*, unplublished MA Thesis, İstanbul, T. C. İstanbul üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Tarih Anabilim Dalı, 2016.

-**KHIARI (Farid)**: *Vivre et mourir en Alger. L'Algérie ottomane aux XVI^e^-XVII^e^ siècles: un destin confisqué*, Paris, L'Harmattan, 2002.
-*L'italiana in Algeri. Dramma giocoso per musica da rappresentarsi nel teatro d'Alessandria la primavera del 1822*, Alessandria, dalla stamperia di Luigi Capriolo, 1822.
-**LAMBERT PLAYFAIR (Robert)**: *Supplement to the Bibliography of Algeria from the Earliest Times to 1895*, London, John Murray, 1898.
-**LANE-POOLE (Stanley)**: *The Barbary Corsairs*, London, 1890.
-**LOUALICH (Fatiha**): «In the Regency of Algiers: the Human Side of the Algerine Corso», in *Trade and Cultural Exchange in the Early Modern Mediterranean: Braudel's Maritime Legacy*, eds. **FUSARO (Maria), HEYWOOD (Colin)**, and **SALAH OMRI (Mohamed)**, London, I.B. Tauris, 2010, 69-86.
-**MANCA (Ciro)**: *Il Modello di sviluppo economico delle città maritime barbaresche dopo Lepanto*, Napoli, Giannini editore, 1982.
-**MANFRONI (Camillo)**: *Storia della marina italiana dalla caduta di Costantinopoli alla battaglia di Lepanto*, Roma, Forzani, 1897.
-**MANTRAN (Robert)**: «Course et Corsaires», *Annales. Histoire, Sciences Sociales*, 22/5, 1967, 1133-1135.
-**MARTÍN CORRALES (Eloy)**: «Descolonizar y desnacionalizar la historiografía que se ocupa de las relaciones de Europa con los países del Magreb y Oriente Próximo en la Edad Moderna (siglos XVI-XVIII)», *RiMe: Rivista dell'Istituto di Storia dell'Europa Mediterranea*, 18, 2017, 167-193.
-**MARTÍNEZ TORRES (José Antonio)**: «Europa y el rescate de cautivos en el Mediterráneo durante la temprana Edad Moderna», *Espacio, Tiempo y Forma. Serie IV, Historia Moderna*, 18-19, 2005-2006, 71-85.
-**MASSON (Paul)**: *Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1560-1793)*, Paris, Hachette, 1903.
-**MASTERS (Bruce)**: «Algiers», in *The Encyclopedia of the Ottoman Empire*, eds. **MASTERS (Bruce)** and **ÁGOSTON (Gábor)**, New York, Facts on File, 2009, 33-34.

-**MEROUCHE (Lemnouar)**: *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. I- Monnaies, prix et revenus 1520-1830*, Saint-Denis, Bouchène, 2003.
-**MEROUCHE (Lemnouar)**: *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. II- La course: mythes et réalité*, Saint-Denis, Bouchène, 2007.
-**MISSOUM (Sakina)**: *Alger à l'époque ottomane: la médina et la maison traditionnelle*, Aix-en-Provence, Edisud, 2003.
-**ÖZCAN (Abdülkadir)**: «Muradi, Seyyid», in *Encyclopaedia of Islam, THREE*, on-line: http://dx.doi.org.pros1.lib.unimi.it/10.1163/1573-3912_ei3_COM_40239 (Consulted online on 01 April 2022).
-**PANZAC (Daniel)**: *Barbary Corsairs: the End of a Legend, 1800-1820*, Leiden, Brill, 2005.
-**PEDANI** (**Maria Pia)**: «Note di storiografia sull'impero ottomano», *Mediterranea-ricerche storiche*, 34, 2015, 445-458.
-**PEIRCE (Leslie)**: «Changing Perceptions of the Ottoman Empire: The Early Centuries», *Mediterranean Historical Review*, 19/1, 2004, 6-28.
-**PLANTET (Eugène)**: *Correspondance des deys d'Alger avec la Cour de France, 1579-1833*, Paris, Félix Alcan, 1889, 2 vols.
-**RANG** (**Sander)** and **DENIS (Ferdinand)**: *Fondation de la Régence d'Alger, histoire des Barberousse*, Paris, J. Angé éditeur, 1837.
-**ROBERTS (Hugh)**: *Berber government: the Kabyle polity in pre-colonial Algeria*, London, I.B. Tauris, 2014.
-**RONZITTI (Natalino)** (ed.): *The Law of Naval Warfare: a Collection of Agreements and Documents with Commentaries*, Drodrecht, Martinus Nijhoff, 1988.
-**ROTALIER (Charles de)**: *Histoire d'Alger et de la piraterie des Turcs dans la Méditerranée à dater du seizième siècle*, Paris, chez Paulin libraire-éditeur, 1841.
-**ROZEN (Minna)**: *The Mediterranean in the Seventeenth Century: Captives, Pirates and Ransomers*, Palermo, Associazione Mediterranea, 2016.
-**SHAW (Stanford J.)**: «Archival Sources for Ottoman History: the Archives of Turkey», *Journal of the American Oriental Society*, 80/1, 1960, 1-12.

-**SHUVAL (Tal)**: «Cezayir-i Garp: Bringing Algeria Back into Ottoman History», *New Perspective on Turkey*, 22, 2000, 85-114.
-**SHUVAL (Tal)**: «Households in Ottoman Algeria», *Turkish Studies Association Bulletin*, 24/1, 2000, 41-64.
-**SOYKUT (Mustafa)**: *Image of the "Turk" in Italy: a History of the "Other" in Early Modern Europe*, Berlin, Klaus Schwarz, 2001.
-**SPENCER** (**William)**: *Algiers in the Age of the Corsairs*, Norman, University of Oklahoma Press, 1976.
-**TEMIMI Abdeljelil**: «Trois lettres de Hadj Ahmed Bey de Constantine à la Sublime Porte», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 3, 1967, 133-152.
-**TERKI HASSAINE (Ismet)**: «Historiographie et nécessité de la recherche historique sur l'Algérie du XVI^{e} au XVIII^{e} siècle», in *Actes du séminaire international sur les sources espagnoles de l'histoire algérienne. Oran: 20-22 avril 1981*, Alger, *Archives nationales*, n° spécial, 10-11, 1984, 45-52.
-**TOUATI (Houari)**: *Entre dieu et les hommes: lettrés, saints et sorciers au Maghreb (17^{e} siècle)*, Paris, École des Hautes Études en Sciences Sociales, 1994.
-**TÜRKÇELIK (Evrim)**: «Estambul y las provincias en el tránsito de los siglos XVI al XVII», in *Orán: historia de la corte chica*, eds. **BUNES IBARRA (Miguel Ángel, de)** and **ALONSO ACERO** (**Beatriz)**, Madrid, Ediciones Polifemo, 2011, 173-194.
-**VATIN (Nicolas)**: «Note sur l'entrée d'Alger sous la souveraineté ottomane (1519-1521)», *Turcica*, 44, 2012-2013, 131-166.
-**WATBLED** (**Ernest)**: «Documents inédits sur l'assassinat du Pacha Tekelerli (1556-1557)», *Revue Africaine*, 15, 1871, 335-340.
-**WATBLED** (**Ernest)**: «Etablissement de la domination turque en Algérie», *Revue Africaine*, 17, 1873, 287-299 and 352-363.
-**WATBLED** (**Ernest)**: «Négociations entre Charles Quint et Kheir-Eddin (1538-1540)», *Revue Africaine*, 15, 1871, 138-148.
-**WHITE (Joshua)**: *Piracy and Law in the Ottoman Mediterranean*, Stanford, Stanford University Press, 2017.
-**WOLF (John B.)**: *The Barbary Coast: Algiers under the Turks, 1500 to 1830*, New York, Norton, 1979.

Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies

Vol. 2 Issue 1 June 2022 pp. 113-127
Issn: 2800-1184
Received: 9/5/2022 Accepted: 17/5/2022 Published: 30/6/2022

Le tissage de la mémoire
La captivité des frères Wolfgang d'Augsbourg à Alger
The weaving of memory
The captivity of the Wolfgang brothers in Algiers

Ruhe Ernstpeter[♦]
Institute for Romance Philology at the University of Würzburg
e-mail : ruhe@uni-wuerzburg.de

ملخص :

نسج الذاكرة أسر الأخوين ولفغانغ من مدينة أوغسبورغ في مدينة الجزائر

من بين روايات الأسر الألمانية التي وصلت إلينا، تلك المتعلقة بمصير فنانين شابين من مدينة أوغسبورغ، الأخوان ولفغانغ، اللذان أسرهما قراصنة جزائريون في طريق عودتهما من إنجلترا ونقلاهما إلى مدينة الجزائر، ما يشكل أمر متفرد بشكل خاص. بفضل الوثائق الجديدة التي نشرها جيرار فان كريكن في هذه المجلة نفسها، أصبح من الممكن الآن تحديد التاريخ الدقيق للأسر، وبالتالي إعادة تقييم هذه الرواية.

يكشف تحليل التصحيح المتعلق بتاريخ الأسر عن الدور الأساسي الذي يؤديه النوع الخاص من المذكرات التي تميز الرواية، والتي كتبها ونشرها بعد ما يقرب من 80 عامًا تقريبًا من عودتهم من مدينة الجزائر من قبل ابن أحد الأخوين، وهو نفسه متقدم في السن.

الكلمات المفتاحية :

قراصنة؛ مدينة الجزائر؛ أسر؛ روايات باللغة الألمانية.

Abstract:

Among the surviving German-language accounts of captivity, the story of the fate of two young Augsburg artists, the Wolfgang brothers, taken captive by Algerian corsairs on their way back from

♦ **Corresponding Author**

England and brought to Algiers is particularly remarkable. Thanks to new documents published in this same review by Gérard van Krieken it is now possible to determine the exact date of the capture and thus to reassess the story.

The analysis of the correction concerning the date of the capture reveals the essential role played by the particular type of *memoria* that characterises the narrative, written and published almost 80 years after their return from Algiers by the son of one of the brothers, himself already aged.

Keywords:
Corsairs; Algiers; captivity; German language reports.

> Sous l'histoire, la mémoire et l'oubli.
> Sous la mémoire et l'oubli, la vie.
> Mais écrire la vie est une autre histoire[1].

Parmi les récits germanophones de captivité qui nous sont parvenus du XVI^e^ au XIX^e^ siècle[2], celui qui concerne le sort des jeunes frères Wolfgang, graveurs de la ville d'Augsbourg dans le sud de l'Allemagne, présente un certain nombre de caractéristiques particulières qui le rendent unique dans l'histoire du genre[3].

Le récit est double et nous confronte à un changement de média inconnu ailleurs. Après le retour heureux des deux artistes du « servage algérien » en 1688, le frère aîné Andreas Matthäus ne publie pas un rapport de type traditionnel, sous forme de texte, mais sous forme d'images[4]. La vingtaine de gravures sur cuivre

[1]**RICŒUR (Paul)** : *La mémoire, l'histoire, l'oubli*, Paris, Editions du Seuil, 2000, p. 657.

[2]Pour l'histoire du genre voir **RUHE (Ernstpeter)** : *« Aus Barbareyen erlösett ». Die deutschsprachigen Gefangenenberichte aus dem Maghreb (XVI.-XIX. Jh.) und ihre Rezeption [« Délivré de la Barbarie ». Les récits germanophones de captivité au Maghreb (XVI^e^-XIX^e^ s.) et leur réception*], Würzburg, Königshausen & Neumann, 2020.

[3]Voir l'édition du texte dans notre monographie *Porträt des Künstlers als Sklave. Zwei Augsburger Kupferstecher als Gefangene in Algier (1684-1688)* [*Portrait de l'artiste en esclave. Deux graveurs d'Augsbourg captifs à Alger 1684-1688*], Würzburg, Königshausen & Neumann, 2017.

[4]Toutes les gravures ont été rassemblées et publiées pour la première fois dans notre édition citée dans la note précédente. Pour le terme de « servage algérien »

commence par le lieu de leur captivité, Alger, représenté sur un plan de la ville, qui restera « la vue la plus détaillée d'Alger avant 1830 »[5]. Il est suivi par une galerie de portraits de personnages de la vie publique et privée qui s'ouvre avec le dey et son « esclave », qui n'est autre que le graveur lui-même en habit de serveur de café. Les inscriptions au bas des images identifient les personnes représentées et indiquent quelquefois aussi la date à laquelle le dessin avait été réalisé à Alger[6].

Avec la galerie de gravures Andreas Matthäus avait rendu public leur aventure avec les moyens de son art. Son témoignage ne sera pas accompagné d'un récit, ni de sa plume ni de celle de son frère, Johann Georg. La génération suivante s'y mettra, et ceci seulement huit décennies plus tard et bien des années après la mort des frères rachetés[7]. Le texte paraîtra en 1767, écrit par le vieux fils de l'un d'eux[8], Gustav, âgé de 74 ans, qui essaie de se souvenir de ce que son père lui avait raconté jadis[9].

(« algierische Leibeigenschaft ») employé dans le titre du récit cf. Ruhe : *Porträt*, p. 166-167.

[5]**ESQUER (Gabriel)**, *Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI^e^ siècle jusqu'à 1871*, Paris, Librairie Plon, 1929 (*1830-1930 : Collection du Centenaire de l'Algérie*, 3 t.), t. 1, p. VIII : « Au XVII^e^ siècle, la grande planche de Wolfgang est la vue la plus détaillée d'Alger avant 1830, avec le tracé exact des rues et l'indication des terrasses qui couvrent les maisons. »

[6]Sur quelques-unes est indiquée aussi la date de la transposition ultérieure en gravure, faite à Augsbourg en 1701 ; cf. pour cette date, les gravures 13 à 18 de notre liste des sources, Ruhe : *Porträt*, p. 216-217.

[7]Andreas Matthäus Wolfgang est mort en 1736, son frère Johann Georg Wolfgang en 1744.

[8]Et non pas « un de leurs petits-fils », comme l'indique Van Krieken : *1687*, p. 158. Selon lui, ce sont les frères eux-mêmes qui « mirent le récit de leurs aventures par écrit. Celui-ci resta longtemps dans le tiroir d'un bureau et ce ne fut qu'après presque un siècle, en 1767, qu'un de leurs petits fils le fit imprimer. » La page de titre précise cependant que c'est un de leurs fils qui a fait imprimer le texte (« [...] donné à l'impression, par le fils de l'un d'eux », Ruhe : *Porträt*, p 166). Ce fils souligne dans la préface (p. 168) qu'il répond volontiers au désir de raconter les aventures du père et de l'oncle, « autant que je pourrai m'en souvenir d'après les divers récits que m'en a faits mon bienheureux père » (« so viel ich mich aus den vielfältigen Erzählungen, die mir mein seeliger Vatter davon gemacht, werde erinnern können, […] »).

[9]En ce qui concerne l'identification du narrateur du récit avec Gustav, le fils aîné d'Andreas Matthäus Wolfgang, cf. Ruhe : *Porträt*, p. 96-97 (« A la recherche du narrateur »).

Ce n'est pas seulement le grand âge qui explique la forme succincte du récit, mais le fait que ce n'est pas un texte autonome, comme le sont tous les autres exemples germanophones de ce genre : il sert d'introduction aux biographies de trois générations d'artistes de la famille Wolfgang[10].

Ce sont ces biographies qui ont déclenché la narration qui n'en est qu'une amplification : elle développe au début du petit livre avec la captivité algérienne du père et de l'oncle l'événement le plus extraordinaire dans toute l'histoire de la famille[11]. Cette fonctionnalisation a eu des implications pour la rédaction du texte pour laquelle un aspect social précis est devenu prédominant : le récit ne s'adressait pas à un large public, comme les autres récits de captifs et comme le faisait aussi la galerie de gravures, mais vise uniquement l'environnement personnel de la famille Wolfgang dans le but de « préserver la mémoire [...] dans notre amitié »[12].

La trame trouée de la mémoire. - Le récit vient tard, le fils se souvient à la fin de sa vie de ce que le père avait raconté après son retour de la côte barbaresque. Le souvenir des souvenirs paternels s'est rétréci de plus en plus au fil des ans. Le récit qui en résulte vit surtout d'épisodes et d'anecdotes qui accentuent des moments marquants dans le déroulement des événements de la captivité. Lorsque la deuxième édition paraît deux ans plus tard (1769), d'autres voix viennent se mêler à celle du vieux Gustav : les anecdotes qu'elles ajoutent proviennent de la famille de l'autre frère revenu d'Alger, Johann Georg Wolfgang, que Frédéric I^{er}, roi de Prusse, avait appelé en 1704 à sa cour à Berlin.

Ce qui est le plus frappant pour le lecteur, c'est le peu d'importance accordée à la précision chronologique[13]. Une seule

[10]Les biographies ont été écrites par le graveur et peintre augsbourgeois Georg Christian Kilian, cf. Ruhe : *Porträt*, p. 98-100.

[11]Les biographies qui suivent le récit de Gustav n'y font plus que brièvement allusion : Ruhe : *Porträt*, p. 194, 195 et 196.

[12]Ruhe: *Porträt*, p. 168.

[13]Cette observation correspond à la constatation faite par la recherche sur l'autobiographie, cf. **WAGNER-EGELHAAF (Martina)** : *Autobiographie*. Stuttgart – Weimar, Metzler, ^{2}2005, p. 87 : « Le déroulement du temps est beaucoup moins structurant pour la mémoire autobiographique qu'on ne le pense généralement. Le moment où un événement s'est produit est beaucoup plus

date est notée tout au début de la première phrase, celle du départ des frères pour les Pays-Bas : 1684. La famille fait ajouter dans la seconde édition celle du retour : 1688. Le texte du récit qui suit ne laisse pas de doute sur le fait que c'est la même année 1684 que les jeunes artistes seraient tombés entre les mains des corsaires algériens. Leur départ pour Londres où ils voulaient rendre visite à un parent, malgré l'interdiction explicite du père d'aller en mer, aurait eu lieu « seulement quelques semaines après avoir commencé à travailler à Amsterdam »[14], où ils avaient été envoyés pour perfectionner leur formation artistique. Pour les biographies qui font suite au récit, « Anno 1684 » est la date du malheur qui arrive aux frères[15]. Tous les documents ultérieurs, qui témoignent de la réception exceptionnellement riche du texte – elle dure jusqu'au milieu du XX^{ème} siècle – reprennent unanimement cette date de 1684.

Date irritante pourtant eu égard à la nature des relations entre les Pays-Bas et Alger en 1684[16], mais qui pouvait en avoir pris connaissance au Sud de l'Allemagne pour être irrité ?

Les frères revinrent de Londres sur un bateau hollandais[17]. En 1680, le Dey d'Alger, Baba Hassan, avait encore renouvelé le traité de paix avec les Hollandais, de sorte que leurs navires n'auraient pas dû être inquiétés en 1684. Ce n'était qu'en mars 1686 seulement que le successeur de Baba Hassan, le Dey Hadj Hussein, surnommé Mezzomorto, avait mis fin au traité de paix. Il avait signé des traités avec l'Angleterre et la France et ne voulait pas trop restreindre les possibilités de butin de ses capitaines corsaires[18].

---

facilement oublié que l'événement lui-même. » (« Der Verlauf der Zeit ist für das autobiographische Gedächtnis viel weniger strukturgebend als gemeinhin angenommen. Wann sich etwas ereignet hat, wird viel eher vergessen als das Ereignis selbst. »)

[14]« […] nachdem sie bereits einige Wochen in Amsterdam gearbeitet hatten. » Ruhe : *Porträt*, p. 170.

[15]Ruhe : *Porträt*, p. 194.

[16]Ruhe : *Porträt*, p. 114-115.

[17]Ruhe: *Porträt*, p. 172: « Pour leur traversée vers la Hollande, ils ont trouvé deux bateaux hollandais prêts à faire voile. » (« Zu ihrer Ueberfahrt nach Holland fanden sie zwey Holländische Schiffe segelfertig liegen. »).

[18]Cf. **VAN KRIEKEN (Gérard)** : *Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et Les Pays-Bas 1604-1830*, Paris, Editions Bouchène, 2002, p. 78-79. - En ce qui concerne le portrait du dey reproduit ci-dessous, dessiné et gravé par

« Portrait de Mezomorto, qui était dey à Alger,
maintenant capitan bassa des flottes du Grand Turc »

Une nouvelle donne. - Grâce aux notices découvertes récemment dans des journaux hollandais de l'époque par Gérard van Krieken, nous pouvons maintenant résoudre le problème. L'article qu'il vient de publier dans le premier numéro de cette revue sous le titre : « 1687 : l'année où les corsaires algériens firent leur apparition en mer du Nord »[19] permet de conclure que, selon toute vraisemblance,

Andreas Matthäus Wolfgang, cf. Ruhe : *Porträt*, p. 54-59. Dans la légende de la gravure le dey est présenté comme suit : « Contrefay deß Mezomorto gewesten *Day* in Algier, iezund Capitan Bassa der Flotten deß Gross Türcken. » [« Portrait de Mezomorto, qui était dey à Alger, maintenant capitan bassa des flottes du Grand Turc »].

[19] *Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies*, 1 (1), 2021, p. 131-

les frères n'ont été capturés sur leur navire hollandais qu'en juin 1687.

Le journal de Haarlem, le *Oprechte Haarlemsche Courant* du 10 juin, rapporte depuis Rotterdam sous la date du 8 juin que des navires corsaires ont été vus au large de l'embouchure de la Meuse et ajoute en postscriptum la dernière nouvelle qui venait d'arriver :

> P. S. Le bateau de Jan Willemsen qui assurait la liaison avec Londres a été pris avec divers autres navires venant de la Tamise[20].

Sur la même page suit cette précision reçue le lendemain :

> Amsterdam, 9 juin : Nous recevons de Rotterdam la très triste nouvelle que le bateau du capitaine Jan Willemsen, homme libre du roi d'Angleterre, qui assurait la liaison avec Londres, a été pris par les corsaires d'Alger, avec 70 à 80 passagers, dont un certain nombre de réfugiés français […][21].

Deux jours plus tard, dans l'édition du 12 juin 1687, le même journal précise, après avoir évoqué d'autres bateaux pris par les corsaires (« Les Turcs viennent ici pour piller les côtes, ce dont on a déjà quelques exemples ») :

> Rotterdam le 9 juin. En ce qui concerne les bateaux des brigands turcs qui s'abstiennent d'entrer dans la Meuse, etc. on commence aujourd'hui à en comprendre les particularités. Dans le bateau de Jan Willemsen, qui assurait la liaison avec Londres et qui a été pris par eux, étaient plusieurs citoyens de la ville, des femmes et des enfants aussi, et beaucoup de réfugiés français, en tout environ 80

---

163. Pour la première version de cette publication cf. l'article du même auteur : « 1687 : Algerijnse kapers op de Noordzee », dans *Schipshistorie* 28 (2020), p. 42-51. Nous remercions vivement Gérard van Krieken pour l'aide qu'il nous a apportée dans notre recherche des sources auxquelles il a fait référence dans sa publication. - Après leurs raids au large des côtes hollandaises durant l'été 1687, les corsaires algériens inquiétèrent également les côtes allemandes, danoises et norvégiennes, cf. à ce sujet la publication de **BJØRNEBOE (Lars)** : « Raeve i hønsegarden … eller historien om nogle algeriske sørøvere i nordsøen i 1687 » [Des renards dans le poulailler … ou l'histoire de quelques pirates algériens dans la mer du Nord], *Siden Saxo*, 32 (3), 2015, p. 27-37.

[20]« P. S. Jan Willemsz, Beurtman op Londen, is, nevens diversse andere Schepen, komende van de Teems, genomen. »

[21]*Oprecht*e *Haarlemsche Courant* [*Journal sincère de Haarlem*] du 12 juin 1687 : « Amsterdam den 9 Juny: Van Rotterdam heeft men seer droevige tyding, dat door d'Algiersse Rovers genomen is de Beurtman van Londen, Schipper Jan Willemsz, Vry-man van den Coning van Engelant, met 70 a 80 Passagiers, daer onder eenige Fransse Vluchtelingen; […]. »

> passagers […][22].

Cinq jours plus tard, le journal rapporte d'Amsterdam que le bateau vidé et abandonné par les corsaires, a été trouvé par des pêcheurs, flottant au gré des vagues, et ramené à la ville :

> Le bateau de ligne de Jan Willemsen a été trouvé flottant dans la mer par des pêcheurs et a été ramené ici en ville. En plus de quelques chevaux on y a trouvé quelques parties de bagages découpés, avec des objets sans valeur, et des voiles[23].

Les corsaires n'avaient laissé sur le bateau que ce qui ne les intéressait pas[24].

Les jeunes Allemands auraient-ils été sur ce navire ? Dans sa notice très succincte, le journal n'a pas de place pour faire de détail,

---

[22]*Oprecht*e *Haarlemsche Courant* du 12 juin 1687 : « Rotterdam den 9 Juny: De Turcken komen hier op de Kusten roven, waer van al eenige Exempelen zijn. […] Rotterdam den 9 Juny. Van de Turckse Roof-schepen, die haer voor de Maes, &c. onthouden, begint men heden eerst de particulariteyten te verstaen; In't Schip van de Beurtman Jan Willemsz, die door haer genomen is, waren verscheyde Burgers van dese Stad, oock Vrouwen en Kinderen en veele Fransse Vluchtelingen, in alles in de 80 Passagiers:[…]. »

[23]*Oprecht*e *Haarlemsche Courant* du 17 juin 1687 : « Amsterdam den 16. Juny. […] 't Beurt-Schip van Jan Willemsz is door de Visschers in Zee drijvende gevonden en hier voor dese Stadt gebracht : noch eenige Paerden met sommige Stucken gesneden Packen met grove Waren en Zeylen zijn in't selve gevonden.» - La mention des chevaux laissés par les corsaires sur le navire hollandais rend moins invraisemblable l'anecdote ajoutée dans la deuxième édition (Ruhe : *Porträt*, p. 189), qui semble de prime abord miraculeuse : les frères, rentrant chez eux après leur rachat, auraient retrouvé à Livourne le dogue anglais qu'ils avaient acheté en Angleterre et qui les aurait accueillis avec joie. L'information selon laquelle le bateau abandonné par les corsaires a été retrouvé par des pêcheurs hollandais rend plus concevable qu'en plus des chevaux, le dogue anglais (non mentionné dans la notice du journal) ait été sauvé et revendu. La date du début de la captivité - 1687 au lieu de 1684 – nous oriente vers le même sens : les frères auraient acquis l'animal à Londres en juin 1687 et l'auraient retrouvé en Italie un an après.

[24]Le navire de Willemsen sur lequel les frères ont très vraisemblablement voyagé n'était pas armé (cf. Van Krieken : *1687*, p. 144). Ce fait permet de trancher entre les deux versions de l'attaque des corsaires présentées par le texte de Gustav et par un ajout de la seconde édition venant de la famille de l'oncle. Selon le premier dont la version s'avère être la bonne, il n'y a pas eu de combat, le bateau avec lequel revenaient les deux frères d'Angleterre étant « sans canons et sans soldats » (« weder mit Stücken versehen noch mit Soldaten », Ruhe : *Porträt*, p. 172). Selon l'autre version il y aurait eu combat, mais qui n'aurait pas duré longtemps, l'armement ayant été trop faible *(ibid*., p. 173).

il ne s'intéresse qu'aux groupes qui se laissent différencier parmi les « environ 80 passagers » (« plusieurs citoyens de la ville [Rotterdam], aussi des femmes et des enfants et beaucoup de réfugiés français »)[25], mais nous allons voir que tout parle en faveur de la présence des frères Wolfgang sur ce bateau.

Il y a d'abord les gravures d'Andreas Matthäus Wolfgang comme documents de témoignage. Elles n'indiquent pas seulement dans presque tous les cas que le dessin a été fait sur place à Alger,[26] mais précisent pour un certain nombre d'entre elles aussi la date à laquelle le dessin a été fait dans cette ville :

> And. Matth. Wolffgang del[ineavit] in Algier 1687[27].

Dans le contexte du récit du fils, Gustav, selon lequel les frères seraient tombés en captivité en 1684, on devait se dire que c'est donc vers la fin de la captivité que ces œuvres d'art ont été préparées. Mais, étant donné ce que nous pouvons déduire des faits historiques nous devons comprendre maintenant que ces dessins ont été exécutés peu après l'arrivée des Wolfgang à la cour du dey en 1687.

La date du retour à Augsbourg est également implicitement indiquée sur la gravure du plan d'Alger : elle a été exécutée dans l'atelier paternel en 1688 (« excudit 1688 »). C'est la première des gravures qui a été lancée sur le marché. Les autres n'ont suivi qu'en 1701, année inscrite en bas des six gravures dont les dessins avaient été faits en 1687 à Alger.

Si les frères avaient accompagné la série de gravures d'un récit de captivité selon la tradition, tout aurait été correctement daté. Quatre-vingt ans plus tard, lorsque le fils Gustav rédige son texte, le cadre chronologique s'est réduit à la seule date clé du départ de la maison paternelle pour Amsterdam.

---

[25]En ce qui concerne les Anglais parmi les passagers cf. le récit de Gustav, Ruhe : *Porträt*, p. 174 et 175.

[26]Cf. la liste des gravures dans notre édition Ruhe : *Porträt*, p. 211-217 : l'indication que le dessin avait été fait à Alger manque seulement sur le plan de la ville d'Alger (cf. p. 211) et sur la gravure qui représente Andreas Matthäus comme « esclave du roi d'Alger » (cf. p. 213 et aussi la reproduction de la gravure à la fin de cet article).

[27]Il s'agit des gravures II 13 à II 18, cf. Ruhe : *Porträt*, p. 216-217.

Les trois temps de la mémoire. - Témoignage sous forme de gravures au retour d'Alger - puis beaucoup plus tard, la rédaction du rapport par un fils pour le cercle d'amis, qui s'enrichit de souvenirs familiaux dans une deuxième édition -, enfin, une longue histoire de la réception du texte : avec ces trois étapes se présente la mémoire dans le cas des frères Wolfgang sous la forme triadique telle qu'elle a été élaborée par Paul Ricœur dans son histoire et théorie de la « mémoire » pour dépasser la polarité entre mémoire individuelle et collective. Ce serait la mémoire des proches, de « ces gens qui comptent pour nous et pour qui nous comptons », qui servirait de médiateur entre les deux, correspondant à l'amitié tant louée dans l'Antiquité, qui tiendrait le milieu entre l'individu et son ancrage dans la société[28].

Cette notion convient parfaitement à la forme spécifique représentée par le petit livre sur les Wolfgang. Gustav écrit pour « conserver parmi nos amis » les souvenirs de son père[29]. C'est l'amitié qui devient la motivation décisive pour la rédaction de l'histoire des captifs Wolfgang, en ce qu'elle exige la fixation narrative de l'expérience. Publié sous forme d'un petit livre ce récit entrera dans la mémoire collective et donnera de nouvelles impulsions à la remémoration, bien au-delà des documents d'art autobiographiques.

Contre-épreuve. – Le hasard a fait que la prise du bateau de Jan Willemsen a provoqué aussi un autre récit[30]. En tant que témoignage d'un captif il nous permet de vérifier nos conclusions concernant la mémoire spécifique représentée par le texte du vieux fils d'Andreas Matthäus Wolfgang.

En effet, dans le groupe de huguenots français, réfugiés en Angleterre après la révocation de l'édit de Nantes en 1685 et revenant de Londres sur le navire de Willemsen se trouvait le

[28]Ricœur : *La mémoire*, Première partie, Chapitre 3, III : « Trois sujets d'attribution du souvenir : moi, les collectifs, les proches », p. 152-163, en particulier p. 161 et 162.

[29]« Il s'agit pour nous de conserver dans notre amitié le souvenir d'un événement rare parmi les gens de notre profession et de notre mode de vie. […] » (« das Angedenken eines bey Leuten unseres Standes und Lebensart seltenen Falles in unserer Freundschaft aufzubewahren »), Ruhe : *Porträt*, p. 169.

[30]C'est Gérard van Krieken : *1687*, p. 157, qui a attiré l'attention sur ce récit.

ministre protestant Isaac Brassard (1620-1702). Racheté en 1688, c'est vers la fin de sa vie qu'il rédige le récit de sa captivité pour ses enfants[31]. Il a donc pratiquement le même âge que Gustav Wolfgang lorsqu'il se met à écrire.

Le contraste entre les deux textes saute aux yeux dès la première phrase :

> Le 6 juin 1687 je me mis avec un grand nombre de réfugiés dans le vaisseau du s[r] Willanson de Roterdam pour passer d'Angleterre en Hollande. Comme nous fumes près de la Brille [Brielle] et que nous voyons la terre de Zélande, les corsaires d'Alger, commandés par le Bouffon, renégat d'Amsterdam, arrivèrent là subitement avec trois vaisseaux et nous prirent. […] Au bout de 40 jours nous arrivâmes à Alger […][32].

Des identifications précises, des dates exactes du début jusqu'à la fin (après son rachat Brassard débarque à Livourne « le jour de Noël » de 1688)[33], des données concrètes sur les moments les plus critiques de sa captivité qui sont rapportés avec force détails jusque dans les dialogues : le vicaire apostolique d'Alger, Michel Montmasson[34], fait intensément pression sur Brassard pour qu'il revienne à « la religion romaine » avec tous les autres protestants faits captifs avec lui[35]. Brassard reste intraitable et sera récompensé : en juillet 1688, lors du bombardement d'Alger par la flotte française commandée par D'Estrées il échappe de justesse

---

[31]« Relation de la captivité de M. Brassard à Alger (1687-1688) », ed. **France (H. de)**, dans *Bulletin historique et littéraire* (*Société de l'Histoire du Protestantisme Français*), 27, 1878, p. 349-355. – Pour les informations biographiques concernant le pasteur Brassard cf. **MOURS (Samuel)**: « Les pasteurs à la révocation de l'édit de Nantes », *Bulletin de la Société de l'Histoire du Protestantisme Français*, 114, 1968, p. 292-316, ici p. 293.

[32]Pour le rôle du corsaire Bouffon Rais dans la prise du bateau de Willemsen cf. Van Krieken : *1687*, p. 144.

[33]*Relation*, p. 355. - Van Krieken : *1687*, p. 158 cite la même date de Noël 1688 aussi pour le retour des frères Wolfgang dans leur ville natale. Elle ne figure pas dans le récit dont la première édition n'indique même pas l'année du retour (Ruhe : *Porträt*, p. 188) ; cette date n'est indiquée que dans la deuxième édition, où elle n'est pas précisée davantage : les frères seraient revenus « en 1688 » (« im Jahr 1688 », p. 189).

[34]Sur le père Michel Montmasson, depuis sa nomination au vicariat apostolique, le 8 janvier 1685 jusqu'à sa mort, le 5 juillet 1688, cf. **BOMBARD (F.)** : « Les vicaires apostoliques de Tunis et d'Alger », *Revue tunisienne*, II, 1895, p. 73.

[35]*Relation*, p. 351.

avec ses coreligionnaires au « grand et horrible péril » d'être attaché « à la bouche des canons […] qu'on tiroit contre le milieu du corps »[36]. Le 4 juillet on l'avait fait amener avec d'autres réfugiés pour subir le supplice avec lequel le dey entendait se venger de l'agression, mais en tant que luthériens qui avaient dû s'enfuir de France ils étaient finalement épargnés, le dey concentrant sa vengeance sur les sujets français. Parmi ces victimes catholiques le vicaire apostolique recevra un traitement particulièrement cruel, comme le note Brassard en détail : il sera mutilé et torturé avant d'être tué[37].

Témoignage versus mémoire des proches. – Le point de départ différent des deux écritures décide de ce qui sera transmis aux lecteurs. A la place de la précision caractéristique avec laquelle le captif peut présenter un rapport dense de ce qu'il a vécu, le récit basé sur la mémoire « des proches » offre une trame trouée, fruit de la lente mais inéluctable progression de l'oubli. L'éloignement du passé a diminué la connaissance des faits historiques. 1684 au lieu de 1687 – pourquoi pas puisque quatre années de captivité au lieu d'une seule correspondent bien au sort cruel connu d'autres récits de captifs ? C'est l'expérience extraordinaire de l'esclavage à Alger par des membres de la famille qui ne cessait pas d'émouvoir.

Le rétrécissement des souvenirs qui se manifeste dans un texte comme celui de Gustav Wolfgang ne peut être compensé - et corrigé le cas échéant - que par d'autres documents. Nous devons la découverte d'une telle source à Gérard van Krieken. Les notices des journaux hollandais sur lesquelles il vient d'attirer l'attention ne citent pas explicitement les frères Wolfgang parmi les passagers du navire de Jan Willemsen, mais elles rendent possible de répondre à

[36] *Relation*, p. 353.

[37] *Relation*, p. 354 : « [Le Bacha] fit mourir les esclaves François, du nombre desquels était le père vicaire à qui on coupa les oreilles et nés et à qui de plus le peuple donna plusieurs coups de couteaux. » - Nous ne connaissons pas la date exacte à laquelle les frères Wolfgang ont quitté Alger, mais ils ont dû le faire avant le bombardement de la ville en juillet 1688. Il n'y a pas la moindre allusion à un événement d'une telle importance dans le récit du fils Gustav ni dans les ajouts à la seconde édition venant d'autres membres de la famille. La gravure du plan de la ville a été exécutée à Augsbourg en 1688 ; elle présente une ville encore complètement intacte ; cf. aussi Ruhe : *Porträt*, p. 144-146.

la réduction de la mémoire des proches – et à l'erreur qui en résulte – par la déduction. Elle permet de conclure que, selon toute vraisemblance, c'est en 1687 que les frères Wolfgang ont été faits captifs.

Si l'on relit le récit du fils Gustav sous cet aspect, on constate à quel point la date correcte a été manquée de peu. La date de 1684 est bien la bonne, mais seulement comme date de départ des frères d'Augsbourg pour Amsterdam. De là, ils ne sont pas partis « au bout de quelques mois » pour Londres, comme le veut le récit, mais au bout de beaucoup de mois, au bout de trois ans plus exactement, alors que la fin de leur séjour en Hollande approchait et qu'ils étaient trop tentés par la perspective d'une visite chez un parent à Londres pour ne pas risquer le voyage en mer ; le père n'en saurait rien. Le malheur les attendait sur le chemin du retour vers Rotterdam. Celui-ci s'est transformé en un long et dangereux détour par le redoutable pays des corsaires, qui, grâce à l'argent de leur père, les ont laissés partir assez rapidement et avec des souvenirs qui trahissent leur soulagement.

Les gravures sur cuivre d'Andreas Matthäus en sont la parfaite transposition. Son autoportrait est exemplaire à cet égard[38].

[38]Dans la légende de la gravure il se présente comme suit : « Wie ich deß Königs von *Allgier Slcav* [Sclav] gewesen und ihme mit *Chocolat Caffe* habe aufwarten müssen mich selbsten gezeichnet Andreas Matthäus Wolffgang. » München, Bayerische Staatsbibliothek, Chalc 116, fol. 41, et Augsburg, Stadt- und Staatsbibliothek Augsburg, 2 Aug 280.

« Comment j'ai été l'esclave du roi d'Alger
et comment j'ai dû lui servir le café et le chocolat.
Dessiné par moi-même Andreas Matthäus Wolffgang. »

Liste des références bibliographiques

-BJØRNEBOE (Lars) : « Raeve i hønsegarden … eller historien om nogle algeriske sørøvere i nordsøen i 1687 », *Siden Saxo* 32 (3), 2015, 27-37.

-BOMBARD (F.) : « Les vicaires apostoliques de Tunis et d'Alger », *Revue tunisienne*, I, 1894, 387-391, 395-396, 495-498 ; II, 1895, 73-76, 259-262, 429-432, 581-586.

-ESQUER (Gabriel) : *Iconographie historique de l'Algérie depuis le XVI^e^ siècle jusqu'à 1871*, Paris, Librairie Plon, 1929, 3 vol. (*1830-1930 : Collection du Centenaire de l'Algérie*).

-FRANCE (Henri de) : « Relation de la captivité de M. Brassard à Algers (1687-1688) », *Bulletin historique et littéraire* (*Société de l'Histoire du Protestantisme Français*), 27, 1878, 349-355.

-MOURS (**Samuel**): « Les pasteurs à la révocation de l'édit de Nantes », *Bulletin de la Société de l'Histoire du Protestantisme Français*, 114, 1968, 292-316.

-RICŒUR (Paul): *La mémoire, l'histoire, l'oubli*, Paris, Editions du Seuil, 2000.

-RUHE (Ernstpeter) : *Porträt des Künstlers als Sklave. Zwei Augsburger Kupferstecher als Gefangene in Algier (1684-1688)*, Würzburg, Königshausen & Neumann, 2017.

-RUHE (Ernstpeter) : *« Aus Barbareyen erlösett ». Die deutschsprachigen Gefangenenberichte aus dem Maghreb (XVI.-XIX. Jh.) und ihre Rezeption*, Würzburg, Königshausen & Neumann, 2020.

-VAN KRIEKEN (Gérard) : *Corsaires & marchands. Les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604-1830*, Paris, Editions Bouchène, 2002.

-VAN KRIEKEN (Gérard) : « 1687 : Algerijnse kapers op de Noordzee », *Schipshistorie*, 28, 2020, 42-51.

-VAN KRIEKEN (Gérard) : « 1687 : l'année où les corsaires algériens firent leur apparition en mer du Nord », *Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies*, 1 (1), 2021, 131-163.

-WAGNER-EGELHAAF (Martina): *Autobiographie*, Stuttgart-Weimar, Metzler, [2]2005.

Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies
Vol. 2 Issue 1 June 2022 pp. 128-171
Issn: 2800-1184
Received: 11/05/2022 Accepted: 18/05/2022 Published: 30/06/2022

La Sublime Porte, les puissances européennes et le problème de la course maritime de la Régence d'Alger aux 18e-19e siècles

The Sublime Porte, The European Powers and the Problem of Maritime Privateering of the Regency of Algiers in the 18th-19th Centuries

Benafri Chakib♦
Université Alger 2 Abou el Kacem Saâdallah, Bouzareah
e-mail : chaki.benafri@yahoo.fr

ملخص :

إشكالية النشاط البحري لإيالة الجزائر بين الدول الاوربية و الباب العالي في القرنين 18 و 19

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية، الوقوف على المراحل الكبرى للنظام السياسي للجزائر في الفترة العثمانية و ربط ذلك بطبيعة العلاقات بين الدولة العثمانية و إيالة الجزائر و تطورها خلال فترة الدايات (1671-1830). كما يسعى لتحليل تداعيات النشاط البحري لإيالة الجزائر في القرنين 18-19م بالبحر المتوسط و تأثيره على العلاقات الدبلوماسية بين الدول الاوربية و الدولة العثمانية التي دخلت مرحلة الضعف و التقهقر منذ القرن 18. نحاول الوقوف عند المجال الجغرافي للنشاط البحري لإيالة الجزائر و نتائجه و كيف و لماذا أصبح يشكل أزمة دبلوماسية بين الباب العالي و دولة الجزائر في تلك الفترة. نحاول كذلك توضيح قضية استقلالية القرار للجزائر على المستوى الدولي و تأثيره على وضعية الدولة العثمانية في علاقاتها مع الدول الاوربية التي أصبحت تقوض حدود الفضاء العثماني لاقتسام تركة "الرجل المريض" على المستوى الاوربي و البحر المتوسط و تحاول بسط و فرض وجهة نظرها الجديدة في ميدان تنظيم العلاقات الدولية على مستوى العالم الإسلامي العثماني.

♦**Corresponding Author**

الكلمات المفتاحية :

إيالة الجزائر؛ القرصنة؛ الدبلوماسية العثمانية؛ العلاقات الدولية؛ الأرشيف العثماني.

Abstract:

This research proposes to examine the major milestones of the political system of the Regency of Algiers, highlighting the relations maintained between this Regency and the Sublime Porte during the period of the Deys (1671-1830). Furthermore, we aim to analyze the impact of the maritime activities of the Regency of Algiers in the Mediterranean during the 18th and 19th centuries on diplomatic relations between the European powers and the Sublime Porte, which were from the 18th century in a period of decadence. Our research also attempts to trace the boundaries of the geographical space of the Algerian privateering and its consequences and to explain how it became a real diplomatic crisis between this Regency and the Metropolis. We will study the issue of the Independence of the Regency of Algiers on the aspect of external relations and its impact on the position of the Sublime Porte concerning these relations with the Western powers that had begun to shake the borders of the Ottoman space to share the heritage of "The Sick Man" at the level of the European Continent and the Mediterranean to impose a new world order and a new vision on the organization of international relations to the whole Ottoman Islamic world.

Keywords:

Regency of Algiers; Corsairs; Ottoman diplomacy; Ottoman archives; International Relations.

Introduction

Lorsque nous abordons l'histoire des relations entre la Régence d'Alger et la Sublime Porte durant le 18e siècle, Alger avait déjà connu différents systèmes politiques. A partir du dernier système politique, celui des Deys (1671-1830), la Régence d'Alger jouissait déjà d'une stabilité assez notable, de la maturité de son régime politique et d'une présence soutenue sur la scène internationale. En effet, par sa position de périphérie dans la

géographie des domaines de la Sublime Porte en Méditerranée et depuis sa fondation par les frères Barberousse au 16e siècle, Alger avait lié son destin à cet espace maritime. En d'autres termes, une cité portuaire exceptionnelle qui vivait de cette mer, qui lui a permis d'avoir une omniprésence dans le bassin occidental de la Méditerranée à l'époque moderne, grâce à ses activités qui constituaient une des manifestations importantes du pouvoir dans cette Régence. En effet, la course est devenue un instrument prépondérant de la politique étrangère algérienne et une source notable pour les recettes financières de l'Etat. Cependant, il faut noter que la composition matérielle et humaine de la marine d'Alger au 18e siècle ne ressemble guère à sa configuration et sa dimension existantes lors de l'âge d'or des 16e-17e siècles.

La position de la Régence d'Alger comme celle des autres Régences maghrébines (Tunis et la Tripolitaine) dans la politique géostratégique ottomane du 18e siècle n'a rien de commun avec celle de la Sublime Porte au 16e siècle. Non seulement, nous ne sommes plus sur la scène des grandes batailles et confrontations navales du 16e siècle entre l'Empire Habsbourg et l'Empire Ottoman, pour la domination de l'espace méditerranéen, mais les Régences maghrébines ont également atteint une large autonomie vis-à-vis de la métropole dans la conduite des relations extérieures. Plus encore, le djihad maritime qui était plus offensif et à grande échelle au 16e siècle, s'est plutôt converti en djihad défensif durant les 18e et 19e siècles, et ce pour l'ensemble des Régences maghrébines. Certes, Alger a bien gardé jalousement sa réputation de bastion du djihad maritime depuis sa victoire éclatante contre l'Armada de Charles Quint en 1541[1], une appellation qu'Alger

[1]Sur cette expédition et son impact sur l'histoire de la ville d'Alger au 16e siècle, nous pouvons consulter les ouvrages suivants : **CHEVALLIER (Corinne)** : *Les trente premières années de l'Etat d'Alger 1510-1541*, Alger, OPU, 1986, pp. 86-95; **GAID (Mouloud)** : *L'Algérie sous les Turcs*, Alger, Ed. Mimouni, 2e ed., 1991, pp. 57-62; **MEROUCHE (Lemnouar)** : *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. II- La course, mythes et réalité*, EDIF, 2007, pp. 70-72; **ROUSSEAU (Alphonse)** : *Chroniques de la Régence d'Alger, traduites d'un manuscrit arabe intitulé El-Zohrat-el-Nayerat*, Alger, Imprimerie du gouvernement, 1841, p. 214; **NORDMAN (Daniel)** : *Tempête sur Alger: l'expédition de Charles Quint en 1541*, Editions Bouchene, 2011, p. 702.

بلحميسي (مولاي) : «غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (948هـ/1541م) بين المصادر

gardera comme épithète dans sa correspondance diplomatique avec la Sublime Porte et les puissances occidentales. En effet, une lecture panoramique de l'histoire de la Régence d'Alger aux 18e-19e siècles, nous a permis de constater clairement comment la ville d'Alger devait faire face aux expéditions navales et au bombardement des différentes puissances européennes ; ceux des Français en 1682, 1683 et 1688, ceux des Danois en 1769-1772, ou ceux des Espagnols durant les années 1775 et 1783-1784, et encore plus le dernier bombardement de cette cité portuaire par la flotte hollando-britannique conduite par Lord Exmouth en 1816.

Aborder ici le thème des activités maritimes de la Régence d'Alger au 18e siècle et leur impact sur les relations diplomatiques avec la Sublime Porte et les puissances occidentales, à la fois, nous mène à poser plusieurs questions. Premièrement, quel était le statut juridique et politique d'Alger ou des autres Régences maghrébines dans l'espace de l'Empire ottoman ? Deuxièmement, quelle était la perception de la diplomatie et du droit international par la Régence d'Alger comme par la Sublime Porte ? Aussi, il s'agit de s'interroger sur la place qu'occupait Alger dans la politique méditerranéenne ottomane du 18e siècle. Enfin, comment la Sublime Porte pouvait-elle continuer d'exercer son autorité sur les lointaines Régences maghrébines dans le cas où sa médiation était sollicitée dans les conflits que les puissances européennes avaient avec Alger ?

1. Le Statut de la Régence d'Alger dans le cadre juridique du système ottoman

Le professeur émérite, Robert Mantran, a déjà analysé la problématique du statut politique des Régences maghrébines et son évolution dans le contexte ottoman[2]. De même que le chercheur Tal Shuval a consacré deux récentes recherches de synthèse sur le système politique et idéologique de l'élite turque d'Alger, en

---

الإسلامية و المصادر الغربية»، *مجلة الأصالة*، 8، جوان 1972، ص ص 91-112.

[2]**MANTRAN (Robert)** : «Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire Ottoman», in *L'Empire Ottoman du XVIe au XVIIIe siècle*, London, Variorum, 1984, pp. 3-14 ; *Idem* : «L'évolution des relations politiques entre le gouvernement ottoman et les Odjaks de l'Ouest du XVIe au XIXe siècle», *Tarih Araştırmaları Dergisi*, 1964, Cilt 2, Sayı 2, pp. 52-63.

apportant de nouvelles réflexions sur cette thématique[3]. Il est évident que l'analyse de ce thème nous incite à faire de la recherche sur les fondements canoniques du système ottoman vis-à-vis des différentes provinces euro asiatiques et celles du monde arabo-musulman, à la fois. Pour la lointaine périphérie maghrébine et son intégration dans l'orbite ottomane, il faut, à mon avis, remonter à l'époque de la genèse de ces Régences et à la manière dont elles ont été intégrées sous le toit de l'Empire. D'emblée, ce qui nous interpelle c'est que la Sublime Porte a maintenu la même configuration existante de découpage géographique et politique pré-ottomane dans la région. En effet, sur les territoires des trois dynasties locales, les Mérinides, les Ziyanides et les Hafsides, sont apparus les nouveaux Etats du Maghreb moderne.

Postérieurement, même après la formation des trois Régences maghrébines sous le même toit de la Sublime Porte, les Ottomans n'ont pas opté pour le rétablissement de l'unité politique de cette région, connue jadis, durant la période des grandes dynasties locales, les Almoravides et les Almohades, au Moyen Age. Autre facteur important à prendre en considération lors de l'analyse du statut d'Alger et de ses relations avec la métropole, c'est le mode de son intégration sous l'autorité du sultan ottoman. En effet, contrairement à toutes les autres provinces arabes (dont on excepte le Maroc et le Yémen) qui ont été soumises à la domination ottomane comme suite à une expédition militaire, Alger a été intégré dans les domaines de l'Empire ottoman en 1519 par la volonté propre de sa population, et comme un aboutissement des activités corsaires indépendantes des frères Barberousse dans la région. Aussi, depuis l'époque de Hayreddine Pacha qui est devenu le premier gouverneur (Beylerbey) de cette Régence en 1533, Alger faisait déjà partie des quinze provinces arabes « Beylerbeylik » à l'époque du sultan Mourad III (1574-1595)[4]. En plus, elle était mise

[3]**SHUVAL (Tal)** : «The Ottoman Algerian Elite and Its Ideology», *International Journal of Middle East Studies*, vol. 32, n° 3, aug. 2000, pp. 323-344; *Idem* : «Remettre l'Algérie à l'heure ottomane : questions d'historiographie», *Revue des Mondes musulmans et de la Méditerranée*, 95-98, 2002, pp. 423-448.

[4]**İNALCIK (Halil)** : «Eyalet, Osmanlı taşra teşkilatında bir beylerbeyinin idaresi altında bulunan en büyük idarî birimi», in *TDV Islam Ansiklopedisi*, cilt 11, 1995, pp. 548-550 ; **GÖYÜNÇ (Nejat)** : «Osmanlı devletinde taşra teşkilatı (Tanzimat'a kadar)», in Osmanlı Ansiklopedisi, cilt VI, 1999, pp. 101-102 ;

sous l'autorité directe du Kapudan Pacha, ou Amiral de la flotte ottomane, ce qui était dû à la nature et à l'importance de ses activités maritimes en Méditerranée, depuis sa fondation. Le patronyme de « Cezayir Garp Beylerbeyi/gouverneur d'Alger du ponant », a été maintenu dans la correspondance diplomatique entre Istanbul et la Régence d'Alger jusqu'à la veille de la colonisation française en 1830. D'après le cadre juridique accordé par le sultan, l'institution timariale ne s'appliquait pas à la Régence d'Alger ni aux autres Régences maghrébines. Donc, la Régence faisait partie de la catégorie des « Eyaleti Mümtaze ve Eyaleti Mahruse/provinces privilégiées et bien gardées » du Sultan ottoman. Néanmoins, quelques recherches sur ce sujet, font figurer la Régence d'Alger parmi « les provinces Selyâneli » telles que l'Egypte, Bagdad, Bassora, et les autres Régences maghrébines. Ces provinces avaient le droit de lever les impôts au nom du sultan sur l'ensemble du territoire, afin d'assurer la paie de la milice et des agents de l'administration locale, alors que le surplus de ces recettes publiques étaient envoyées à la métropole[5]. Nous savons d'emblée que la Sublime Porte avait opté dès la fin du système politique des Beylerbeys en 1587, pour le nouveau système administratif et politique des pachas triennaux (1586-1659), afin de rattacher ces provinces périphériques nord-africaines au pouvoir central d'Istanbul comme suite à la lutte et aux troubles engendrés entre la milice et la corporation des raïs corsaires pour le pouvoir. Alger en tant que territoire vassal privilégié du sultan, devait fournir aide logistique et assistance à la demande de la métropole lors des conflits navals et s'aligner sur les directives de la diplomatie de l'Empire ottoman avec les puissances européennes[6]. En

---

TOPRAK (Seydi Vakkas) : «Osmanlı yönetiminde Kuzey Afrika : Garp Ocakları», in *Türkiye Mecmuası*, cilt 22, 2012, pp. 227-228.

[5]**INALCIK (Halil)** : *Art. cit.*, p. 549. Pour plus d'informations sur le sujet, voir **KILIÇ (Orhan)** : *18. yüzyılın ilk yarısında Osmanlı Devleti'nin idarî taksimatı : Eyalet ve sancak tevcihatı*, Elazığ : Şark Pazarlama, 1997; **EKİNCİ (Ekrem Buğra)** : «Osmanlı idaresinde Adem-i Merkeziyet ve Imtiyazli Eyâletler», *Türk Hukuk Tarihi Araştırmaları*, sayı 6, 2008, pp. 30-31.

[6]**MARTYKANOVA (D.)** : «Espagne», in *Dictionnaire de l'Empire Ottoman*, Paris, Ed. Fayard, 2015, p. 418-419; **KUZUCU (Serhat)** : «XVIII. Yüzyılda uluslararası bir sorun olarak Garp Ocakları'nın Akdeniz'deki Korsanlık faaliyetleri», *Gazi Akademik Bakış*, cilt 9, sayı 17, 2015, pp. 172-173.

contrepartie, la Régence d'Alger avait obtenu certains privilèges, tel que de recruter des soldats volontaires en Anatolie et en Mer Egée, l'ouverture d'un Han avec un représentant permanent ou Wakil, sorte de consulat, connu depuis le 17e siècle sous le nom de *Cezayir Hanı* à Izmir ; chargé d'assurer les opérations de recrutements des soldats volontaires et leur envoi vers Alger et apporter aide et assistance aux commerçants et navires battant pavillon de la Régence d'Alger la bien gardée[7]. Ce statut lui conférait également des privilèges sur les taxes douanières appliquées dans les différentes échelles du Levant et lui permettait même de recevoir gracieusement, de temps à autre, des unités navales et du matériel de guerre de la part de l'Arsenal central d'Istanbul[8].

Il est vrai que la Régence d'Alger, depuis sa fondation, est restée fidèle à l'appartenance aux domaines de l'Empire ottoman. Le serment ou la *khutba* dans les mosquées se faisait au nom du sultan ottoman et la monnaie a été frappée de son nom de façon permanente aussi. Même le Dey, après avoir été élu localement par le Divan et la milice, devait solliciter et attendre le firman d'investiture de pacha envoyé par la métropole, afin de confirmer dans une cérémonie protocolaire et solennelle, sa nomination à la plus haute fonction de l'Etat[9]. Plus encore, nous constatons que

---

حماش (خليفة إبراهيم) : *العلاقات بين الباب العالي و الجزائر (1798-1830)*، رسالة ماجيستر، جامعة الإسكندرية، 1988، ص ص 201-212؛ **صغيري (سفيان)** : *العلاقات الجزائرية-العثمانية خلال عهد الدايات 1671-1830*، رسالة ماجيستر، جامعة باتنة، 2012، ص ص 110-117.

[7]**SHUVAL (Tal)** : «Remettre l'Algérie…», *Op. cit.* ; **COLOMBE (Marcel)** : «Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjaq d'Alger », *Revue Africaine*, LXXXVII, 1943, p. 180.

[8]**BELHAMISSI (Moulay)** : *Marine et marins d'Alger (1518-1830)*, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1996, Tome 1, pp. 79-81 ; Archives ottomanes d'Istanbul, Doc. Tat 1267/49036-b, Matériels de guerre offerts par la Sublime Porte à la Régence d'Alger en 1234H/1819 ; Archives ottomanes d'Istanbul, Doc. C-BH-188-88-31, Envoi d'un galion et de matériels de navigation à la Régence d'Alger (1189H/1775) ; **ASLAN (Seyfullah)** : *Akdeniz'de Cezayir Korsanlığı (1770-1830)*, Yüksek Lisans, Istanbul Universitesi Sosyal bilimler Enstitüsü, 2012, pp. 17-19.

[9]**MANTRAN (Robert)** : «L'évolution…», *Art. cit.*, pp. 56-57.

المدني (أحمد توفيق) : *مذكرات أحمد الشريف الزهار (1754-1830)*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، 1974، ص ص 23-24؛ المكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط دفتر التشريفات في

même dans la correspondance diplomatique entre le Dey d'Alger et les souverains étrangers, le protocole consistant à citer le nom du sultan ottoman régnant avant le nom du Dey en fonction, a été respecté et maintenu dans l'usage diplomatique de la Régence durant toute la période ottomane. Donc, même si Alger au 18e siècle jouissait déjà du statut de province semi-autonome, ces rituels de rattachement symbolique au sultan ottoman ont été respectés par les autorités de cette province ottomane maghrébine.

La première et la plus importante crise diplomatique entre Alger et Istanbul remonte à l'époque du Dey Ali çavuş (1710-1718), lorsqu'il décida, avec le consentement du Divan et de la milice, de ne plus admettre l'envoyé du sultan avec le titre de pacha d'Alger. En effet, le système des pachas triennaux (1586-1659) n'a pas apporté la stabilité politique à la Régence. Les pachas envoyés par la métropole pour une durée de trois ans étaient de simples fonctionnaires soucieux, surtout, d'accumuler une fortune personnelle avant leur retour précipité à Istanbul, sans avoir été réellement impliqués ni avoir exercé une influence notable sur les rouages du pouvoir, départagé entre la milice et les raïs corsaires d'Alger. La population d'Alger connut une métamorphose à l'époque ottomane en raison du griffage de cette société par quatre nouveaux ingrédients ethniques venus tous de la mer. A savoir, les Turcs levantins, les Andalous-Morisques, les juifs séfarades et les Renégats, ce qui a permis à la Régence d'avoir une composition sociale cosmopolite qui lui apporta une nouvelle formation identitaire, socio-économique et culturelle qui échappait complètement aux regards des autorités de la métropole. Cette nouvelle identité qui, au rythme de l'évolution du temps, a eu un impact sur le cours des relations entre Alger et Istanbul, en conduisant, à mon avis, l'élite turco-ottomane et la milice à considérer cette Régence comme une nouvelle patrie d'adoption. En d'autres termes, une province ottomane aux « couleurs algériennes » capable de contester et même de refuser toute décision du sultan ottoman opposée à ses propres intérêts. Ceci explique aussi comment cette Régence passa du statut de province d'appartenance effective à la Sublime Porte au 16e siècle, au statut

زمن دولتلي الحاج شعبان داي 1103هـ، رقم 1649، ص 83.

de province partenaire et d'alliée de l'Empire ottoman au 18e siècle. Certes, la réussite à l'examen de passage à ce nouveau statut n'a pas été sans difficulté et complications diplomatiques avec le pouvoir central de Topkapı. D'ailleurs, durant l'époque du dey Kurd Abdi (1724-1732), une grave crise diplomatique a été rapportée lorsque le dey refusa de se plier à la demande du Sultan Ahmed III (1703-1730) de mettre fin aux activités corsaires contre les navires de commerce des puissances amies, telles que la Suède et la Hollande. Devant la désobéissance du dey et dans le but de reprendre le contrôle sur cette lointaine province, Arslan Mehmet fut nommé nouveau pacha d'Alger. Ce dernier arriva au port d'Alger accompagné par le Kapıcı başı (l'émissaire des affaires étrangères à Topkapı), et une vingtaine de personnalités, pour l'exécution des ordres du sultan. Cependant, cette délégation officielle fut mise en quarantaine dans la baie d'Alger et invitée à reprendre le chemin du retour à Istanbul, par le dey en fonction[10].

La réplique du sultan n'a pas tardé ; la haute autorité religieuse personnifiée par le Cheikh al-Islâm de l'époque, Abdullah Efendi, a été sollicitée pour prononcer une fatwa contre le dey insoumis. Le firman qui contenait cette fatwa a été envoyé à la Régence au début du mois de septembre 1729 et incitait la milice, les oulémas, les juges et les notables de la ville d'Alger à révoquer le dey en place puisque son autorité était devenue illégitime[11]. Pour exercer encore plus de pression sur le dey, des ordres ont été envoyés aux gouverneurs et aux chefs militaires des échelles et ports de la mer Egée, tel qu'Izmir, Sarohan, Aydın, Menteşe, pour empêcher l'accès aux navires algériens et leur refuser toute aide et assistance et aussi pour mettre un terme à tous les privilèges douaniers qui leur ont été accordés auparavant et empêcher, dans les domaines du sultan, toute opération de recrutement de soldats volontaires destinés à la Régence. Pire encore, le sultan dépêcha ses ordres au gouverneur d'Egypte pour refuser l'accès aux pèlerins de cette Régence sur ses terres. Il est tout à fait clair que l'objectif de

[10]**GAID (Mouloud)** : *Op. cit.*, pp. 156-157; **ILTER (Aziz Samih)** : *Şimali Afrika'da Türkler*, Istanbul, 1936, pp. 26-27.

[11]Archives ottomanes d'Istanbul, D.H.M.D. n° 135, Safer 1142H/ 30-08-1729, pp. 423-424; **ILTER (Aziz Samih)** : *Op. cit.*, pp. 35-36 ; **SHUVAL (Tal)** : «The Ottoman…», *Art. cit.*, p. 334.

ces dures sanctions consistait à faire plier le dey mentionné à la volonté et à l'autorité du pouvoir central d'Istanbul.

Cependant, l'analyse approfondie de ce langage de forcing diplomatique nous a permis de constater que le sultan n'a jamais eu une réelle volonté d'aller jusqu'à la rupture des relations entre la métropole et la Régence, ni jusqu'à l'application effective et durable de ces sanctions contre Alger. Les autorités de la régence avaient toujours besoin de renouveler les effectifs de la milice à travers le système de recrutement dans les domaines de la Sublime Porte, qui est devenu vital et même une sorte de cordon ombilical avec la mère patrie, afin d'assurer la pérennité du système politique monopolisé par la caste turco-ottomane dans cette province périphérique. L'Empire ottoman, de son côté, avait aussi besoin de l'assistance navale de cette province et de celle des autres Régences maghrébines, d'autant plus que la Sublime Porte commençait à comptabiliser des échecs successifs, terrestres et maritimes, depuis le 18e siècle, face aux puissances occidentales telles que l'Autriche et la Russie. L'achèvement de cette crise diplomatique fut effectif après l'envoi et la distribution de somptueux présents aux membres du gouvernement central à Topkapı et le consentement du dey pour la négociation et la signature d'un traité de paix et de commerce avec la Suède en 1729[12].

Parmi les points qui continuent à susciter l'intérêt des historiens dans le débat sur la période ottomane en Algérie c'est son système politique unique parmi les provinces arabes ottomanes du 18e siècle[13]. Un régime politique basé sur et monopolisé par une élite militaire turco-ottomane, proche d'un système de « république oligarchique », alors que les autres Régences maghrébines ont évolué vers un système dynastique semi local, tel que celui des Mouradites (1613-1702) et des Husseinites à Tunis (1702-1957), ou celui des Karamanlis à Tripoli (1711-1835). La réponse à ce problème, nous devons la chercher, à mon avis, dans le choix de la capitale, ou du nouveau centre du pouvoir dans ces Régences. En

[12]Sur les relations entre Alger et le royaume de Suède au 18e siècle, voir **SALMI (Abdelhadi Radjai)** : «The 1729 Peace treaty between the Eyalet of Algiers and the Kingdom of Sweden», *Ostour*, vol 5, janvier 2017, pp. 74-114.

[13]**SHUVAL (Tal)** : «The Ottoman…», *Art. cit.*, pp. 328-329; *Idem* : «Remettre…», *Art. cit.*, pp. 444-445.

effet, les Turcs ottomans à Tunis et à Tripoli avaient établi et continué à exercer leur pouvoir dans le même centre de pouvoir que celui du Moyen Age, où les infrastructures et les ressources humaines de l'élite locale précédente sont restées sur place. Donc, l'influence de l'héritage politique et socio-culturel antérieur a pesé lourd dans le choix et l'adoption d'un retour au système héréditaire semi-local afin d'assurer la stabilité politique au pays.

C'est le contraire de ce qui s'est passé dans la Régence d'Alger. Le choix de la nouvelle capitale d'Alger s'est, en quelque sorte, imposé comme un point de rupture avec la ville de Tlemcen, capitale de l'Algérie au Moyen Age. Certes, cette ancienne capitale ne permettait pas aux marins turcs-ottomans d'avoir un port exceptionnel pour leurs activités de course ; en outre, sa situation géographique entre les proches frontières de la monarchie rivale marocaine et les présides espagnols à Oran et Mers el-Kébir n'offrait pas, d'après la lecture géostratégique des premiers Turcs levantins, la possibilité de fonder sur l'ancien héritage de ce centre de pouvoir, un nouveau système politique stable et pérenne dans la région. D'ailleurs, dans l'objectif de vider cette ancienne capitale de son contenu d'élite culturelle et économique locale et éviter toute concurrence pour le pouvoir, Tlemcen n'a jamais obtenu le statut de capitale du Beylik de l'ouest. Des villes beaucoup moins importantes telles que Mazouna et Mascara ont été choisies volontairement par la caste militaire turque, afin d'écarter Tlemcen et « le poids menaçant » de son héritage local, de la scène politique du pays.

2. La situation de la marine d'Alger et les prémices de crise diplomatique entre Alger et Istanbul au 18e siècle

En réalité, les motifs de cette crise diplomatique ont pour origine les activités maritimes de la Régence d'Alger contre les navires de commerce des puissances européennes. Durant cette période, la présence de la marine ottomane dans la Méditerranée était en pleine régression. La Sublime Porte subissait des échecs répétitifs, à la fois terrestres et maritimes, devant les forces navales autrichiennes et russes, plus particulièrement. En outre, le sultan ottoman était obligé, devant ces menaces externes, de faire des concessions territoriales et d'accorder des privilèges commerciaux, communément connus sous le nom de Capitulations. Lors de la

signature des traités de paix et de commerce avec la Sublime Porte, les puissances européennes exigeaient du sultan l'envoi de ses ordres impériaux (Berat) aux Régences maghrébines, les obligeant à signer des traités de paix similaires. Cependant, les Etats européens ne tarderont pas à arriver à cette évidence : la signature des traités de paix et de commerce avec la Sublime Porte ne garantissait pas la protection de leur commerce et la sécurité de la navigation pour leurs navires contre les attaques des corsaires d'Alger. Les captures fréquentes de leurs navires de commerce par les corsaires maghrébins et les plaintes sans suite favorable déposées par les envoyés européens installés à Istanbul, a démontré d'une manière sans équivoque les limites du pouvoir réel du sultan sur les autorités turques de la lointaine frontière nord-africaine. Remettre le sultan devant ses responsabilités envers ces Régences et exiger de lui de reprendre le contrôle du volet des relations extérieures dans ses provinces c'était désormais, une tâche révolue, au 18^{e} siècle. En effet, Alger orientait ses relations diplomatiques avec les puissances européennes selon ses propres intérêts et les avantages que pouvaient procurer le maintien des hostilités contre ces puissances occidentales telles que l'Espagne, le Portugal, Venise et l'Autriche, ou par rapport aux avantages qu'elle pouvait tirer de la paix avec les grandes puissances telles que la Grande-Bretagne, la France ou la Hollande. En d'autres termes, l'application d'une sorte d'équilibre de sa balance des relations internationales. Sans doute, ici, avant d'analyser les différents cas de litiges maritimes entre la Régence d'Alger et les puissances européennes qui ont exigé l'intervention et la médiation de la Sublime Porte, il faut s'interroger sur le statut et la situation de la course dans cette Régence au 18^{e} siècle.

2.1- La situation de la marine de la Régence d'Alger

Il est évident de faire rappeler ici que la province d'Alger au 18^{e} siècle n'est plus une puissance maritime. Les activités de course se trouvaient dans une phase déclinante[14] bien que le Djihad

[14]**MEROUCHE (Lemnouar)** : *Op. cit.*, pp. 250-251 ; **PANZAC (Daniel)** : «Alger», in *Dictionnaire de l'Empire Ottoman*, Ed. Fayard, 2015, pp. 69-72 ; *Idem* : *Barbary Corsairs, the End of a Legend 1800-1820*, Boston, Brill, 2005, pp. 136-137; **MATAR (Nabil)** : «The Maghariba and the Sea, Maritime decline in North Africa in the Early Modern Period», in *Trade and Cultural Exchange in*

maritime représente en quelque sorte la raison d'être des autorités turques d'Alger. Les motifs doivent être expliqués, à mon sens, dans le changement opéré dans la composition humaine et matérielle de cette institution maritime à partir de cette époque. La course devient plutôt un instrument de la diplomatie et un moyen de pression afin d'obliger les puissances européennes à payer ou à acheter la paix avec Alger contre le versement de sommes importantes. A titre d'exemples : la paix de 1786 a coûté à l'Espagne 3,2 millions de pesos, les Américains ont dû verser 721.000 dollars pour obtenir la paix avec la Régence en 1795 ; les Hollandais, après la rupture de 1793, rachetaient la paix de 1794 en versant la valeur de 557.000 florins, alors que la France devait offrir une gratification d'un million de francs au Dey d'Alger pour mettre fin à l'état de guerre déclaré par la Régence, comme suite de l'expédition française contre l'Egypte en 1798[15]. A cela, il faut ajouter les tributs de 12.000 pièces d'or que les consuls européens installés dans la ville d'Alger devaient verser à la caisse de l'Etat tous les deux ans[16]. Il faut ajouter enfin, la livraison de matériel de guerre et de navigation, en qualité de gratification pour la Régence, à laquelle étaient soumis les pays scandinaves au 18e siècle, pour garantir le maintien de leurs traités de paix. Ainsi, grâce à des gratifications consulaires, les autorités d'Alger pouvaient récupérer une partie du manque à gagner dans la course maritime.

Nous constatons également une régression de la flotte algérienne durant cette période; celle-ci dépassait rarement une vingtaine de navires employés dans la course, soit par l'Etat (le Beylik), soit par les armateurs privés qui gravitaient autour du

the Early Modern Mediterranean, Braudel's maritime legacy, London, 2010, pp. 117-137.

[15]**MEROUCHE (Lemnouar)** : *Op. cit.*, p. 258 ; **GAID (Mouloud)** : *Op. cit.*, pp. 167-170. Sur les relations entre Alger et la France comme suite à l'invasion de l'Egypte, voir **HAMMACHE (Khalifa Ibrahim)** : *Op. cit.* (en arabe), pp. 201-212.

[16]Sur les tributs que devaient payer les consuls de chaque nation à la Régence d'Alger, voir le registre officiel des Tachrifat dans lesquels, sous ordre du dey Ali Pacha Bousbaa, ont été inscrites, le 25 rabî' I 1177H/3 octobre 1763, les sommes payées par ces nations : Daftar al-Tachrifat, Bibliothèque Nationale d'Algérie, Section manuscrits, n°1649. Nous interpelle l'absence de ces informations dans la version traduite par Albert Devoulx : *Tachrifat, recueil de notes historiques de l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, 1852.

cercle du pouvoir[17]. Ces unités de course étaient composées de chebecs, de frégates, de brigantins et de caravelles de portée moyenne avec une capacité de feu oscillant entre 24 et 36 canons. Les corsaires algériens qui opéraient dans les eaux méditerranéennes jusqu'à l'Adriatique et faisaient quelques incursions en Atlantique évoluaient toujours en escadron de plusieurs raïs à bord d'une flottille de 5 à 6 unités pour pouvoir faire face aux navires des puissances européennes hostiles qui sont devenues de plus en plus organisées et mieux équipées face à toute agression des corsaires en pleine mer. La Régence d'Alger n'avait ni les moyens matériels ni les ressources humaines pour pratiquer la course à grande échelle. Certes, l'état de guerre entre les Etats européens au 18e siècle offrait un climat propice à l'augmentation du nombre des prises maritimes de la Régence en Méditerranée. Néanmoins, ce n'était pas plus qu'une conjoncture occasionnelle. D'ailleurs juste avec le tournant du 19e siècle et le rétablissement de la paix entre les puissances européennes, l'étau se resserrait sur l'espace d'activité de ces corsaires, qui est devenu de plus en plus exigu jusqu'au coup de grâce porté à la ville d'Alger par l'expédition navale de lord Exmouth, le 26 août 1816.

Le deuxième élément qui peut expliquer, à mon avis, la régression de la course est le changement de composition humaine de cette marine au 18e siècle. Le nombre de raïs de carrière était devenu très limité dans la marine ; en outre, la présence de renégats dans l'institution, eux qui ont contribué autrefois à la réputation internationale de l'Alger de l'époque moderne, est presque inexistante aux 18e et 19e siècles. D'ailleurs, la caste militaire dirigeante, qui monopolisait le pouvoir jusqu'à la veille de la colonisation française en 1830, était composée uniquement d'éléments orientaux anatoliens. En d'autres termes, c'est l'armée terrestre qui a pris le dessus par rapport aux membres de la corporation des raïs corsaires. Nous n'étions plus dans l'époque des Beylerbeys-pachas, dirigeants de l'Etat issus de la corporation des célèbres raïs tels que Hayreddine Barberousse, Ouldj Ali pacha, Ali

[17]**BENAFRI (Chakib)** : «Ganimet defterlerini arayış macerası/les aventures de recherche sur le registre des prises maritimes», in *Uluslararası Kara Mürsel Alp ve Kocaeli tarihi sempozyumu II*, 3-4-5 nisan 2015, Kocaeli büyükşehir belediyesi, pp. 23-31.

Betchine, Mezzo Morto, etc. Nous constatons, au contraire, une absence quasi complète des raïs de carrière aux postes clés du pouvoir. Tous les deys d'Alger qui ont accédé à cette charge suprême durant le 18e et le 19e siècle, appartenaient exclusivement à la corporation de l'armée terrestre anatolienne. Certes, le registre des prises maritimes de cette période nous renseigne sur les noms et l'origine ethnique de ces raïs, turcs ou autochtones. Nous pouvons citer à titre d'exemple : Suleiman raïs, Maqtadji raïs, Tatar raïs, Arnaout Ali reis, Arnaout Mustapha reis (originaire d'Albanie), Limali Ahmet reis, Çolak Hussein reis, Kretli reis (originaire de l'île de Crète), pour les raïs d'origine turque, alors que Kadour reis, Kacem reis, Hamida reis, Hamidou reis, Omar reis, Dahman reis, Alouach reis, Haddar reis, etc., étaient des reis algériens qui faisaient partie de la corporation maritime durant cette période[18].

Il est évident que la course a continué de présenter pour les autorités turques d'Alger, un outil indispensable pour assurer des recettes pour les caisses de l'Etat et un moyen pour garantir le paiement des salaires de la milice militaire. Plus encore, elle représentait la raison d'être du pouvoir et une garantie de réputation pour cette province aux yeux du sultan ottoman et dans toute la région méditerranéenne. Cependant, il est difficile de croire que ces recettes en baisse graduelle couvraient les différentes charges et dépenses de l'Etat, puisque la grande partie des recettes provenaient en fait du système fiscal imposé aux trois départements régionaux qui formaient la Régence d'Alger, à savoir le Beylik de Titri, le Beylik de Constantine et le Beylik de l'Ouest. Même s'il existe quelques travaux de recherche sur cette thématique, celle de la relation entre la diminution des recettes de la course, le durcissement des charges fiscales locales, et la politique d'expansion ottomane vers les régions insoumises ou sahariennes dès le 18e siècle afin de trouver de nouvelles recettes pour l'Etat, ce domaine de recherche reste peu exploité par les chercheurs ottomanistes[19]. D'ailleurs, l'apparition de plusieurs foyers de

[18]Archives Nationales d'Algérie, Registre des Prises maritimes (دفتر الغنائم البحرية), section des registres du Beylik, n°5, pp. 23-39. Voir aussi la version traduite par Albert Devoulx : *Registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens*, Alger, Typographie Adolphe Jourdan, 1872, pp. 9-111.

[19]**MEROUCHE (Lemnouar)** : *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. I-*

rébellion menés par des chefs locaux ou des cheikhs de confréries religieuses, contre le système fiscal et la politique d'expansion turque vers ces régions de l'arrière-pays comme la région de Laghouat, des Aurès et de Kabylie, pourrait expliquer, dans une certaine mesure, l'impact de la chute des recettes de la course et cette nouvelle dimension expansionniste des autorités turques afin de pallier le problème du déficit budgétaire de l'Etat. Surprenante sans doute, la réplique des deys d'Alger aux réclamations successives du sultan ottoman, pour mettre un terme à leurs activités de course contre les navires des puissances occidentales, ayant signé des traités de paix et de commerce avec la Sublime Porte. Les autorités turques d'Alger insistaient en effet dans les correspondances avec la métropole sur leur incapacité à mettre fin à ces activités de course puisque le revenu des impôts locaux et le travail agricole de la population locale ne produisaient pas suffisamment de recettes pour les caisses de l'Etat[20]. Même si cette thèse défendue par les deys d'Alger reste discutable à mon avis, puisqu'en réalité, la grande partie des recettes découlait des impôts et des recettes locales, il faut, à mon sens, approfondir davantage la recherche et l'analyse du fondement du système politique, pour mieux cerner les vrais motifs qui sont derrière cette affirmation.

Nous avons déjà mentionné que la course était considérée par la Régence d'Alger comme une sorte de cachet ou d'identité internationale depuis sa grande victoire sur l'expédition de Charles Quint contre la Médina d'Alger en 1541. En d'autres termes, la course avait pour raison d'être de constituer un pilier fondamental sur lequel reposait le système politique d'Alger. Nous savons, par ailleurs, que par le biais de la course, Alger participait indirectement au cycle des échanges commerciaux en Méditerranée, puisque la grande partie des biens des prises maritimes était vendue et écoulée

---

Monnaies, prix et revenus, 1520-1830, Editions Bouchene, 2002.

سعيدوني (ناصر الدين) : *النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)*، ط 3، الجزائر، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، 2012، ص 348؛ **دحماني (توفيق)** : *الضرائب بالجزائر 1792-1865 دراسة مقارنة*، رسالة دكتوره، جامعة الجزائر 2، 2007-2008.

[20]**ÖZDEMİR (Şenay)** : «Korsanlıktan Kaynaklanan Zararın Tazmini Konusunda, Osmanlı Devleti'nin Avusturya'ya Vermiş Olduğu Senet», *Kebikeç*, 18, 2004, p. 396; Archives ottomanes d'Istanbul, CHR 79/3946, ramadan 1169H/13-08-1792; *Idem*, AVN.DVE Hüküm 00197011, 29 safar 1198H/23-01-1784.

dans les échelles et ports de la Méditerranée, grâce à une interconnexion de commerçants et négociants juifs livournais. En faisant référence ici au commerce maritime, une question vient s'imposer d'elle-même : devant la régression des recettes de la course et la pression des puissances européennes pour mettre un terme à cette activité, pourquoi la Régence d'Alger n'a pas opté pour la reconversion de sa flotte vers le commerce maritime comme les autres Etats maghrébins au 18e siècle ?

Il suffit de rappeler ici la décision prise par le sultan marocain, Sidi Mohamed b. Abdellah, au 18e siècle, de mettre un terme à la course et à la captivité dans le royaume et d'orienter sa flotte de course vers le commerce maritime[21]. Une décision semblable a été prise par le bey tunisien Hammouda pacha lorsqu'il incita les notables et les corsaires tunisiens à participer davantage à la carrière de négociant dans le commerce international[22]. Cette reconversion, opérée dans les deux Etats maghrébins cités, leur a permis de s'ouvrir davantage aux opportunités de participation dans l'espace des échanges commerciaux et de formation d'une réelle caste de notables locaux d'origine négociante, maghrébins ou juifs, qui ont participé à accaparer une partie de la richesse et du capital accumulé grâce au commerce maritime. Pourquoi les autorités d'Alger ont opté, une fois encore, pour cette attitude inverse de

[21]**LE TOURNEAU (Roger)** : «Le Maroc sous le règne de Sidi Mohammed b. Abdellah (1757-1790)», *ROMM*, 1, 1966, pp. 125-126; **EZZAHIDI (Malika)** : «Le rachat des captifs musulmans à Malte en 1782 d'après le récit de voyage d'Ibn Uthmân el Meknassî», *Cahiers de la Méditerranée*, 87, 2013, pp. 222-223. Pour plus d'informations sur le sujet voir : **LOURIDO DIAZ (Ramon)** : *Marruecos y el Mundo exterior en la segunda mitad del siglo XVIII*, Madrid, 1989.

[22]**PANZAC (Daniel)** : «Juifs et Musulmans dans le commerce maritime tunisien à l'époque de Hammouda Bey (1782-1814)», in *Entre Orient et Occident*, Editions de l'Eclat, 2007, pp. 43-62; **MOALLA (Asma)** : *The Regency of Tunis and the Ottoman Porte, 1774-1814*, 2004, pp. 135-138.

الإمام (رشاد) : *سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م*، تونس، 1979، ص 521؛ **محمدي (رزيقة)** : «الإصلاحات الإقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا (1782-1814)»، *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية*، جامعة بابل، 3، 2016، ص ص 87-100.

Sur le rôle de la communauté juive dans le commerce extérieur de l'époque de Hammouda bey, voir :

رجب (رضا) : *يهود البلاط و يهود المال في تونس العثمانية*، دار المدار الإسلامي، 2010، ص 578.

celle des autres provinces maghrébines ?

En réalité, les autorités turques sont restées fidèles au crédo d'Alger, celui de *Dar el Djihad*, ou d'Alger la bien gardée (*al-Jazâ'ir al-Mahrûsa*). Continuer à faire la guerre aux infidèles était la raison d'être du pouvoir comme nous l'avons mentionné. En outre, même si les échanges commerciaux se faisaient avec les ports de la Régence d'Alger grâce aux négociants européens et spécialement aux juifs livournais, la caste militaire turque avait barré la route à la constitution d'une forte caste de notables algériens d'origine négociante opérant dans le commerce maritime. Le commerce extérieur était monopolisé par les dirigeants turcs et un nombre très limité de notables, qui étaient proches par des liens de famille ou par intérêt, avec la caste dirigeante. Cette dernière préférait avoir à ses côtés des intermédiaires étrangers tels que les négociants juifs livournais ou des Européens au lieu de notables locaux. Le maintien du monopole du pouvoir entre les mains de la caste turque explique, à mon avis, son comportement vis-à-vis des négociants algériens. Encourager ces derniers à l'activité du commerce maritime constituait un réel péril pour le système politique en place. Permettre aux négociants locaux de participer à cette activité signifiait permettre le glissement et le cumul de fortunes entre leurs mains, grâce au commerce maritime, ce qui pouvait ouvrir le chemin vers un changement du système politique établi par la caste militaire turque. Ceci explique pourquoi, dès le 18^{e} siècle, les deys d'Alger ont préféré avoir à leurs côtés des intermédiaires étrangers (européens et juifs livournais) qui n'avaient aucun fondement tribal dans le pays, pouvant constituer une menace sérieuse contre le système politique en place. Cependant, le rapprochement étroit entre la classe dirigeante et les grands négociants « étrangers » n'était pas sans risque. L'association de l'argent de ces commerçants et du pouvoir a même été fatale. Rappelons au passage le cas du négociant juif livournais, Boudjnah (surnommé le roi d'Alger) et son protecteur le Dey Mustapha pacha, qui ont été assassins par la milice, ce qui a ouvert le chemin à une mutinerie contre la communauté et les commerçants juifs dans la ville d'Alger en juin 1805.

2.2- La course maritime et la crise diplomatique entre Alger et Istanbul

Nous avons déjà signalé dans les grandes lignes, les motifs qui ont été derrière le déclenchement de la crise diplomatique entre la Régence d'Alger et la métropole au 18e siècle. Les puissances européennes se disputaient la répartition des dépouilles de l'Empire ottoman, spécialement la Russie et l'Autriche, qui avaient également exigé lors de la signature de leurs traités de paix et de commerce avec la Sublime Porte d'informer et d'inclure les Régences du Maghreb dans ces traités de paix. En effet, ces deux puissances savaient implicitement que la sécurité de la navigation pour leurs pavillons de commerce ne pouvait être garantie en Méditerranée sans l'intégration des Régences nord-africaines, sans conditions, à ces traités. Il est vrai que l'Autriche avait déjà obtenu non seulement son premier traité de paix avec la Sublime Porte en 1724, mais aussi trois ordres (*Berat*) du sultan ottoman pour inciter les autorités des provinces maghrébines à signer des traités similaires. L'émissaire autrichien, accompagné par le délégué de la flotte ottomane, Süleyman Agha, a obtenu le traité de paix et de commerce signé par le bey de Tunis en septembre 1725 et avec la Tripolitaine en avril 1726. Cependant, c'est avec les autorités d'Alger qu'il fallait entamer de longs pourparlers afin d'avoir la paix ratifiée de 1727, c'est-à-dire trois longues années après la signature du premier traité ottomano-autrichien.

La reprise des hostilités entre l'Empire ottoman et l'alliance austro-russe durant les années 1736-1739, suivi par le désastre subi par la flotte ottomane à la bataille de Çeşme face à l'armada russe, infligea un coup dur au sultan ottoman Abdulhamid 1er (1773-1789) qui devait signer le traité humiliant de Küçük Kaynarca, le 21 juin 1774, consacrant ainsi la victoire des Russes et accordant la libre navigation dans la Mer Noire et le franchissement des détroits pour la flotte commerciale russe. Durant ces années critiques, la Sublime Porte a sollicité à maintes reprises l'assistance militaire et navale de ses provinces maghrébines. Ainsi, une cinquantaine de canonniers ont été demandés à Alger pour soutenir l'effort sur le front de la guerre en Mer Noire, alors que des unités navales de la Régence avaient déjà été mobilisées dans la région des Balkans et en

Adriatique[23]. D'ailleurs, dès 1781, six navires de commerce battant pavillon autrichien ont été pris par les corsaires algériens, alors que deux autres navires appartenant à la même nation ont été capturés par les corsaires tunisiens[24]. Devant cette situation, l'Autriche a remis une plainte par le biais de son représentant diplomatique à Istanbul exigeant la restitution de ces navires de commerce pris illicitement par les corsaires barbaresques. Comme suite à un long marathon diplomatique entre la Sublime Porte et les autorités d'Alger, on permit finalement la libération de 72 captifs autrichiens. Alger refusa la restitution des navires et des marchandises considérés comme bonnes prises, et dont le butin avait été partagé entre les raïs corsaires.

L'Autriche ne tarda pas à comprendre, comme les autres puissances occidentales avant elle, que le pouvoir du sultan sur ces lointaines provinces maghrébines était uniquement honorifique et qu'il fallait penser à d'autres mesures, dont l'emploi de la force, pour mettre un terme aux activités de ces corsaires. C'est le cas de la France de Louis XIV qui opta pour le bombardement de la ville d'Alger par l'amiral français Duquesne en 1682 et 1683, afin d'obliger la Régence à négocier la paix[25]. Le royaume de Danemark, désirant protéger des corsaires algériens ses navires de commerce en Méditerranée, envoya en 1770, une expédition menée par l'amiral de Kaas contre Alger, mais sans succès. Le Danemark devait négocier et payer une forte contribution aux autorités d'Alger pour avoir son traité de paix, signé en 1772[26]. L'Espagne, confiante

[23]**ASLAN (Seyfullah)** : *Op. cit.,* pp. 15-16; Bibliothèque Nationale d'Algérie, Section Manuscrits, Doc. 3206, p. 17, Firman envoyé par le sultan Mustapha III à la Régence d'Alger fin sha'bân 1183H/25-12-1769; Archives ottomanes d'Istanbul, C.BH. n°189/1, Firman du sultan Sélim III envoyé à la Régence d'Alger, fin rajab 1204/10-04-1790.

[24]Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/79/3946, Firman du sultan ottoman à la Régence d'Alger, 1196H/1782 ; **ASLAN (Seyfullah)** : *Op. cit.,* pp. 54-55 ; **ÖZDEMİR (Şenay)** : *Op. cit.,* p. 398.

[25]**GAID (Mouloud)** : *Op. cit.,* pp. 144-145; **GRAMMONT (Henri Delmas de)** : *Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830,* Editions Bouchene, Paris, 2002, pp. 207-209.

[26]Sur les relations entre la Régence d'Alger et le Danemark au 18[e] siècle, voir **ØDEGAARD (Torbjørn)** : *Une paix et amitié perpétuelles : sur le traité de paix entre le Royaume de Danemark-Norvège et la Régence d'Alger, 1746*, Uppsala, Scandinavian Institute for North African Studies, 2013 ; **MEOUAK**

en la puissance de son Armada, décida, pour ramener les Turcs d'Alger à la table des négociations, d'envoyer contre la ville d'Alger une grande expédition maritime sous le commandement du général O'Reilly, en 1775. La deuxième grande victoire de la Régence d'Alger contre une expédition espagnole avait renforcé encore davantage la réputation de cette Régence comme forteresse du *Dar el Djihad* en Méditerranée. L'Espagne, dans sa démarche d'assurer la navigation et la sécurité de ses navires de commerce en Méditerranée, opta pour l'établissement de la paix avec le monde musulman et la signature de ses premiers traités de paix avec le Maroc en 1768 et la Sublime Porte en 1782, tout en croyant que la décision et les ordres du sultan ottoman seraient efficaces, lorsqu'elle sollicita des lettres de recommandations pour la signature de traités similaires avec les provinces maghrébines.

Sans doute, la première cible de ces négociations était la Régence d'Alger, puisque ce sont ses corsaires qui infligeaient de grands préjudices aux navires commerciaux et aux côtes espagnoles. Malgré le recours de l'Espagne à la médiation ottomane, Alger refusa de s'asseoir à la table des négociations avant que l'Espagne n'acceptât les conditions exigées par le Dey Mohamed b. Osman (1766-1791). Deux expéditions punitives de bombardement sous le commandement de l'amiral Antonio Barcelo, ont été dirigées contre la ville d'Alger en 1783 et 1784, mais sans succès. L'Espagne devait attendre quatre années et payer une forte contribution d'un million de piastres fortes pour obtenir son traité de paix et de commerce signé à Alger le 16 juin 1786[27]. Que ce soit

---

(Mohamed) : «Le bombardement d'Alger par les Danois en 1770 d'après les «Vers en idiome barbaresque» : langue arabe et littérature dans l'Algérie du XVIIIe siècle», in *Sacrum arabo-semiticum : homenaje al profesor Federico Corriente en su 65 aniversario*, Zaragoza, Instituto de estudios islamicos y del Oriente Proximo, Zaragoza, 2005, pp. 271-287.

سالمي (عبد الهادي) : *العلاقات الجزائرية الإسكندنافية في الفترة العثمانية 1729-1792*، رسالة ماجيستر غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2014-2015؛ **نايت بلقاسم (مولود قاسم)** : *شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830م*، الجزء 1، الجزائر، 2007، ص ص 97-102.

[27]Sur les relations hispano-algériennes au 18e siècle, voir : **EPALZA FERRER (Mikel de)** : «Algunas consecuencias del tratado de paz hispano-argelino de 1786», in *Homenaje a Guillermo Guastavino*, 1974, pp. 443-460 ; *Idem* : «Intérêts espagnols et intérêts de la Turquie et de ses alliés maghrébins dans la diplomatie hispano-musulmane du XVIIIe siècle», *Studia Islamica*, fasicule 57,

l'Espagne, le Danemark, la Suède ou Venise, les puissances européennes ont bien compris que les clés pour l'obtention de la sécurité de la navigation pour leurs navires et de traités de paix et de commerce signés nécessitait la négociation directe non pas avec le Divan du Sultan à Topkapı, mais plutôt avec le Divan d'Alger et au palais de la Djénina.

Le traité de Belgrade signé entre la Sublime Porte et l'Autriche le 8 août 1783 et son avenant connu sous le nom de *Sened* ou articles de navigation sur les litiges maritimes, est considéré comme une nouvelle évolution dans l'interprétation par l'Autriche du droit international maritime et une complication majeure dans la crise diplomatique entre l'Empire ottoman et les Régences maghrébines. Désormais, on exigea de la Sublime Porte les IV^{e} et XI^{e} articles du traité qui stipulent qu'en cas d'agression des navires de commerce par les corsaires, une intervention pour restituer les biens confisqués, libérer les captifs et sanctionner les corsaires responsables de ces attaques. Pire encore, on exigea le remboursement de tous les dommages causés aux navires, sur les propres fonds du Trésor de l'Empire ottoman, dans un délai de six mois[28]. La Sublime Porte a été interpelée plusieurs fois par l'envoyé autrichien pour des agressions de navires de commerce de sa nation par les corsaires algériens, et l'on exigea d'elle l'application des articles du traité évoqué. Mentionnons le cas du capitaine autrichien qui, après avoir pris son chargement au port français de Bordeaux, se dirigea vers le port de Fiume, mais fut intercepté par les corsaires algériens et retenu comme bonne prise ; les recettes de la vente furent partagées entre les membres de l'équipage corsaire.

Comme suite aux plaintes de l'émissaire autrichien à Istanbul, plusieurs ordres ont été envoyés aux autorités turques d'Alger pour les informer des conséquences de la non application des articles du traité de Belgrade et de l'embarras dans lequel se trouvait la Sublime Porte, puisqu'elle devait puiser dans les fonds du Trésor pour payer les dommages subis par les navires

---

1983, pp. 147-161 ; **TERKI-HASSAINE (Ismet)** : *Relaciones politicas y comerciales entre Espana y la Argelia otomana (1700-1830)*, Editorial Universidad de Alcalá, 2011.

[28]**ORTAYLI (İlber)** : *Osmanlı'da Milletler ve Diplomasi*, Istanbul, İş bankası yayınları, 2017, pp. 199-212; **ÖZDEMİR (Şenay)** : *Op. cit.*, pp. 398-400; **ASLAN (Seyfullah)** : *Op. cit.*, pp. 55-56.

autrichiens. La lecture et l'analyse du contenu de l'ordre du sultan ottoman à la Régence d'Alger pour l'inciter à adhérer aux articles du traité de Belgrade est d'une extrême importance. Dans le but de rendre ces ordres exécutoires, le sultan ne manqua pas de faire un rappel historique en disant que la Régence d'Alger fut intégrée dans les domaines ottomans depuis l'époque des ancêtres ; une grande partie de la milice est qualifiée de frères d'origine anatolienne qui ont toujours été assistés et privilégiés par les bonnes attentions du sultan. Faire la paix avec cette puissance « infidèle » est un mal nécessaire, note-t-il, après référence au traité de Hudaibia entre le prophète et la tribu de Quraiche pour la protection des musulmans. Ce sont les oulémas de la Métropole qui ont jugé par une fatwa que cette paix était licite et bénéfique pour les intérêts de l'Empire ottoman[29]. Cependant, la réplique du dey d'Alger nous interpelle aussi sur plusieurs plans ; ainsi, lorsqu'il mentionnait que si cette paix était bénéfique à la Sublime Porte elle ne l'était pas pour autant à la Régence d'Alger et à ses intérêts. En manifestant son étonnement devant l'inclusion de la Régence dans ce traité, qui était un acte insolite et même illégal, il ajouta : « qu'à la consultation des traités de paix signés avec les puissances étrangères au niveau du Divan ou du Conseil d'Etat, il disposait uniquement du traité de paix signé avec l'Autriche en 1724 », et avançait une méconnaissance de toute information sur la ratification du traité de paix de 1783. Il est certain que, même si la Régence fut informée tardivement, plusieurs autres motifs ont entravé l'adhésion à cette paix.

Le Dey d'Alger ajouta dans cette correspondance que même s'il existait une volonté de maintenir la paix signée avec cette puissance, « lors de l'attaque de la flotte espagnole contre Alger en 1775, cinq à six navires de guerre autrichiens ont participé à cette expédition aux côtés des Espagnols. Avec une puissance de feu de 60 à 70 canons et durant 36 heures de bombardement, ils ont causé de sérieux dégâts à nos forteresses sans citer le grand nombre de nos martyrs ». Par conséquent, devant une telle hostilité et agression, comment pouvaient-ils ces oulémas bien distingués produire une telle fatwa pour nous inciter à établir des relations amicales avec ces

[29]Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/30/1470, Lettre du Dey Hassan pacha au sultan ottoman Selim III, 27 muharram 1207H/14 septembre 1792.

infidèles ?!! Aussi, contrairement au droit maritime et au traité de paix de 1724, l'Autriche avait remis illégalement plus de 400 passeports maritimes, délivrés par notre administration, aux capitaines de navires ennemis tel que les Génois, les Napolitains, les Espagnols et les Maltais. Aussi, plusieurs de ces navires ont été capturés et considérés de bonne prise par nos corsaires[30]. Nous pouvons lire aussi dans la réplique du dey d'Alger que le fait d'inciter la Régence à limiter ses activités de course pouvait nuire gravement à sa marine et compromettre le paiement des salaires de la milice. Après le séjour à Alger, au cours de l'année 1782, de l'envoyé de la Sublime Porte, Ahmed Agha, accompagné de l'émissaire autrichien, on n'a pas abouti à la restitution du navire de commerce autrichien ni des marchandises considérées de bonne prise. Les pourparlers ont permis uniquement la mise en liberté de 90 captifs de cette puissance et la concession de 40 passeports maritimes pour garantir la sécurité de ces navires de commerce en Méditerranée. Le Dey d'Alger n'hésita pas à manifester sa stupéfaction après la fin des hostilités ottomano-autrichiennes et la signature d'un nouveau traité de paix entre les deux parties en 1793, pour la façon dont la Régence fut incluse dans cette paix ! Il se demanda comment pouvait-on impliquer la Régence sans qu'elle ne soit ni consultée ni que lui soit demandé son aval. Il s'en exprima ainsi : « cette question est restée pour nous comme une affaire suspendue entre lumière et obscurité puisque nous n'avons aucune information sur les clauses de cette paix discutée hors de nos frontières. En outre, quel est l'intérêt de discuter de cette paix et de la nomination d'un consul de cette puissance à Alger puisqu'il semble que les affaires et les litiges avec cette nation ont été réglés unilatéralement au niveau du conseil de Topkapı ».

Dans le même état d'esprit, le dey continua son réquisitoire en disant : « nous savons d'emblée que le refus de ces ordres nous exposerait à la suspension de nos privilèges dans les terres du Grand Seigneur, tel que le recrutement des janissaires, l'envoi du matériel de guerre, le maintien de notre représentant à Izmir, les privilèges douaniers, etc. Cependant, après l'annulation de tous ces privilèges, qui va être réellement mis dans la difficulté et la souffrance ?

[30]Archives ottomanes d'Istanbul, CDH/252/12588, Lettre du sultan au Dey d'Alger Baba Ali Neksis, 1172H/Octobre 1758.

Sachez que si vous considérez notre Régence comme une partie intégrante de vos domaines, l'exigence s'impose de nous défendre et de défendre nos intérêts… La réduction de nos effectifs de soldats et marins ne peut qu'affaiblir nos forces et nous exposera à la conquête par nos ennemis… Donc, lorsque la communauté musulmane et le prophète seront entre les mains de Dieu lors du jugement dernier, qui doit rendre des comptes sur la responsabilité de protéger tous les musulmans ? »[31]

Comme nous pouvons l'apprécier, une telle gymnastique diplomatique s'exerçait entre la Régence d'Alger et les autorités d'Istanbul sur les conséquences des activités corsaires d'une part, et la pression exercée sur le Sultan ottoman par les puissances occidentales d'autre part. En réalité, une lecture entre les lignes de cette correspondance du dey d'Alger nous permet de constater la vraie problématique exposée par le souverain d'Alger : accepter les normes et la vision dictées par les puissances européennes sur le droit maritime et l'organisation des relations internationales signifiait la résiliation définitive de la vision musulmane et ottomane du droit maritime et de l'organisation des relations entre les nations. En d'autres termes, c'était consacrer la suprématie de l'organisation mondiale à l'occidentale. D'ailleurs, ces puissances qui avaient les moyens pour ce faire, ne tarderont pas à mettre en pratique cette vision d'organisation mondialiste grâce au système des alliances et des congrès, tel que celui d'Aix-la-Chapelle en 1818 et, plus tard, le congrès de Berlin en 1878. Désormais, la course et la captivité selon la perception ottomane et algérienne devaient devenir piraterie et esclavage, selon la perception occidentale. D'ailleurs, l'expédition navale anglo-hollandaise de 1816, contre la ville d'Alger, sous le commandement de Lord Exmouth, revenait à mettre en pratique cette nouvelle perception occidentale de l'organisation des relations internationales[32].

[31]Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/30/1470, Lettre du Dey Hassan pacha au sultan ottoman, citée plus haut.

[32]Sur cette expédition et ses conséquences sur les activités maritimes de la Régence d'Alger, voir : **TEMIMI (Abdeljelil)** : «Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger en 1816», *ROMM*, 5, 1968, pp. 111-133; **PANZAC (Daniel)** : *Op. cit.*, pp. 274-275.

En réalité, les litiges entre Alger et Istanbul à cause de ces activités de course sont restés souvent difficiles à résoudre. La lenteur des procédés bureaucratiques et de communication due à l'éloignement géographique ont fait que ces affaires occupaient plusieurs mois, voire plus d'une année avant de trouver une issue favorable. Après le dépôt de la plainte ou le rapport faits par l'émissaire autrichien au niveau de la Métropole puis, l'envoi de ce rapport au Divan d'Alger et le retour de la réplique de ce dernier, plusieurs mois – voire plus- s'écoulaient avant de trouver une issue à ce type de problèmes maritimes. Ceci explique pourquoi l'Autriche a exigé un ultimatum de six mois pour le règlement ou le remboursement des dommages causés à ses navires de commerce par les corsaires des Régences maghrébines. La Russie, qui a bien compris ces difficultés de retards dans la prise en charge des litiges maritimes par le conseil du sultan à Topkapı, délimita la durée des indemnités pour les préjudices causés par les corsaires à deux mois seulement, comme il est stipulé dans les articles VII et LXI du traité de paix et de commerce signé entre la Russie et la Sublime Porte en 1792[33]. Devant cette difficile situation, l'Empire ottoman se trouvait désavantagé, obligé qu'il était de rembourser les dommages de ses propres fonds, tout en poursuivant, par le biais de ses firmans, la réclamation de l'acquittement de ces sommes de la part des autorités turques d'Alger.

Par un autre ordre du sultan Mustafâ III (1757-1774) envoyé au dey Ali pacha vers la mi juillet 1759, nous sommes informés sur les activités des corsaires algériens sur les côtes dalmatiennes, contre les sujets de Dubrovnik (République de Raguse). Dans cette correspondance, le sultan rappelle aux autorités d'Alger que les sujets de cette province étaient considérés comme « sujets » de la Sublime Porte depuis plusieurs siècles, ayant obtenu le privilège de

---

المدني (أحمد توفيق) : *مصدر سابق...*، ص ص 121-125؛ **بن عيسى (فاطمة)** : «الحملة الإنجليزية الهولندية على إيالة الجزائر 1816م من خلال وثائق الأرشيف الوطني و وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية»، *مجلة التاريخ المتوسطي*، 2، 2020، ص ص 228-248.

[33]Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/139/6924-1; **ASLAN (Seyfullah)** : *Op. cit.*, pp. 49-50 ; **KUZUCU (Serhat)** : *Op. cit.*, pp. 177-178. Pour plus d'informations sur le sujet, voir : **KUZUCU (Serhat)** : «Rusya Ahidname defterlerine göre XVIII. yüzyılda Osmanli-Rus ticari ilişkilerinin seyri», *Tarih Araştırmaları Dergisi*, vol. 35, n° 59, 2016, pp. 63-84.

faire le commerce librement sur l'ensemble des comptoirs et ports de l'Empire ottoman. Des passeports leur ont été délivrés afin d'assurer la navigation de leurs navires et pour éviter toute agression de la part des corsaires des Régences maghrébines. Néanmoins, un des capitaines de Dubrovnik, nommé Pascole Jolyasi, bien qu'en possession d'un passeport de navigation en règle, a été pris avec son équipage et sa marchandise considérée à Alger comme bonne prise. Le rapport de cette agression maritime est parvenu par l'entremise de l'émissaire de cette province près de la Sublime Porte, Pedro Forz Koller. Le sultan exigea la restitution de ce navire et des marchandises, pris illicitement. Il recommanda, dès lors, de ne plus attaquer les navires de cette province ni de réclamer aucune contribution à ces sujets, puisqu'ils étaient protégés par les traités qui leur ont été remis par la Sublime Porte, afin de faire le commerce librement entre les ports ottomans. Dans la même correspondance, le sultan faisait même référence aux anciens privilèges accordés à ses sujets depuis plus de 400 ans, pour leurs loyaux services et pour leur fidélité dans le paiement de la jizya ou impôt obligatoire de capitation pour les sujets non musulmans, dû au sultan ottoman. Selon ce rapport il s'agissait donc bien d'une prise illégale de la part des corsaires algériens qui devaient restituer le navire, sa cargaison, et libérer son équipage sans tarder. Le sultan ajouta : « en qualité de dey, poste suprême auquel je vous ai nommé et dans lequel je vous ai confirmé, vous devez œuvrer pour la bonne entente et le respect de mes ordres et nous faire parvenir une réponse favorable dans cette affaire »[34].

La reprise des hostilités ottomano-russes entre 1787 et 1791, a permis la relance des activités corsaires algériennes contre les navires russes et autrichiens dans le bassin oriental de la Méditerranée, dans la région adriatique plus précisément. Sous les ordres de l'amiral de la flotte ottomane, Mohamed Arrif, des unités de course algériennes et tunisiennes étaient déjà déployées dans les eaux de Trieste et de Livourne pour intercepter les navires de ces deux puissances ennemies. Cependant, dès le lancement des négociations et la signature du traité de paix de Yach en janvier 1792, entre la Russie et l'Empire ottoman, toute action hostile de la

[34]Archives de la Bibliothèque Nationale d'Algérie, Dossier 3190, Doc. 10/P.M. Voir annexe, document n°8.

part des corsaires maghrébins contre les navires russes ou autrichiens devenait illégale et même susceptible de poursuites judiciaires selon les articles des traités signés avec le sultan ottoman.

Les Archives ottomanes d'Istanbul disposent d'un riche fonds de documents concernant la capture des navires russes et autrichiens par les corsaires des Régences maghrébines et les plaintes déposées par les envoyés de ces deux puissances au niveau de la Métropole aux 18e-19e siècles. C'est le cas de la réclamation déposée par l'émissaire autrichien, le 16 juin 1782, comme suite à la prise par les corsaires algériens de quatre navires de commerce battant pavillon autrichien avec 72 passagers à bord. Après la médiation de la Sublime Porte dans cette affaire, les autorités d'Alger déclarèrent qu'il s'agissait d'une bonne prise puisque les navires ne disposaient pas de passeport maritime (*İzni sefene*) valable et qu'hormis les 29 passagers faisant partie de la nation autrichienne, la majorité des passagers étaient génois et maltais. Afin de libérer ces captifs, l'Autriche fut forcée d'envoyer l'émissaire Lomi Timoni pour continuer à négocier directement, dans cette affaire, avec les autorités d'Alger[35]. Le rapport de plainte déposé par l'ambassadeur autrichien Albert Hubert à Istanbul, en 1794, nous informe sur le cas du capitaine Antoine Sop et de son navire transportant du bois vers les côtes françaises, navire qui a été capturé par un corsaire algérien le 16 septembre 1794. Lors de l'abordage, un marin a été tué et le capitaine blessé et conduit avec le reste de son équipage comme captifs, vers le port d'Alger[36]. L'envoyé autrichien exigea l'application des articles du traité de 1783 signé avec la Sublime Porte, concernant les cas d'agression des navires autrichiens par les corsaires barbaresques. Une fois encore, le sultan devait envoyer son firman au dey d'Alger Hassan pacha, pour lui notifier la réclamation en question et exiger la restitution du navire et de sa cargaison, ainsi que la libération des sujets de cette puissance. A défaut de non-paiement des dommages subis par le navire de commerce autrichien, la Sublime Porte, en qualité de garant, devait honorer de ses propres fonds les frais dus aux dommages. En effet, la correspondance entre Alger et Istanbul

[35]Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/75-3719.
[36]*Ibid*.

n'a abouti qu'à la libération de l'équipage.

L'ordre impérial (*Hatt-î chérif*) envoyé aux autorités d'Alger le 12 août 1786 concernait cette fois-là, la capture d'un navire de commerce russe. Dans cette correspondance, le sultan rappela dans les grandes lignes les articles du traité de paix signé avec la Russie, l'article LXXI, spécialement, qui stipulait qu'en cas d'attaque par les corsaires barbaresques des navires de commerce russes, le sultan devait, en conformité avec ledit article, intervenir pour libérer les captifs, restituer les marchandises et garantir le paiement des dommages subis par ces navires. Le navire battant pavillon russe nommé *L'amour de la Patrie*, commandé par le capitaine Jean Fabius qui transportait de l'île vénitienne de Licata (Janta dans la version ottomane) une charge de raisins secs, vers le port Varhangel, a été intercepté par un corsaire algérien, qui aurait vendu la marchandise du bâtiment dans le port espagnol de Mahon[37]. L'émissaire russe réclama la restitution du navire et des biens transportés et insista pour que, dès lors, tous les navires battant pavillon russe ne doivent être ni inquiétés ni capturés par les corsaires algériens sous prétexte qu'ils ne disposent pas d'autorisation de navigation ottomane. L'émissaire russe présenta en détail la nature de la marchandise confisquée et sa valeur afin de réclamer son paiement par la Sublime Porte. Il s'agissait de 200 barils de raisins secs de 58 quintaux, de barils de caviar, 16 barils de vin, 88 barils de vinaigre et autres marchandises totalisant une somme de 5.358 livres ottomanes. Cependant, ce rapport consulté ne permet pas de savoir avec certitude quand et comment ce litige a été définitivement résolu.

Un autre cas similaire a été rapporté par l'envoyé russe le 25 mars 1798 et exigea l'intervention de la Sublime Porte pour y remédier et trouver une solution appropriée : le capitaine d'un navire russe, nommé Théodoro Sepelo, après avoir acheté un navire à Gênes et obtenu un passeport maritime du consul russe dans cette ville, mit les voiles avec son équipage, formé essentiellement de marins de l'île de Parku (Paksu dans le document ottoman) pour remettre une cargaison au port de Corfou. Cependant, durant la traversée, il a été intercepté, le 4 février 1797, par deux navires de

[37]Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/139/6924/1 et CHR/11/537/1. Sur la liste des captifs, voir *Idem*, CEV/11/537/3.

course algériens, à 75 milles de l'île de Corfou[38]. Le navire et l'ensemble de l'équipage formé de 16 marins, ont été conduits comme captifs à Alger. A la suite de ce litige maritime, le Dey a été interpelé par un firman du sultan exigeant la libération de l'équipage et du capitaine russe qui, jadis, a exercé cette fonction pendant dix ans dans la marine russe.

Le firman nous informe également sur les tentatives de médiation sans succès du consul de Suède à Alger pour obtenir la libération de ces captifs et sur la manière dont le sultan rappela aux autorités de la Régence l'article LXXI du traité ottomano-russe, qui exigeait le remboursement de la marchandise confisquée et la libération de l'ensemble de l'équipage. L'aboutissement de cette crise diplomatique se termina par la seule libération des captifs, puisque la Régence refusa de restituer le navire et la cargaison, déclarés comme bonnes prises et dont les revenus de la vente furent distribués entre les corsaires impliqués dans cette opération. Une fois encore, la Sublime Porte se trouva dans l'embarras puisqu'elle devait rembourser les dommages subis par le navire russe, dans le délai de deux mois et ce, de ses propres fonds comme stipulé dans le traité signé avec la Russie. Dans un autre cas qui remonte à la date de janvier 1816, la plainte déposée par l'émissaire russe à Istanbul, Andrea Atialiniski, concernait la prise d'un navire russe et de son capitaine, Nicolo Rodoru, par les corsaires algériens, près des côtes siciliennes. La valeur de la marchandise saisie illégalement s'élevait à 2.286 livres ottomanes, alors que le capitaine mentionné était un protégé de la Sublime Porte, en conformité avec les articles du traité de paix et de commerce signé entre les deux parties ; par ailleurs, son passeport de navigation était en règle. Un second bâtiment russe, qui naviguait pour le compte de la Sublime Porte, de Londres vers le port d'Izmir, a été capturé par un autre corsaire algérien. Le capitaine russe du navire, nommé Andrea Mamouni, était conduit avec deux autres sujets russes, Ivan Simon et Christophe Losanikovich, comme captifs à Alger. D'après ce rapport, 200 livres ont été prises sur ce navire et une cargaison d'une valeur excédant 780 livres et 25 pièces d'Espagne en or. L'ordre du sultan exigeait que tous ces biens pris illégalement devaient être restitués à leurs propriétaires, puisqu'il s'agissait de

[38]Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/46/2276, 1212H/25 mars 1798.

sujets d'une puissance amie et qu'ils étaient protégés par le traité de paix[39].

Un autre ordre du sultan Mahmoud II, envoyé le 30 septembre 1815 au dey d'Alger, Omar pacha (1815-1817), était pour lui notifier la plainte présentée par l'envoyé de l'Autriche à Istanbul, le Baron d'Estéry, concernant la prise de quelques sujets de cette puissance par des corsaires de la Régence d'Alger. Il s'agissait des capitaines autrichiens suivants : Jean Rosochivski, Etienne Edouard, Vamir Dogni, Francisco Grisol, Antonio Greco, Dominicho Alonzo, Antonio Sorech, Giovani Terriogi, Albert Donovich, Lucas Bot, Nicolas Galanbilo et Francisco Dobag, qui ont été conduits illégalement à Alger en qualité de captifs, alors qu'ils étaient tous des protégés de la Sublime Porte. L'ordre du sultan imposait non seulement la libération sans conditions de tous les captifs cités puisqu'ils appartenaient à une puissance amie, mais aussi, recommandait d'éviter tout type d'hostilité envers les navires de commerce de cette puissance en Méditerranée[40].

L'envoi de l'investiture de nomination au dey Omar, le 13 août 1815, se présenta comme une importante occasion pour le sultan Mahmoud II, de rappeler au Divan d'Alger les précédentes prises des corsaires algériens de navires de puissances amies, prises illégales et contraires aux traités de paix, ce qui a conduit le sultan à envoyer son représentant, Mohamed kapidji, à Alger, pour mettre un terme aux activités illicites de ces corsaires. Dans cet ordre, le sultan ne manqua pas de rappeler que la Régence était considérée comme un héritage de ses ancêtres et qu'elle faisait partie de ses provinces privilégiées. Il réitéra l'obligation imposée aux autorités d'Alger de respecter à la lettre les décisions de l'autorité suprême du sultan calife, afin d'assurer la pérennité des privilèges et des faveurs de la Sublime Porte[41].

Il est tout à fait clair que la présence, même sporadique, des activités des corsaires de la Régence d'Alger dans les mers Adriatique et Egée compliquait davantage la position de la Sublime

[39]Archives de la Bibliothèque Nationale d'Algérie, Dossier 3190, doc. 28 P. T., Lettre du sultan Mahmoud II, 1231H/janvier 1816.
[40]Archives de la Bibliothèque Nationale d'Algérie, Dossier 3190, doc. 27 P.T., Lettre du sultan Mahmoud II à la Régence d'Alger, 1230H/octobre 1815.
[41]Archives de la Bibliothèque Nationale d'Algérie, Dossier 3190, doc. 22 P.T., Lettre du sultan Selim III à la Régence d'Alger, 1212H/juin 1798.

Porte vis-à-vis de ces deux puissances, l'Autriche et la Russie. Le sultan ottoman, dans ses ordres envoyés aux autorités d'Alger, oscillait entre un langage menaçant et un langage d'apaisement et de recommandation, afin de parvenir au règlement de ces litiges maritimes, qui aboutissaient à plusieurs occasions, à une sérieuse crise diplomatique entre la métropole et la Régence d'Alger. Néanmoins, les malentendus entre les deux parties autour des activités corsaires n'ont jamais atteint le point de rupture des relations. Les intérêts mutuels entre Istanbul et sa lointaine province maghrébine ont toujours été épargnés. La Sublime Porte continua de solliciter, même de manière occasionnelle, l'assistance navale de la Régence d'Alger, comme ce fut le cas pour la campagne qui mena à la bataille navale de Navarin en 1827. Les autorités turques d'Alger, de leur côté, continuèrent à solliciter « la Baraka » issue de l'investiture du sultan ottoman et le privilège de recruter des soldats volontaires dans les lointaines terres orientales, et cela jusqu'à la veille de la colonisation française.

Certes, la Régence d'Alger est restée figée dans son statut de province *ghâzî* du *Dar el-Djihad* pour garantir la pérennité de son système politique en place, basé sur l'oligarchie militaire turque et ce, bien que les activités de course soient arrivées à bout de souffle, dans la première moitié du 19e siècle et que ses heures de gloire étaient, dès lors, bien révolues. Les timides réformes adoptées par les deys d'Alger dès la fin du 18e siècle, se sont limitées uniquement aux réformes militaires et à la défense face aux expéditions européennes de plus en plus menaçantes. La reconversion de sa petite flotte vers le commerce maritime n'a pas été non plus inscrite dans le programme du pouvoir en place. D'ailleurs, c'était un pari perdu d'avance, non seulement pour Alger, mais aussi pour l'ensemble des Etats de la frontière maghrébine, devant le monopole des grandes compagnies de commerce maritime des puissances européennes. Le manque de vision pour une réforme en profondeur de la société et l'absence de volonté pour s'adapter aux mutations survenues dans la région méditerranéenne au cours du 19e siècle, se sont convertis en un sort fatal pour l'ensemble de la frontière nord-africaine. Le premier à endurer ce coup fatal fut la Régence d'Alger. Comme suite à la conquête française de cette ville, le 5 juillet 1830, Alger n'était plus

la ville la bien gardée ou « el-Mahroussa », mais s'était convertie, dès lors, en Alger la vulnérable.

Annexes documentaires

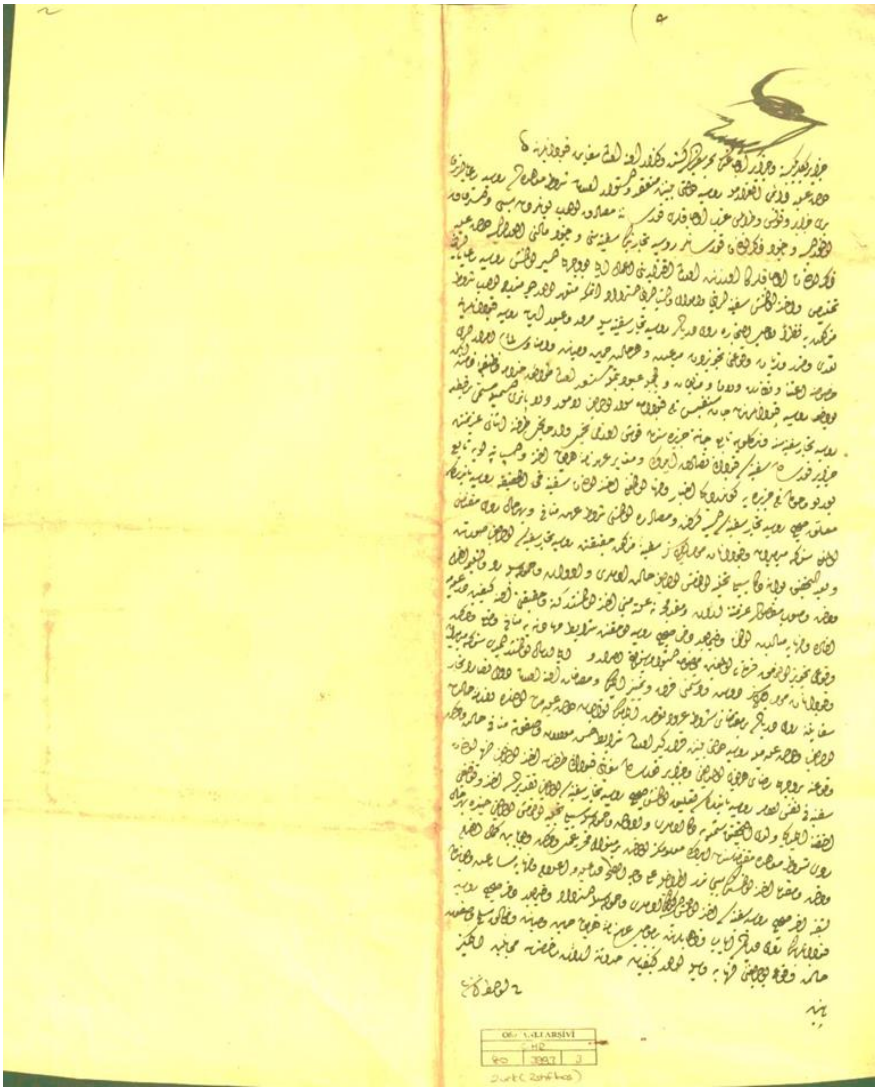

Doc. 1 : Activités des corsaires algériens contre les navires de commerce russes et la médiation ottomane, Shawwâl 1200H/Août 1786 (Archives ottomanes d'Istanbul, CHR.803993/3).

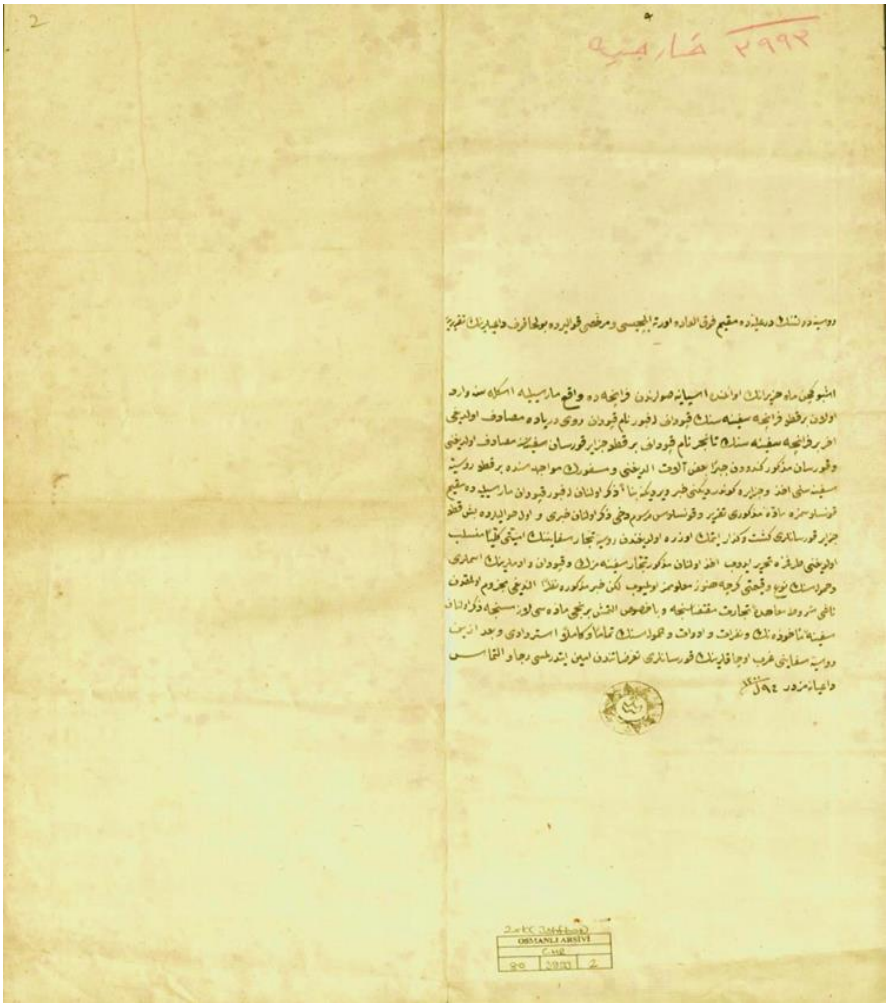

Doc. 2 : Rapport de l'émissaire russe sur la prise d'un navire de commerce russe par les corsaires algériens et la médiation ottomane, 1200H/1786 (Archives ottomanes d'Istanbul, CHR/80/3993/2).

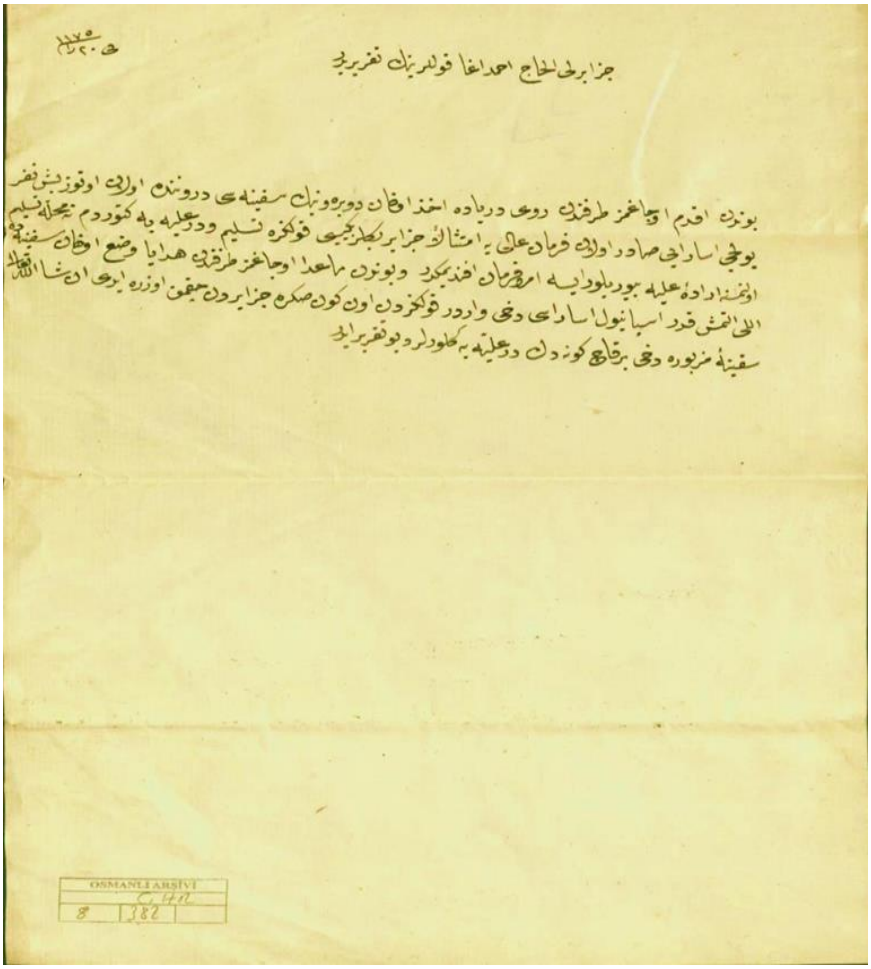

Doc. 3 : La Régence d'Alger libère 35 captifs de la ville de Dubrovnik (Croatie), considérés comme sujets de l'Empire ottoman et envoi de 70 captifs espagnols comme cadeau au sultan ottoman, 20 rabî' al-awwal 1175H/ 19 octobre 1761 (Archives ottomanes d'Istanbul, CHR 8/382).

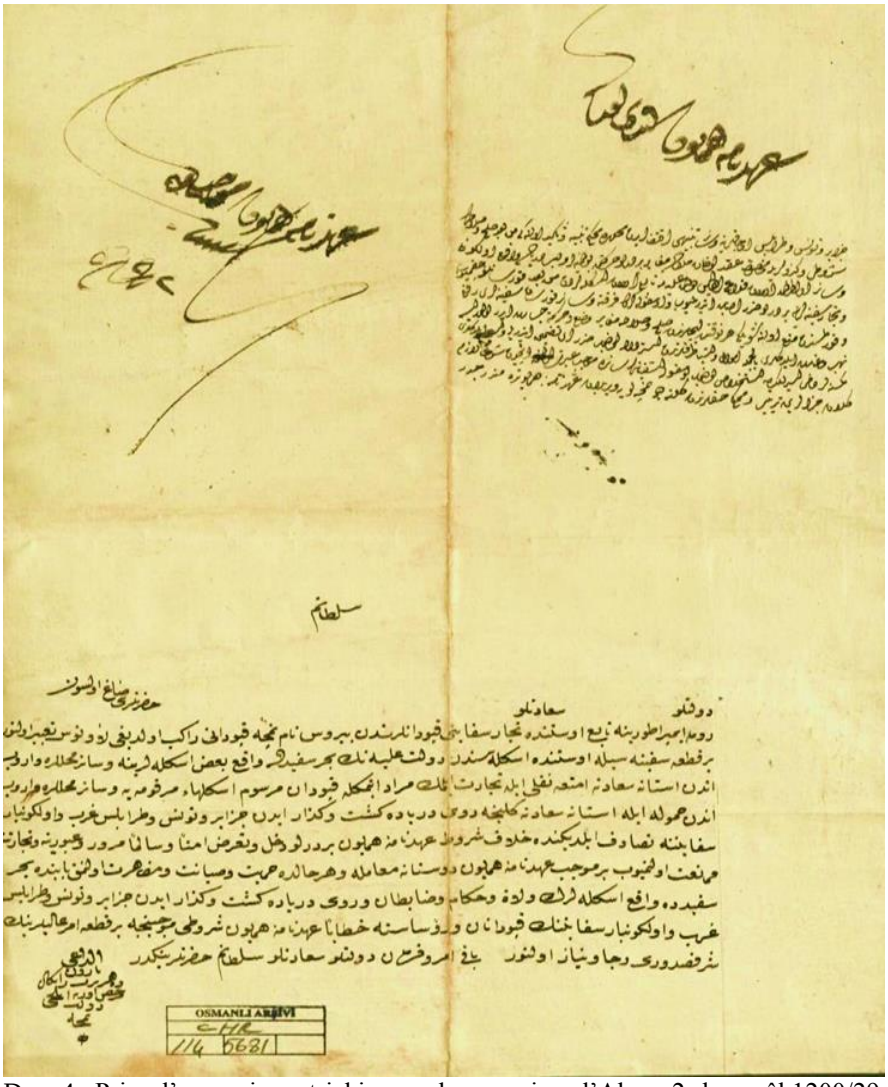
OSMANLI ARŞİVİ
CHR
114 5681

Doc. 4 : Prise d'un navire autrichien par les corsaires d'Alger, 2 shawwâl 1200/29 juillet 1786 (Archives ottomanes d'Istanbul, CHR 114/5681).

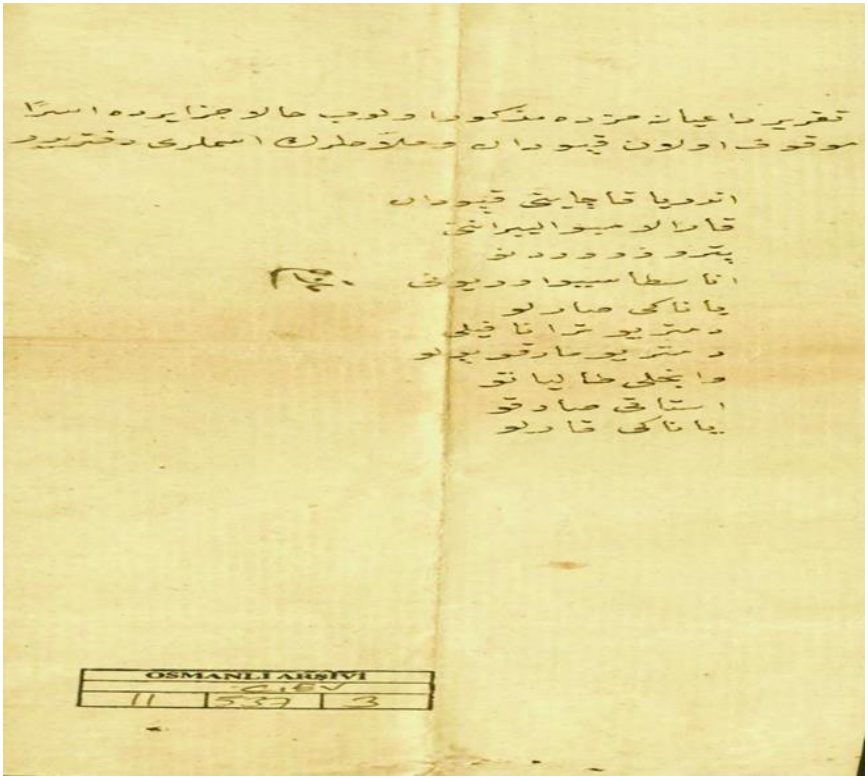

Doc. 5 : Liste des captifs du navire autrichien, Shawwâl 1200H (Archives ottomanes d'Istanbul, C.EV. n°11/537/3).

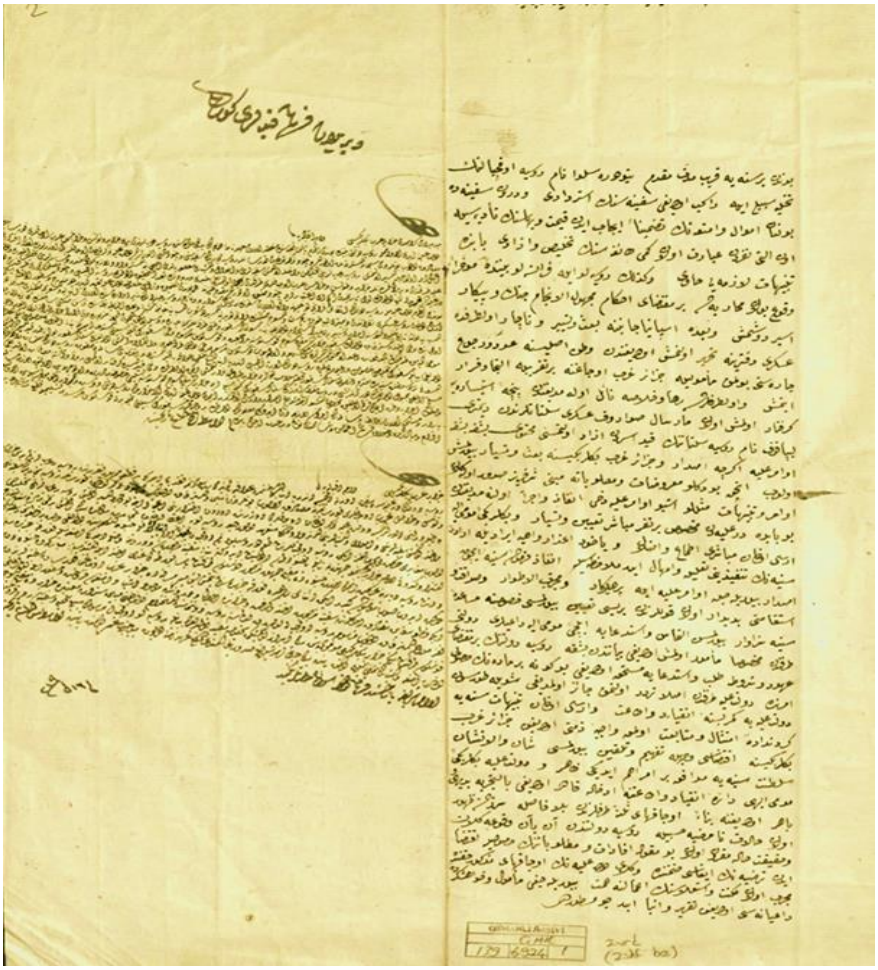

Doc. 6 : Prise du navire russe Théodoro Silva par les corsaires d'Alger, 12 shawwâl 1219/14 janvier 1805 (Archives ottomanes d'Istanbul, CHR 139/6924/1).

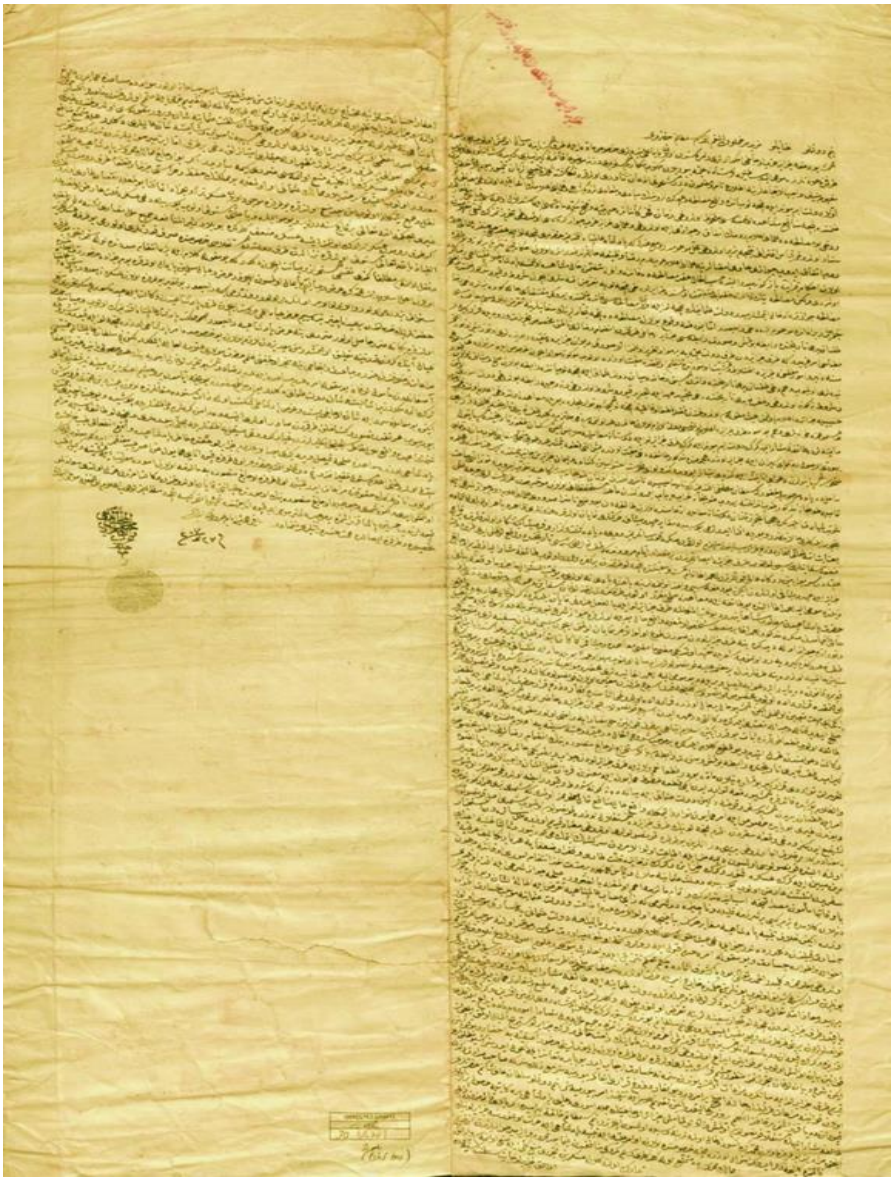

Doc. 7 : Lettre du dey Hassan pacha au sultan ottoman Selim III. Contestation de la paix avec l'Autriche et ses conséquences sur la Régence d'Alger, Ramadhân 1207H/Avril 1793 (Archives ottomanes d'Istanbul, CHR 30/1470).

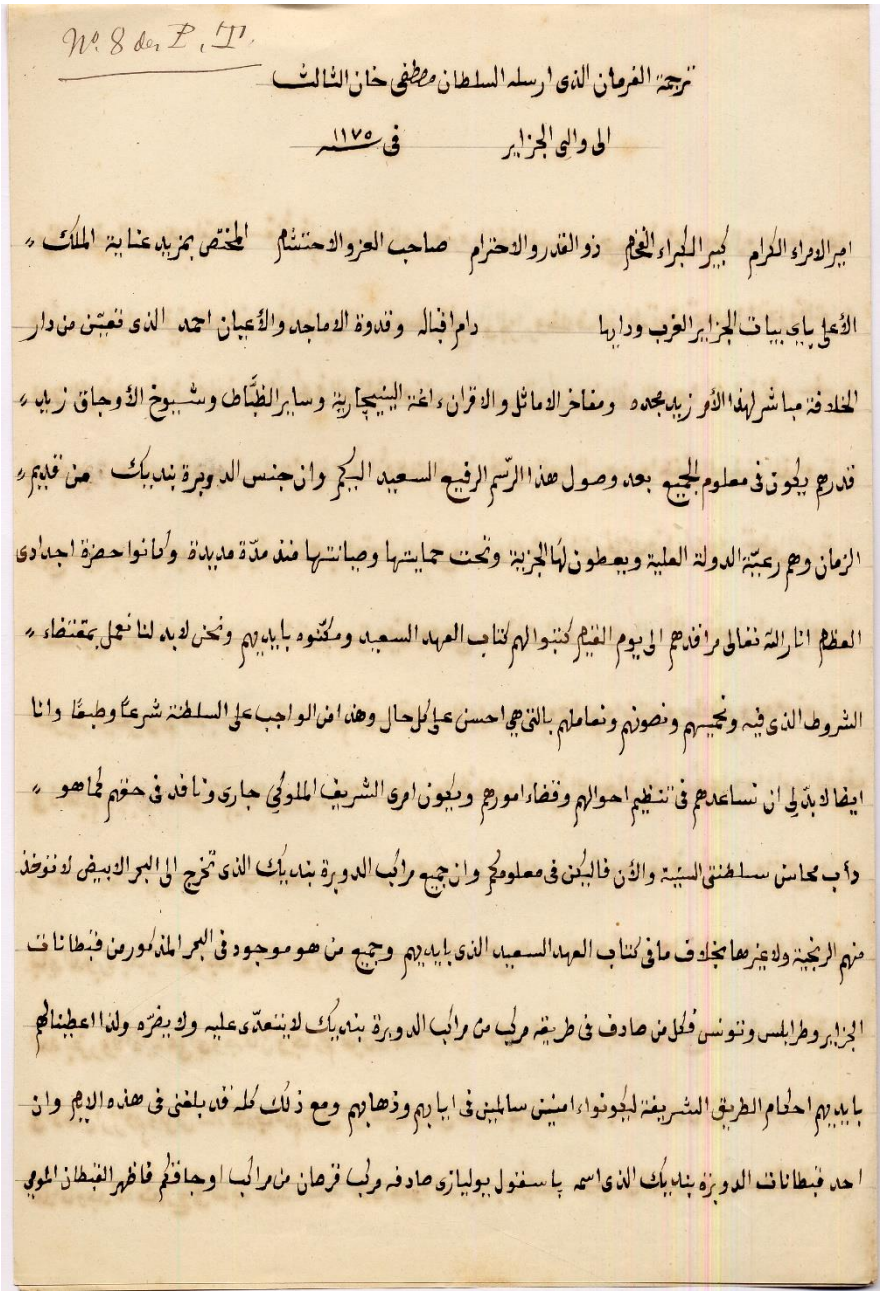

N° 8 de P. II.

ترجمة الفرمان الذى ارسله السلطان مصطفى خان الثالث

الى والى الجزاير فى سنة ١١٧٥

امير الامراء الكرام كبير الجراء الفخام ذو القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام المخصّ بمزيد عناية الملك

الأعلى باى بيات الجزاير الغرب ودارها دام اقباله وقدوة الاماجد والاعيان احمد الذى قعين من دار

الخلافة مباشر لهذا الأمر زيد مجده ومفاخر الاماثل والاقران باغة اليسيجارية وساير الطبّاط وشيوخ الأوجاق زيد

قدرهم يكون فى معلوم الجميع بعد وصول هذا الرسم الرفيع السعيد اليكم وان جنس الدوبرة بنديك من قديم

الزمان وهم رعيّة الدولة العلية ويعطون لها الجزية وتحت حمايتها وصيانتها منذ مدّة مديدة وكانوا حضرة اجدادى

العظام انار الله تعالى مراقدهم الى يوم القيام كتبوا لهم كتاب العهد السعيد وسلّموه بايديهم ونحن لابد لنا نعمل بمقتضاه

الشروط الذى فيه ونجيبهم ونصونهم ونعاملهم بالتى هى احسن على كل حال وهذا من الواجب على السلطنة شرعًا وطبعًا وانا

ايضا لابدّ لى ان نساعدهم فى تنظيم احوالهم وقضاء امورهم ويكون امرى الشريف الملوكى جارى ونافذ فى حقهم كما هو

دأب محاسن سلطنتى السنية والآن فاليكن فى معلومكم وان جميع مراكب الدوبرة بنديك الذى تخرج الى البر الابيض لا تؤخذ

منهم الزنجية ولا غيرها بخلاف ما فى كتاب العهد السعيد الذى بايديهم وجميع من هو موجود فى البر المذكور من قبطانات

الجزاير وطرابلس وتونس فكل من صادف فى طريقه مركب من مراكب الدوبرة بنديك لا يتعدّى عليه ولا يضرّه ولذا اعطيناهم

بايديهم احكام الطريق الشريفة ليكونوا امنين سالمين فى ايابهم وذهابهم ومع ذلك كله فقد بلغنى فى هذه الايام ان

احد قبطانات الدوبرة بنديك الذى اسمه باسقول يوليازى صادف مركب قرمان من مراكب اوجاقكم فاظهر القبطان المومى

Doc. 8 : Lettre du Sultan Mustapha III au Dey d'Alger, Ali pacha, vers la fin dhu al-qa'da 1172h/vers le milieu du mois juillet 1759, concernant la capture illicite des sujets de la république de Raguse (Dubrovnik) par les corsaires d'Alger (Bibliothèque Nationale d'Algérie, Dossier 3190, doc. n°8, p.1).

Bibliographie

-**ASLAN (Seyfullah)** : *Akdeniz'de Cezayir Korsanlığı (1770-1830)*, Yüksek Lisans, Istanbul Universitesi Sosyal bilimler Enstitüsü, 2012.

-**BELHAMISSI (Moulay)** : *Marine et marins d'Alger (1518-1830)*, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1996, Tome 1.

-**BENAFRI (Chakib)** : «Ganimet defterlerini arayış macerası/les aventures de recherche sur le registre des prises maritimes», in *Uluslararası Kara Mürsel Alp ve Kocaeli tarihi sempozyumu II, 3-4-5 nisan 2015, Kocaeli büyükşehir belediyesi*, 23-31.

-**CHEVALLIER (Corinne)** : *Les trente premières années de l'Etat d'Alger 1510-1541*, Alger, OPU, 1986.

-**COLOMBE (Marcel)** : «Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjaq d'Alger», *Revue Africaine*, LXXXVII, 1943, 166-183.

-**DEVOULX (Albert)** : *Tachrifat, recueil de notes historiques de l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, Alger, Imprimerie du Gouvernement, 1852.

-**DEVOULX (Albert)** : *Registre des prises maritimes, traduction d'un document authentique et inédit concernant le partage des captures amenées par les corsaires algériens*, Alger, Typographie Adolphe Jourdan, 1872.

-**EKİNCİ (Ekrem Buğra)** : «Osmanlı idaresinde Adem-i Merkeziyet ve Imtiyazli Eyâletler», *Türk Hukuk Tarihi Araştırmaları*, sayı 6, 2008, 30-31.

-**EPALZA FERRER (Mikel de)** : «Algunas consecuencias del tratado de paz hispano-argelino de 1786», in *Homenaje a Guillermo Guastavino*, 1974, 443-460.

-**EPALZA FERRER (Mikel de)** : «Intérêts espagnols et intérêts de la Turquie et de ses alliés maghrébins dans la diplomatie hispano-musulmane du XVIIIe siècle», *Studia Islamica*, fasicule 57, 1983, 147-161.

-**EZZAHIDI (Malika)** : «Le rachat des captifs musulmans à Malte en 1782 d'après le récit de voyage d'Ibn Uthmân el Meknassî», *Cahiers de la Méditerranée*, 87, 2013, 221-228.

-**GAID (Mouloud)** : *L'Algérie sous les Turcs*, Alger, Ed. Mimouni, 2e ed., 1991.

-**GÖYÜNÇ (Nejat)** : «Osmanlı devletinde taşra teşkilatı (Tanzimat'a kadar)», in *Osmanlı Ansiklopedisi*, cilt VI, 1999, 101-102.

-**İLTER (Aziz Samih)** : *Şimali Afrika'da Türkler*, Istanbul, 1936.
-**İNALCIK (Halil)** : «Eyalet, Osmanlı taşra teşkilatında bir beylerbeyinin idaresi altında bulunan en büyük idarî birimi», in *TDV Islam Ansiklopedisi*, cilt 11, 1995, 548-550.
-**KILIÇ (Orhan)** : *18. yüzyılın ilk yarısında Osmanlı Devleti'nin idarî taksimatı : Eyalet ve sancak tevcihatı*, Elazığ : Şark Pazarlama, 1997.
-**KUZUCU (Serhat)** : «XVIII. Yüzyılda uluslararası bir sorun olarak Garp Ocakları'nın Akdeniz'deki Korsanlık faaliyetleri», *Gazi Akademik Bakış*, cilt 9, sayı 17, 2015, 172-173.
-**KUZUCU (Serhat)** : «Rusya Ahidname defterlerine göre XVIII. yüzyılda Osmanli-Rus ticari ilişkilerinin seyri», *Tarih Araştırmaları Dergisi*, vol. 35, n° 59, 2016, 63-84.
-**LE TOURNEAU (Roger)** : «Le Maroc sous le règne de Sidi Mohammed b. Abdellah (1757-1790)», *ROMM*, 1, 1966, 113-133.
-**LOURIDO DIAZ (Ramon)** : *Marruecos y el Mundo exterior en la segunda mitad del siglo XVIII*, Madrid, 1989.
-**MANTRAN (Robert)** : «Le statut de l'Algérie, de la Tunisie et de la Tripolitaine dans l'Empire Ottoman», in Mantran, Robert : *L'Empire Ottoman du XVI^e^ au XVIII^e^ siècle*, London, Variorum, 1984, 3-14.
-**MANTRAN (Robert)** : «L'évolution des relations politiques entre le gouvernement ottoman et les Odjaks de l'Ouest du XVI^e^ au XIX^e^ siècle», *Tarih Araştırmaları Dergisi*, 1964, Cilt 2, Sayı 2, 52-63.
-**MARTYKANOVA (D.)** : «Espagne», in *Dictionnaire de l'Empire Ottoman*, Paris, Ed. Fayard, 2015, 418-419.
-**MATAR (Nabil)** : «The Maghariba and the Sea, Maritime decline in North Africa in the Early Modern Period», in *Trade and Cultural Exchange in the Early Modern Mediterranean, Braudel's maritime legacy*, London, 2010, 117-137.
-**MEOUAK (Mohamed)** : «Le bombardement d'Alger par les Danois en 1770 d'après les «Vers en idiome barbaresque» : langue arabe et littérature dans l'Algérie du XVIII^e^ siècle», in *Sacrum arabo-semiticum : homenaje al profesor Federico Corriente en su 65 aniversario*, Zaragoza, Instituto de estudios islamicos y del Oriente Proximo, Zaragoza, 2005, 271-287.
-**MEROUCHE (Lemnouar)** : *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. I- Monnaies, prix et revenus, 1520-1830*, Editions Bouchene, 2002.

-**MEROUCHE (Lemnouar)** : *Recherches sur l'Algérie à l'époque ottomane. II- La course, mythes et réalité*, EDIF, 2007.
-**MOALLA (Asma)** : *The Regency of Tunis and the Ottoman Porte, 1774-1814*, 2004.
-**NORDMAN (Daniel)** : *Tempête sur Alger: l'expédition de Charles Quint en 1541*, Editions Bouchene, 2011.
-**ØDEGAARD (Torbjørn)** : *Une paix et amitié perpétuelles : sur le traité de paix entre le Royaume de Danemark-Norvège et la Régence d'Alger, 1746*, Uppsala, Scandinavian Institute for North African Studies, 2013.
-**ORTAYLI (İlber)** : *Osmanlı'da Milletler ve Diplomasi*, Istanbul, İş bankası yayınları, 2017.
-**ÖZDEMİR (Şenay)** : «Korsanlıktan Kaynaklanan Zararın Tazmini Konusunda, Osmanlı Devleti'nin Avusturya'ya Vermiş Olduğu Senet», *Kebikeç*, 18, 2004, 395-406.
-**PANZAC (Daniel)** : «Juifs et Musulmans dans le commerce maritime tunisien à l'époque de Hammouda Bey (1782-1814)», in *Entre Orient et Occident*, Editions de l'Eclat, 2007, 43-62.
-**PANZAC (Daniel)** : «Alger», in *Dictionnaire de l'Empire Ottoman*, Ed. Fayard, 2015, 69-72.
-**ROUSSEAU (Alphonse)** : *Chroniques de la Régence d'Alger, traduites d'un manuscrit arabe intitulé El-Zohrat-el-Nayerat*, Alger, Imprimerie du gouvernement, 1841.
-**SALMI (Abdelhadi Radjai)** : «The 1729 Peace treaty between the Eyalet of Algiers and the Kingdom of Sweden», *Ostour*, vol 5, janvier 2017, 74-114.
-**SHUVAL (Tal)** : «The Ottoman Algerian Elite and Its Ideology», *International Journal of Middle East Studies*, vol. 32, n° 3, aug. 2000, 323-344.
-**SHUVAL (Tal)** : «Remettre l'Algérie à l'heure ottomane : questions d'historiographie», *Revue des Mondes musulmans et de la Méditerranée*, 95-98, 2002, 423-448.
-**TEMIMI (Abdeljelil)** : «Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger en 1816», *ROMM*, 5, 1968, 111-133.
-**TERKI-HASSAINE (Ismet)** : *Relaciones politicas y comerciales entre Espana y la Argelia otomana (1700-1830)*, Editorial Universidad de Alcalá, 2011.
-**TOPRAK (Seydi Vakkas)** : «Osmanlı yönetiminde Kuzey Afrika : Garp Ocakları», in *Türkiye Mecmuası*, cilt 22, 2012, 227-228.

- **الإمام (رشاد)** : *سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م*، تونس، 1979.
- **المدني (أحمد توفيق)** : *مذكرات أحمد الشريف الزهار (1754-1830)*، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، 1974.
- **بلحميسي (مولاي)** : «غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (948ه/1541م) بين المصادر الإسلامية و المصادر الغربية»، *مجلة الأصالة*، 8، جوان 1972، 91-112.
- **بن عيسى (فاطمة)** : «الحملة الإنجليزية الهولندية على إيالة الجزائر 1816م من خلال وثائق الأرشيف الوطني و وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية»، *مجلة التاريخ المتوسطي*، 2، 2020، 228-248.
- **رجب (رضا)** : *يهود البلاط و يهود المال في تونس العثمانية*، دار المدار الإسلامي، 2010.
- **حماش (خليفة إبراهيم)** : *العلاقات بين الباب العالي و الجزائر (1798-1830)*، جامعة الإسكندرية، رسالة ماجيستر، 1988.
- **دحماني (توفيق)** : *الضرائب بالجزائر 1792-1865 دراسة مقارنة*، رسالة دكتوره، جامعة الجزائر 2، 2007-2008.
- **سالمي (عبد الهادي)** : *العلاقات الجزائرية الإسكندنافية في الفترة العثمانية 1729-1792*، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر 2، 2014-2015.
- **سعيدوني (ناصر الدين)** : *النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)*، ط 3، الجزائر، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، 2012.
- **صغيري (سفيان)** : *العلاقات الجزائرية-العثمانية خلال عهد الدايات 1671-1830*، رسالة ماجيستر، جامعة باتنة، 2012.
- **محمدي (رزيقة)** : «الإصلاحات الإقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا (1782-1814)»، *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية*، جامعة بابل، 3، 2016، 87-100.
- **نايت بلقاسم (مولود قاسم)** : *شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل سنة 1830م*، الجزء 1، الجزائر، 2007.